

جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

رسالة ماجستير بعنوان

بناء الجملة في شعر البارودي

Sentence Structure in Al-Baroudi’s Poetry

بإشراف :

الأستاذ الدكتور إبراهيم يوسف السيد

إعداد الطالب :

إسماعيل عبد الغني أحمد مزهر

الرقم الجامعي :
0520301010

جامعة آل البيت
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

بناء الجملة في شعر البارودي

Sentence Structure in Al-Baroudi's Poetry

إعداد:

إسماعيل عبد الغني مزهر
0520301010

المشرف :

أ.د إبراهيم يوسف السيد

أعضاء لجنة المناقشة :

1- أ.د إبراهيم السيد (رئيسا ومشرفا) . التوقيع : ....
2-أ. د سمير استيتيه (عضوا) . التوقيع : ....
3-أ.د علي البواب (عضوا) . التوقيع : ....
4- د زيد القرالة (عضوا) . التوقيع : ....

قدمت هذه الرسالة :
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير باللغة العربية في كلية الأداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ
2010/1/3


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

{ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه }

إلى نبع عمري الذي لا ينضب ، ودفق مشاعري وعواطفي ، إلى قلب أمي وأبي ، لدفء حنانهما ، وعذوبة حبهما ، وإخلاص دعائهما ، أهدي لبابة هذا الجهد وثمرة هذه الرسالة .

وإلى زوجتي التي لم تألُ جهدا في السهر على إتمام هذا العمل ، والمكابدة على إنجاز هذه الرسالة ، وإلى إخوتي وعائلتي التي وقفت معي ، وشدت من أزري في الشدة والرخاء . وإلى كل من أضاء الطريق أمامي ، وأشعل الفكرة ووجهني بالنصح والإرشاد .

أقدم إليهم جميعا هذه الرسالة ، تعبيرا عن شكري وامتناني لهم ، لعل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها في موازين حسناتي وحسناتهم جميعا .

الشكر والتقدير

لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص شكري وتقديري لأستاذي الدكتور إبراهيم السيد ، الذي نهلت من بحر علمه الوافر فلم يدخر وسعا في نصحي ومتابعتي وتوجيهي لما يرفد هذه الرسالة ، بالرغم من طول المدة التي استغرقها هذا البحث ، فوسعني بصدره الرحب وصبره الجميل .

والشكر موصول للأساتذة الأجلاء ، كل من الأستاذ الدكتور علي البواب ، والأستاذ الدكتور سمير استيتيه ، والدكتور زيد القرالة ، لما لهم من أثر بالغ في توجيه هذا البحث ، بالتوجيهات والملاحظات .

فهرس المحتويات

الملخص

تقوم هذه الدراسة على اعتماد علم النحو وسيلة لفهم التراكيب الشعرية في ديوانه ، والغرض من ذلك هو قراءة شعره المكتوب في ديوانه الذي حققه علي الجارم ، ومحمد شفيق معروف ، المنشور في دار العودة، والمطبوع عام ألف وتسعمائة وثمانية وتسعين . بغرض فهم بناء الجملة في الديوان على نحو عام ، وملاحظة ما يمكن ملاحظته من تراكيب وأنماط نحوية . وعلة ذلك هي أن الحديث عن بناء الجملة بشكل عام هو بحد ذاته حديث عن مجمل أبواب النحو، بالأضافة إلى أن البارودي يعدّ باني نهضة الشعر الحديث ، لذا فليست الدراسة التي تقوم عليها هذه الرسالة مقتصرة على شعره مجردا من التراكيب والأبنية ، لأن القصد منها دراسة التركيب والبناء النحوي الذي اعتمد أساسا عند البارودي ليكون أنموذجا من الشعر الإحيائي الجديد لدى كثير من الشعراء بعد البارودي .

وقد ظهرت نتيجة هذه الدراسة باتباع المنهج الوصفي الذي يُعنى بتحليل النصوص تحليلا وصفيا يتم فيها وصفُ النص وشرحه ، واتباع خطوات مدروسة ومنظّمَة في معالجة الظّواهر النحوية ؛ وذلك لأن المنهج الوصفي يقوم على تجميع العيّنات المدروسة من انتقاء نماذج محددة منها، ليتم الاختبار والتّجريب عليها ، وذلك من تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور أساسية لمعرفة البناء النحوي للجملة ، وهي :

1- الجملة الاسمية وبناؤها في شعر البارودي .
2- الجملة الفعلية وبناؤها في شعره .
3- مكملات الجملة وأثرها في شعره .

وعلى أساس تقسيم الجملة على نحو ما ذكرنا سوف تقوم هذه الدراسة ؛ ليتسنى لنا معرفة بناء الجملة في شعر محمود سامي الباررودي عامة ، لأنه يعد رائد الشعر الإحيائي الحديث . بالرغم من أن الدراسة النحوية للنصوص الأدبية وخاصة الشعرية لا تُعنى بدراسة الدلالات والمعاني والأفكار التي يحملها النص بشكل كامل، ولا تلتفت إلى الجوانب العاطفية أو التاريخية التي مرّ بها الشاعر في مراحل حياته المختلفة، ولكنها في الوقت نفسه تقود إلى نتيجة حتمية تتم منها معرفة المستوى اللغوي والثقافي للشاعر ، ومدى إفادته من التراكيب الشعرية القديمة التي نهل منها مادّته الشعرية ، بالإضافة إلى الالتفات إلى عنصري التجديد والابتكار في ترتيب البيت الواحد . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، وبعد ... .

فإن لكل لغة طابعا خاصا ومميزا لها ، يشتمل على صفاتٍ تتصف بها . وإن بين كل لغة وأصحابها تشابها وتوافقا ، فقد نشأت وتقلبت معهم على مرّ الأيام ، واختلاف صروفها ، وانعكست على مفرادتها وتراكيبها صورة مفاهيمهم وتصوراتهم[1] ، ومن أكثر تلك اللغات تأثرا ببيئتها ومحيطها على مرّ العصور ، اللغة العربية ؛ فعنذ نشأة علم النحو ، كان الشعر مصدرا من مصادر الاستدلال لقواعد النحو ، وحجة دامغة لإثبات قاعدة أو نفيها . فظهرت أول الأمر المدراس النحوية في العراق في كل من الكوفة والبصرة ، ونبغ فيها النحويون واللغويون ، من أمثال سيبويه والمبرّد في البصرة ، والكسائيّ والفرّاء في الكوفة ، وغيرهم من العلماء ، ثم استمرت جهود النحويين حتى وصلت المدارس النحوية كلا من بغداد والأندلس ومصر [2] ، واستمر هذا الجهد الحثيث متواصلا حتى وصل إلى العصر الحديث ، فظهر علماء ودارسون جعلوا من النحو هدفهم في التطوير والنهضة العربية الحديثة .

لم يكن النحو ليتوقف عند صورة معينة ، وإنما أتيح له أن يأخذ أبعادا أخرى مختلفة جعلت منه عمادا لها وركيزة من ركائزها ، والدليل على ذلك الدراساتُ النحوية المعاصرة في كافة الميادين الإنسانية من شعر ونثر وفقه وحديث ، وهذا ما جعل من النحو أكثر تخصصا وتعمقا من ذي قبل ، فقد أفردت لكل دراسة أو بحث فكرة يقوم الباحث على استجلائها .

ومن هنا قامت فكرة البحث على أساس مبنيّ على اعتماد علم النحو وسيلة لفهم النصوص الشعرية لديوان محمود سامي البارودي ودراستها ، والهدف من ذلك التوصل إلى نتيجة علمية يتم استنتاجها لتقود البحث إلى معرفة نمط الجملة وتركيبها في ديوان البارودي . وقد قسّمه المحققان تقسيما تقليديا معتمدين فيه على الترتيب الألفبائي ، حتى ظهر الديوان على شكل مجلد واحد ضخم ضمّ إحدى وثلاثين وسبعمئة صفحة ، في أربعة أجزاء مجموعة .

---

[1] = انظر : محمد المبارك – فقه اللغة وخصائص العربية – ط7 – 1981م – دار الفكر – ص246.

[2] = انظر : شوقي ضيف – المدارس النحوية – ط7 – دار المعارف – ص6، ص7.

لقد أفدتُ في هذه الدراسة من المنهج الوصفي الذي يُعنى بتحليل النصوص تحليلا وصفيا يتم فيها وصفُ النص وشرحه ، واتباع خطوات مدروسة ومنظّمَة في معالجة الظّواهر النحوية ، ليتم الاختبار والتّجريب عليها . وقد يكون الانتقاء منوّعا في كافة أجزاء الديوان حتى لا تنحصر الدراسة على نقطة واحدة ، ولتكون النتائج مبنيّةً على مسح شامل للظّواهر ، وبعد الانتقاء تأتي مرحلة الدراسة الخاصّة لبعض الحالات ، أي اتّخاذ بعض الحالات المدروسة أنموذجا . بالرجوع إلى أمهات الكتب النحوية من المصادر المعروفة ، ومن أهمها " كتاب سيبويه " . ولم أغفل الإفادة من المراجع الحديثة التي درستْ تراكيب الجمل ، من ذلك كتاب " بناء الجملة في الحديث الشريف في الصحيحين " للدكتور عودة أبو عودة، والذي قدّم فيه للقارئ العربي أنموذجا قيّما يمكّنه من فهم الأحاديث النبوية الشريفة فهما نحويا دقيقا بالرغم من اختلاف المنهج والمادة المدروسة ، وكذلك كتاب " الجملة العربية تأليفها وأقسامها " للدكتور فاضل السامرائي ، وكتاب " بناء الجملة العربية " للدكتور محمد حماسة ، وثمة بحوث ورسائل لنيل درجات علمية تناولت بناء الجملة بالدرس من ذلك : (بناء الجملة العربية في ديوان النابغة) ، لمجهد الديلمي . و(بناء الجملة العربية في ديوان طرفة ابن العبد) لطالب إسماعيل . و(الجملة العربية في ديوان امرئ القيس) ، وغيرها من البحوث التي ما زالت حتى وقتنا هذا تشغل اهتمام الباحثين والدارسين.

أما الدراسات السابقة التي تناولت شعر البارودي من الجانب النحوي فلم أعثر على بحث أو كتاب أفرد لشعر البارودي دراسة نحوية مفصلة ومتخصصة ، وأرجو ألا أكون مبالغا ، ولعل مردّ ذلك إلى أن الباحثين والدارسين والشعراء لم يُعنَوا بطريقة بنائه للجملة في شعره ، وإنما أخذوا في عين الاعتبار لغته الأدبية أو الفنية دون الحديث عن الجوانب النحوية فيها والتي لها الفضل في إبداعه .

لا شك أن الدراسة النحوية للنصوص الأدبية وخاصة الشعرية ليست جازمة القطع في الحكم على الشاعر أو لغته الفنية ، وأعني بذلك أنها لا تُعنى بدراسة الدلالات والمعاني والأفكار التي يحملها النص ، ولا تلتفت إلى الجوانب العاطفية أو التاريخية التي مرّ بها الشاعر في مراحل حياته المختلفة ، ولكنها في الوقت نفسه تقود إلى نتيجة حتمية يتم منها معرفة المستوى اللغوي والثقافي للشاعر ، ومدى إفادته من التراكيب الشعرية القديمة التي نهل منها مادّته الشعرية ، بالإضافة إلى الالتفات إلى عنصري التجديد والابتكار في ترتيب البيت الواحد .

يقوم البحث على دراسة التركيب النحوي للجملة ، والبناء العام للقصيدة الواحدة ، أو البيت الواحد، مستعرضا في كل مسألة من مسائل النحو المعروضة شواهدَ من شعر البارودي ، بما يغذي المسألة المطروحة ويوضحها للقارئ ، ولا يتعدى هذا البحثُ إلى دراسة كافة النماذج الشعرية في ديوان البارودي.

من أهم الأسباب التي دفعتني إلى اعتماد شعر البارودي أنموذجا للدراسة هو الرغبة في تطبيق قواعد النحو ودراسة النصوص الشعرية الحديثة ، وعلى رأسها شعر محمود سامي البارودي، إذ يرى أحمد الزيات أنه : (إن كان لامرئ القيس فضلٌ في تمهيد الشعر وتقصيده ، ولبشّار في ترقيته وتجويده ، فللبارودي كل الفضل في إحيائه وتجديده)[1]. وقد قال ذلك المستشرق ريجيس بلاشير في معرض حديثه عن المتنبي وشخصيته ، فقال : إن البارودي (تدين له الآداب العربية بنهضتها الحديثة)[2] ، ويقول فيه أحمد قبّش : (يدين الشعر العربي الحديث للبارودي بأنه النموذج الحيّ الذي احتذاه الشعراء من بعده وساروا على نهجه في أسلوبه وأغراضه ؛ ذلك لأنه أتى بشعر جزل ، رائق الديباجة ، عذب النغم في حقبة ساد فيها شعر الضعف والصنعة والضحالة وعقم الخيال . ثم إنه مثّل عصره أتمّ تمثيل وكان صدى لحوادث بيئته)[3] ، ولا شك أن دراسة نصوصه دراسة نحوية سوف تقودنا إلى الوقوف عن كثب على بدايات الشعر العربي الحديث بعد عصر الانحطاط .

يعكس بناء الجملة في شعر البارودي الصورة النهائية التي توصل إليها الشاعر في قراءاته الشعرية القديمة ؛ لأنه لم يحصل عليها من بيئته المحيطة التي لم تكن تنطق الفصحى في حياتها اليومية ، بالإضافة إلى أن العثمانيين حكموا مصر في تلك الحقبة ، فلم تكن إفادته منهم بقدر ما أفاد من دواوين الشعراء القدامى ، وقد كان البارودي واسع الثقافة كثير القراءة والمطالعة، وهذا من شأنه أن يثري تركيب جملته وينوّع منها ، لتظهر للقارئ مزيجا من الأشكال والصور المطبوعة والمتناسقة في لوحة واحدة .

يهدف البحث إلى توضيح نظام الجملة بشكل عام ، كالجملة الاسمية والفعلية ومكملات الجملة ، من حيث ما فيها من تراكيبَ وأبنية ، ملتفتا في ذلك إلى النفي والاستفهام والنداء والأمر والنهي ، وما يمكن أن ينشأ من تلك التراكيب كالتقديم والتأخير والحذف والتعريف والتنكير ، لملاحظة التراكيب النهائية التي توصل إليها البارودي في شعره ، وبما أنه يعد رائد الشعر العربي الحديث فإن ذلك ينعكس حتما على نتائج البحث التي سيُتوصل إليها ، فمن شأن ذلك أن يساعد القارئ على معرفة الركائز الأساسية التي قام عليها الشعر الحديث منذ نشأته وحتى اليوم .

---

[1] = أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي – دار نهضة مصر – القاهرة – ط2 – ص 493.

[2] = ريجيس بلاشير – أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي – ترجمة إبراهيم الكيلاني – دار الفكر – ديوان المطبوعات الجامعية – ص 425.

[3] = أحمد قبش – تاريخ الشعر العربي الحديث – دار الجيل – بيروت – ص 20.

أما صلب هذه الدراسة فقد قام على مقدمة موجزة عن الرسالة وأهميتها وأبرز الصعوبات التي واجهت الباحث فيها ، وتمهيد ضمّ نبذة مختصرة عن حياة الشاعر وبيئته وعصره ، والحديث عن آراء المعاصرين في شعر البارودي بالإضافة إلى الإشارة إلى الجملة ومعناها لغة واصطلاحا .

وفي البحث ثلاثة فصول ، هي في الحقيقة أقسام الجملة التي أجمع عليها النحويون، وأعني بالجملة هنا التي لها محل من الإعراب كجملة الخبر ، وجملة الصفة ، وجملة الحال ، وشبه الجملة . ولم أتعرّض بالكلام للجمل التي لا محلّ لها من الإعراب كجملة الصلة ، وجملة جواب القسم ، والجملة الاستئنافية . وقد اجتمعت في الفصول مباحث مشتركة كالتقديم والتأخير ، والنفي ، والاستفهام والتعريف ، والتنكير ؛ حتى يتسنّى للقارئ الموازنة والمقارنة بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ومكملات الجملة ، مستدلا في كل فصل بشواهدَ كافيةٍ من ديوان البارودي. أما فصول الرسالة فهي :

- الفصل الأول : بناء الجملة الاسمية في شعر البارودي :

وقد تناولت في المبحث الأول الحديثَ عن أنواع الجملة الاسمية وأقسامها ، وعن ركني الجملة الاسمية ، أي المبتدأ والخبر وتعريفهما ، وأشكال المبتدأ في شعر البارودي من حيث إنه يأتي في شعره اسما ظاهرا أو ضميرا أو مصدرا مؤولا . وكذلك الحال في الخبر المفرد والجملة وشبه الجملة. وجاء المبحث الثاني ليشمل التعريف والتنكير في كل من المبتدأ والخبر ، والحديث عن المعارف والنكرات ، والحالات الغالبة على كل واحد منهما ، وميول الشاعر إلى استخدام التعريف أو التنكير .

أما المبحث الثالث فقد درس حذف المبتدأ أو الخبر ، واستعمال الشاعر له في القصائد المطولة ، ومدى حاجته إليه وأهميته عنده . ويليه المبحث الرابع وهو التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر ، ومسوّغات تقديم أحدهما على الآخر من حيث وجوبُ التقديم أو التأخير ، أو جوازه ، وفي كل قسم منها ذكرت الشواهد الشعرية من ديوان البارودي ؛ لأهمية ذلك في معرفة قدرة البارودي على التقديم والتأخير. أما المبحث الخامس فعن النفي في الجملة الاسمية ، إذ يكون النفي في الجملة الاسمية على صور مختلفة ، فقد تنفى الجملة الاسمية بالحرف ، أو الاسم ، أو الفعل الجامد الذي يدخل على الجملة الاسمية كـــ " ليس " وغيرها ،

وفي المبحثين السادس والسابع أدوات الاستفهام والشرط في الجملة الاسمية ، كحـــروف الاستفهام الداخلة على المبتدأ والخبر ، وهما " الهمزة ، وهل " ، بالإضافة إلى أسماء الاستفهام المستخدمة في شعر البارودي ، وأدوات الشرط وعملها في الجملة الاسمية ، وطريقة بناء البارودي للجملة الشرطية في شعره . وفي المبحث الثامن كلام على نواسخ الجملة الاسمية ، وكيفية عملها ، ومدى إفادة البارودي منها ، وأثرها في تغيير نظام الجملة الاسمية .

- الفصل الثاني : الجملة الفعلية في شعر البارودي :

وقد ضمّ المبحث الأول منه أجزاء الجملة الفعلية من حيث اللزوم والتعدية ، واختلاف الأفعال اللازمة والمتعدية في استعمالها ، وتنوّع الأفعال المتعدية لتشمل الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد ، والأفعال المتعدية إلى مفعولين ، والمتعدية منها إلى ثلاثة . واستقلّ المبحث الثاني بالحديث عن الأفعال الجامدة لأنها تشكل زخما كبيرا في شعر البارودي ، ومدى تأثر نظام الجملة عنده بالأفعال الجامدة . وجاء المبحث الثالث متضمنا الأفعال الناقصة وكيفية عملها ، وعرض المبحث الرابع المبني للمعلوم والمبني للمجهول في أجزاء الجملة الفعلية ، وأثر ذلك على بناء الجملة الفعلية ، وإظهارالفرق بين مواضع استخدام الفاعل ونائبه في شعر البارودي .

ثمّ تلاها المبحث الخامس وهو النفي والنهي في النظام البنيوي للجملة الفعلية ، ومن المعلوم أن الفعل يتم نفيه أو نهيه بدخول أدوات النفي أو أدوات النهي ، وسيتم معرفتها في هذا المبحث من معرفة المواضع التي استخدمت فيها . أما المبحث السادس فهو الاستفهام في الجملة الفعلية ، وأعني بذلك دخول أدوات الاستفهام على الفعل الماضي والمضارع . والمبحث السابع تناول أسلوب الشرط وارتباطه بالجملة الفعلية .

- الفصل الثالث : مكملات الجملة :

وقد عرض هذا الفصل معنى مكمّلات الجملة وأقسامها ، وقد انفرد كل نوع من أنواع مكملات الجملة في مبحث مستقلّ تعرّضتُ فيه إلى معناه ووظيفته التي أدّاها في شعر البارودي، والمواضع التي نالها نصيبٌ وافر من استعمال الشاعر له ، ثم الحديث عن التقديم والتأخير إن وُجد في إحدى هذه المباحث . ومباحث هذا الفصل هي :

المبحث الأول وفيه حديث عن المفعولات وأقسامها ، لأنها تمثّل حيّزا كبيرا من شعر البارودي ، وخاصة المفعول به ، والتقديم والتأخير في المفعول به . أما المبحث الثاني فتناول الحديث عن الحال بأنواعه ، كالحال المفرد ، والحال الجملة ، والحال شبه الجملة . والمبحث الثالث فعن التمييز ، وتناولتُ فيه معناه واستعمالاته وأشكاله في شعر البارودي . أما المبحث الرابع فهو المنادى ، وقد استحق المنادى التفصيل ؛ لأنه باب طويل في النحو له صور مختلفة .

وختمت البحث بالخلاصة التي توصل إليها هذا البحث على شكل نقاط ، ليتسنى للقارئ معرفة الحاجة لمثل هذه البحوث النحوية ، ولتكون نبذة سريعة أعرض فيها ما قدّمته للقارئ .

أما دوافع دراسة شعر البارودي ، فهي :

1- أن شعر البارودي يمثّل شعر النهضة في العصر الحديث ، وهذا باتفاق العلماء المعاصرين، فله الفضل في إعادة إحياء الشعر وبعثه . ودراسة شعره تعدّ دراسة عامة للنموذج الأول للشعر الإحيائي .

2- أنه لم تقم دراسة نحوية متخصصة باعتماد شعره مادة للدرس النحوي ، وإن يكن ثمة مقالات صغيرة أو بحوثٌ قليلة فهي لا تربو إلى مكانة البارودي بين شعراء النهضة الحديثة.

3- أن النظام اللغويّ العام للجملة في شعر البارودي قد استحق آراء مختلفة بين من رأى أنه شاعر متكلف ، وأنه لم يكن (مبتكر معان ولا مبتدع أساليب ، ولكنه كان رائض قوافٍ وصانع قريض. قد كلِف بالنغمة ؛ وانصرف إلى الصنعة ، فآثر المعنى الضئيل في اللفظ الجزل ، على المعنى البليغ في اللفظ الغثّ ، وقد أجاد وأبدع في الفخر والحماسة والوصف)[1] ، وبين من رأى أن عنده روحَ التجديد والإحياء ، وأن (تقليد البارودي لم يصرفه عن فكرته التجديدية التي انبثقت من طبيعته وخلقه . فهو يرى أن الشعر مرآة العصر ، ويرى أن الشعر ميت إذا بقي بعيدا عن حياة العصر والبيئة . ولذلك أراد أن يجمع بين مجاراة الأقدمين والتمشي مع المحدثين، فعالج في ديوانه أغراضا مستحدثة ، وعمد إلى أساليبَ مستقاة من العصر)[2].

4- أن الجملة عند البارودي متنوعة ، وتراكيبه الشعرية متعددة ، إذ لا يقتصر على تركيب واحد للجملة ، وإن لم يخلُ شعره من التكرار .

ولقد واجهت هذه الدراسة صعوبات شتى من جرّاء اعتماد الدراسة على النحو في قراءة النصوص الشعرية ، وهي :

1- أن دراسة شعر البارودي يتطلب قراءة ديوانه ، مما يفرض على البحث نوعا من الإطالة والتفصيل .

2- أن المنهج الوصفي لا يُعنى بعملية الإحصاء التام للنماذج المدروسة ؛ لذا فإن النتائج المسخلصة من البحث عامة لا تقوم على دراسة العيّنات جميعها .

3- أن فصول البحث ليست إلا أبوابا تقوم عليها مباحث ومسائل كثيرة ، لا يمكن حصرها في كتاب واحد .

[1] = أحمد الزيات – تاريخ الأدب العربي – مرجع سابق – ص 493.

[2] = حنا الفاخوري – الموجز في الأدب العربي وتاريخه – ط2 – 1991م – دار الجيل – بيروت – ج4/ص445.

التمهيد :

اهتمت كتب التاريخ والتراجم الحديثة بحياة البارودي ، فذكر المؤرخون أن اسمه هو محمود سامي بن حسن حسني بن عبد الله البارودي ، الجركسي الأصل ، المصري . أديب شاعر، من القادة العسكريين . ولد بالقاهرة لثلاث بقين من رجب عام تسعة وثلاثين وثمانمئة وألف للميلاد ، وتعلم بها في المدرسة الحربية ، ورحل إلى القسطنطينية فأتقن الفارسية والتركية ، وعاد إلى مصر فكان من قادة الحملتين المصريتين لمساعدة تركيا الأولى ، وقد اشترك بالثورة العُرابية ، وقبض عليه الإنجليز، ثم سُجن وحُكم بإعدامه ، وقد تمّ إبدال الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان حيث أقام سبعة عشرَ عاما تعلم الإنجليزية فيها ، ثم كُفّ بصرُه ، وعُفي عنه فعاد بعدها إلى مصر ، وتوفي بالقاهرة في شوال من عام أربعة وتسعمائة وألف للميلاد [1] .

تأثر البارودي بوفاة أبيه في صغره فعُني بتأديبه بعضُ أهله ، وأدخلوه المدرسة الحربية فتعلم الفنون العسكرية وخرج منها ضابطا . وكان وهو غضّ الحداثة مولعا بحفظ الشعر وإنشاده، فأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء العرب حتى شبّ فصيح اللسان ، مطبوعا على الإعراب دون علم بالنحو [2].

إن النهضة العربية مطلع القرن التاسعَ عشر أعادت إلى الأذهان أمجاد العرب وحضاراتهم ، مـا دعا الشعراء إلى أن يوحدوا صفوفهم لنهضة عربية واعدة ، وقد تمّ لهم ذلك على يد سليل المماليكِ محمود سامي البارودي ، ولا شك أن العصر الذي عاش فيه البارودي (كان صورة مشوهة من آثار القرون الأخيرة المظلمة ... فجلاه في خاطره ، وصقله في لسانه، فجاء منضد اللفظ نقيّ المستشفّ)[3] ، وقـد عكف البارودي منذ نعومة أظفاره على قراءة الشعر العربي القديم والتعلق فيه ، إلى الحد الذي انطلقـت فيه قريحته الشعرية ، وبرزت سليقته العربية الأصيلة تظهر مكنونات الشعر العربي القديم وتحيي معالمه وآثاره ، (والحق أن أثر القراءة والحفظ ظاهر في شعر البارودي . ومـن يطلـع علـى " مختـارات البارودي" يشهد بحسن ذوقه ، ودقة اختياره ، وتأنقه في غذاء عقله ، كما يشهد بكثـرة محفوظـه . ولا نعجب بعد هذا حين نرى البارودي متملكا ناصية اللغة يتصرف فيها تصرّف الخبير بأسرارها ، المطبوع على التكلم بها)[4] .

---

[1] = انظر : عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ج12/ص 165.

[2] = انظر : أحمد الزيات – تاريخ الأدب العربي – مرجع سابق – ص 492

[3] = أحمد الزيات – تاريخ الأدب العربي – مرجع سابق – ص 493

[4] = عمر الدسوقي – في الأدب الحديث – ط8 – 1973م – دار الفكر ج1/ ص232.

ومما لا شك فيه أن الأدب بنوعيه الشعر والنثر يقتضي أن يكون صاحبه على ثقافة واسعة تمكنه من التعبير بصورة سليمة عما يريد ؛ لأن الشعر العربي لا يقدر على قوله جميع الناس، ومن المعروف أن البارودي أفاد كثيرا من قراءاته ومحفوظه للثقافة العربية وغيرها ، فقد كانت (قراءة كتب الأدب والتاريخ وحفظ الشعر المنتقى الجيد هي عماد ثقافته الأدبية . على أن البارودي قد اطّلع على آداب أخرى غير الآداب العربية ، فحينما ذهب إلى الآستانة وهو في شبابه ، والتحق بوزارة الخارجية عكف على دراسة التركية والفارسية ، ونظم الشعر بهما كما كان ينظمه بالعربية . أضفْ إلى هذا ما رُوي من أنه تعلم الإنجليزية وهو في منفاه ، وترجم بعض آثارها ؛ وهذه اللغات المتعددة لها أثرها ، ولا ريب ، في معانيه وأخيلته ، وتصويره للحوادث)[1] ، وما دام الأمر مقتضيا ذلك الحكم ، فإن مجال البحث في شعر محمود سامي البارودي ليس محضَ دراسة نحوية فحسب هدفها قراءة شعر البارودي قراءة نحوية سطحية ، بقدر ما هي دراسة علمية تتطرق إلى طريقة نظمه الشعري ، وبنائه للجملة الواحدة وربطها بغيرها مما يشكل نسيجا متلاحما في أجزاء القصيدة الواحدة ، وكل هذا مما لا سبيل إليه إلا باعتماد الشاعر للنحو واللغة أداة يستعين بها في كتابته الأدبية، وإنجاز عمله الشعري . وتأليفُ الكلام شعرا أو نثرا لا يتمّ في الجملة ما لم يربط بعضه ببعض ، فيحمل كل جزء من أجزاء الجملة معنى واحدا يستقر في ذهن المتلقي ، شأنه في ذلك شأن اللوحة التي يرسمها الفنان ، تختلف ألوانها اختلافا يخدم الفكرة التي توحي بها ، واللوحة والرسام مثلهما مثل القصيدة والشاعر ، تجد فيها العناصر المختلفة ممزوجة بعضها ببعض ، والتراكيب متناسقة تارة ومتقابلة تارة أخرى ، ولكنك إذا نظرت إلى مؤدى البيت الواحد في القصيدة ، تجده جزءا لا يتجزأ منها . لذا فقد أحال الجرجاني الأذهان إلى نظم الكلام ، فيرى أنه لا يتأتّى النظم في الكلام حتى يعلق بعضه ببعض ، ويُبنى بعضه على بعض ، وذلك يستدعي معرفة في النحو تمكن صاحبه من جعل الاسم فاعلا أو مفعولا ، فتقيم الاستفهام أو التمني أو الإثبات بما يتلاءم والمعنى[2] .

إن الحديث عن بناء الجملة بشكل عام هو بحد ذاته حديث عن مجمل أبواب النحو ؛ لأن الخوض في الأحكام العامة يشمل الحديث عن الأحكام الجزئية الخاصة ، وليس العكس بالضرورة، (ولا تنحصر أهمية دراسة الجملة من هذه الناحية في التعرف على التقاليب الممكنة التي يخرج فيها الكلام ، بل تتجاوز ذلك إلى التعرف على الجملة ذاتها بالاعتماد على عناصرها المكونة وإلى خصائص البنية فيها ووجوه ارتباطها ببقية أجزاء الكلام ، فإلى النظام العام المحرك للغة)[3] .

إن الجملة الاسمية أو الفعلية على حد سواء تتكونان من جزأين ، وهما المسند والمسند إليه، وهما على فروعهما يشملان بالذكر الاسم والفعل والحرف ، والمقصود بالاسم المبتدأ أو الخبر المفرد،

---

[1] = عمر الدسوقي – في الأدب الحديث – مرجع سابق – ص233.

[2] = انظر : عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – تعليق محمد رشيد رضا – دار المعرفة – 1981م – بيروت – ص44.

[3] = زين كامل الخويسكي – الجملة الفعلية منفية واستفهامية ومؤكدة – مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية – ج2/ص277.

والأسماء الظاهرة من فاعلين ومفعولات ، ثم إن الفعل بأقسامه الثلاثة : الماضي ، والمضارع ، والأمر ، يظهر في الجملة الاسمية من تعلقه بالخبر ، وهو أساس الجملة الفعلية . أما الحرف فيتعلــق بـــالجملتين الاسمية والفعلية ؛ لأن وظيفته في الجملة أن يربط بين أجزائها .

لقد كان اهتمام النحويين على مدى العصور شاملا وكاملا ، بحيث لم تُترك مسألة في النحــو إلا وقد ألف النحويون حولها الكتب ونُشرت فيها البحوث والدراسات ، (ومن هنا وجّه علماء اللغة دراستهم للنصوص الأدبية بالكشف عن الوحدات اللغوية لتحليلها ووضع قوانين تشكيلها وكيفية أدائهـــا لوظيفتهـــا الدلالية . ووجدوا في الشعر مادة خصيبة لدراستهم بوصفه نظاما لغويا مميزا ، فعكفوا علـــى الوحـــدات اللغوية عند بعض الشعراء يطبقون عليها مناهجهم اللغوية الحديثة ، ويثرون بذلك الدراسة الأسلوبية التي يتعانق فيها الحس الجمالي بالاتجاه العلمي اللغوي. ومن الطبيعي أن يتجه شباب الباحثين العرب الـــذين تخصصوا في الدراسات اللغوية الحديثة إلى تراث الشعر العربي)[1] ، ثم ظهرت الدراسات النحوية التـــي تعالج بناء الجملة في القرآن الكريم والشعر ، وحتى في الحديث النبوي الشريف (لعلها أن تكشف أنظارا لغوية جديدة لم تستوعبها القواعد النحوية المدوّنة)[2] ، وذلك من منطلق مجاراة اللغـــة العربيـــة لكافـــة الأزمنة التي مرت بها، وإن يكن ثمة انحسار أو ركود في عصر من العصور فمرده إلـــى الحـــروب أو الجهل اللذيْن أعملا في أهل العربية التخلف عن مجاراة الأمم .

تشتمل هذه الدراسة على البناء النحوي للجملة في شعر البارودي الذي اشتمل على نحو ثلاثة آلاف بيت ، والغرض من ذلك هو قراءة شعره الذي حققه علي الجارم ، ومحمد شفيق معروف؛ بغرض فهم بناء الجملة في الديوان على نحو عام ، ومن ثَمّ ملاحظة ما يمكن ملاحظته من تراكيب وأنماط نحوية. وعلة ذلك هي أن البارودي يعدّ رأس الهرم في الشعر الحديث ، وأول الإحيائيين للتراث ، لذا فليست دراسته وحدها مقتصرة على شعره مجردا ، وإنما القصد منها دراسة التركيب والبناء النحوي الذي اعتمد أساسا عند البارودي ليكون نموذجا من الشعر الإحيائي الجديد لدى كثير من الشعراء بعد البارودي .

وقد سبقت هذه الدراسةَ بحوث ورسائل مختلفة اشتملت الحديث عن بناء الجملة من ذلك كتاب الدكتور عودة أبو عودة " بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف " ، والذي اقتصر فيه على دراسة الأحاديث الصحيحة في صحيحي البخاري ومسلم ، وإن كان منهجه مغايرا لهذه الدراسة ، لأن دراسته (تتوجه إلى استقصاء أنماط الجملة وصور بنائها في الحديث الشريف)[3] ، ولعل مثل هذه الدراسات تقود

[1] = زين كامل الخويسكي – الجملة الفعلية منفية – التقديم محمد مصطفى هدارة – مرجع سابق .

[2] = عودة خليل أبو عودة – بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين – دار البشير – ط1– 1985م – ص49.

[3] = المرجع السابق نفسه – ص49

البحث إلى نتائج وملاحظات مفيدة ، كأن نخلص إلى الحكم بأنه (لا توجد في الحديث الشريف جملة فعلية بسيطة تقتصر على المسند والمسند إليه . ولو وجدت مثل هذه الجملة فإنها لا تقوم وحدها ، لا بد من قراءتها في سياقها والموقف الحيّ الذي قيلت فيه حتى يفهم معناها)[1]، فهذه النتيجة ما كانت لتتأتى للباحث لولا إحصاؤه لبناء الجملة وتركيبها في الحديث النبوي الشريف ، واستقراؤه للنصوص الشريفة اعتمادا منه على علم النحو .

<u>الجملة معناها لغة واصطلاحا :</u>

ذكر ابن منظور في تعريف الجملة لغة أن الجملة واحدة الجُمل والجملة هي جماعة الشيء . وأجملَ الشيء عن تفرقة ، أجمل له الحساب كذلك ، والجملة أيضا : جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره . يقال : أجملت له الحساب والكلام ؛ قال الله تعالى : {لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة }[2] ، وقد أجملت الحساب إذا رددته إلى الجملة ، وأجملت الحساب إذا جمعت آحاده وكمّلت أفراده)[3] ، وقال ابن فارس : (قولك : أجملت الشيء ، وهذه جملة الشيء ، وأجملته حصّلته)[4].

تحتمل لفظة " الجملة " دلالات مترادفة في الأذهان كالكلام ، واللغة ، والقول . وتشير كلها إلى معان مترادفة وقريبة من الذهن ، وعادة ما تستعمل في اللغة العربية في السياق نفسه ، ولم يجمع النحويون في تعريفهم للجملة اصطلاحا على معنى مشترك ، فقد أشار ابن هشام في تعريفه للكلام أنه يطلق في اللغة على الجمل المفيدة [5] ، كقوله سبحانه وتعالى : { كلا إنها كلمة هو قائلها }[6] .

وقد ذكر السيوطي في كتاب " همع الهوامع " أن طائفة من النحويين لم تفرق بين الجملة والكلام ، بل جعلوا اللفظتين مترادفتين ، ولكن السيوطي يرى أن الجملة أعمّ من الكلام ؛ لأن شرط الكلام الإفادة بخلافها [7] ، والذي عليه جمهور النحويين هو أن ثمة فرقا بين الكلام والجملة، فالكلام يشترط فيه أن يكون

---

[1] = المرجع السابق نفسه – ص153.

[2] = سورة الفرقان ، 22.

[3] = جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور – لسان العرب – دار صادر– بيروت – ط2 – 1412هـ/ 1992م – " ج م ل " – ج11/ص128 .

[4] = أحمد بن فارس بن زكريا – معجم مقاييس اللغة — تحقيق عبد السلام هارون – ط 2– 1389 – 1969– مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر– " ج م ل " – ج 1/ص 481 .

[5] = انظر : ابن هشام الأنصاري – شرح قطر الندى وبل الصدى – تحقيق محمد محي الدين – مطبعة السعادة – ط 11 – مصر – 1383هـ 1963 – ص11.

[6] = سورة المؤمنون ، 100 .

[7] انظر : جلال الدين السيوطي – همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – تحقيق أحمد شمس الدين – ط1 – دار الكتب العلمية – بيروت – 1418هـ/1998م – ج 1/ ص 37 .

مفيدا ؛ لأنه أعمّ من الجملة ، بخلاف الجملة ، فربما كانت الجملة سليمة في بنائها النحوي ، ولا تتحصل بها الإفادة في المعنى ، والكلام لا ينطبق إلا على المفيد خاصة ، أما الكَلِم فينطبق عموما على المفيد وعلى غير المفيد [1] ، ويرى السيرافي في شرحه معنى قولهم : " الكلِم " عند سيبويه أنه قد يكون أراد بالكلم الاسم والفعل والحرف الذي جاء لمعنى ، وهذه الجملة هي اسم وفعل وحرف ، هنّ بعض العربية ، لأن العربية جملة وتفصيل ، وليست هذه الجملة كلَّ العربية، والدليل على ذلك أنه ليس من أحاط علما بحقيقة الاسم والفعل والحرف أحاط علما بالعربية كلها [2] .

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن الجملة هي المركب الذي تتم به الفائدة ، إذ (لا نظمَ في الكلم ولا ترتيب حتى يعلَّق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك)[3]، غير أن بعض النحويين يرى أن الإفادة في الكلام لا في الجملة ، فتركيب قولك : (قام زيد) . هو جملة وكلام ، لشموله المعنيين ، فقد تحصل في التركيب الإفادة ، في حين أن التركيب قد اقتصر على الفعل والفاعل . غير أن الجملة قد تكون شرطية لكنها لا تفيد معنى في الذهن ، كتركيب الجملة الشرطية في قولك : (إنْ قام زيد) ولم تتبع فعل الشرط بالجواب ، فيكون ذلك جملة لا كلاما [4].

وفي الحديث عن طبيعة أقوال النحويين عن الجملة في صورتها النحوية ، فلعل أول نحوي استخدم هذه اللفظة في حديثه عن الفاعل هو المبرد في المقتضب ، إذ يقول : (وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت ، وتجب بها الفائدة للمخاطب)[5]. ولم يَرِد الحديث عن الجملة بمفهومها الاصطلاحي في كتاب سيبويه . فلم يعرض سيبويه إلى كلمة "جملة" واستغنى عنها بلفظة "كلام"، فقد أفرد سيبويه في باب " علمُ ما الكلم من العربية " قوله : (فالكلم : اسم ، وفعل ، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)[6] ، وقد فصّل في كل واحد منها، ولم يذكر في تعريفه للكلام وأقسامه لفظة " الجملة ".

---

[1] = أبو البركات الأنباري – أسرار العربية – تحقيق بركات هبود – ط1– دار الأرقم – 1420هـ / 1999 م– ص 35.

[2] = انظر : السيرافي – شرح كتاب – تحقيق رمضان عبد التواب ومحمود حجازي ومحمد عبد الدايم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1986م – ج1/ص50.

[3] = الجرجاني – دلائل الإعجاز – تعليق محمد رشيد رضا – دار المعرفة – 1981م – بيروت – ص44.

[4] = انظر : ابن هشام الأنصاري – شرح شذور الذهب – تحقيق محمد محيي الدين – ط1 – 1995م – المكتبة العصرية – بيروت – ص54.

[5] = أبو العباس المبرد – المقتضب – تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – 1415هـ/1994م – القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ج1/ص146

[6] = سيبويه – الكتاب – تحقيق عبد السلام هارون – ط3 –1408هـ/ 1988م – مكتبة الخانجي – ج1/ص12.

أما المراد بقولنا : (بناء الجملة) . فهو تركيبها النحوي ، حيث إن تأليف الجملة هو ميدان الدراسة النحوية ، فليس بناء الجملة معنيّا بدراسة الأصوات ، أو حتى الأوزان الصرفية لبنية الكلمة نفسها ، ولكنه يدرس النظام نفسه الذي على أساسه تم ربط الكلمة بالكلمة . ويرى أبو علي الفارسي أن الجملة ائتلاف الاسم مع الاسم ، أو الفعل مع الاسم ، ويدخل الحرف على كل واحد من هاتين الجملتين ، فيكون كلاما [1] . وقولنا : " النحوية " . إشارة إلى النحو ، وهو : علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها ... فيحتاج من أجل ذلك إلى تبيين حقيقة الكلام ، وتبيين أجزائه التي يأتلف منها ، وتبيين أحكامها [2] ، الأمر الذي دعانا إلى الحديث عن الكلام ومعناه وعلاقته عند النحويين .

وقد عرّفه ابن جني تعريفا موجزا يختصره في جملة ، إذ يقول في كتابه الخصائص : (النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ، كالتثنية ، والجمع ، والتحقير ، والتكسير ، والإضافة ، والنسب ، والتركيب ، وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم ؛ وإن شذ بعضهم عنها رُدّ به إليها)[3] .

تقوم الجملة من حيث محتواها وأقسامها ، على المسند والمسند إليه ؛ وذلك لارتباطها بمعنى الإسناد ، وقد اتُّفِق على أن المبتدأ هو المسند إليه ، وأن الخبر هو المسند في الجملة الاسمية ، وفي الجملة الفعلية يكون الفاعل أو نائبه مسندا إليه ، ويكون الفعل مسندا . وكل ركن من هذين الركنين عمدة لا تقوم الجملة إلا به ، وما عداهما فهو فضلة يمكن أن يستغني عنه التركيب والدلالة ، والجملة نوعان : الجملة الكبرى ، والجملة الصغرى ، (فالكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو : زيد قام أبوه ، وزيد أبوه قائم . والصغرى : هي المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها في المثالين)[4] .

وعند بناء الجملة من مسند ومسند إليه ، فإن الأصل أن تتحقق الإفادة في المعنى ، إلا أنه قد يتم حذف أحدهما نظرا لوقوع المعنى في نفس المتكلم ، وما دامت العبرة في النحو بالصدارة للحكم على الجملة ، فإن لكل جملة وظيفتها الدلالية ، فالجملة الاسمية لا يقترن اسمها بزمن معين، لأن الأسماء هي في دلالتها تخلو من قرينة زمنية ، لأن الحدث المقترن بالزمن بابه الفعل وليس الاسم .

---

[1] = انظر : أبو علي الفارسي – المسائل العسكريات في النحو – تحقيق علي المنصوري – 2002م – دار الثقافة – عمان – ص63.

[2] = انظر : أبو الحسن ابن عصفور – المقرّب – تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض– دار الكتب العلمية – ط1– ص 67 .

[3] = ابن جني – الخصائص – تحقيق محمد النجار – ج1/ص34 .

[4] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج1/ ص51.

وثَـــمَّ تقسيم آخرُ للجملة عند النحويين من جهة أخرى ، فقد قسم النحويون الجملة إلى قـــسمين : الجملة المقصودة لذاتها ، والجملة المقصودة لغيرها ، فالجملة المقصودة لذاتها : هي الجملـــة المـــستقلة بذاتها والتي لا تحتاج إلى معنى آخر يتمم معناها ، كالجملة الاسمية والفعلية . وأما الجملـــة المقـــصودة لغيرها : فهي كالجملة الواقعة خبرا أو نعتا أو حالا أو صلة أو نحو ذلك . وذلك نحو : " أقبل أخوك وهو مسرع " ، فالجملة الاسمية " وهو مسرع " ليست مستقلة بل قيد للجملة قبلها [1] ، وهو تقسيم – ولا شك – يفيد دراستنا ولعل في فصول الكلام القادمة سعةً في هذا الموضوع .

إن النحو بطبيعته لا ينظر إلى تعدد الكلمات في الجمل ، وإنما ينظر إلى التراكيب ، فقد تكـــون الجملة الواحدة مكونة من كلمة ، وربما بلغت من الطول حدا مسرفا ، وهكذا يتميز علم القواعد العربيـــة التقليدية بتركيز الاهتمام الأكبر على الجملة التي تشكل الموضوع المركزي للدراسات النحويـــة. وتحتـــل عندئذ دراسة التركيب الإسنادي أهمية من الدرجة الأولى ، حيث إن جوهر الجملة نفسِها يرجع في نهاية المطاف إلى الإسناد [2] ، وأكثر ما يهم التركيب النحوي في الجملة الواحدة هو العمدة الذي يحدث تغييـــرا في الجملة عند حذفه ، وهو المسند والمسند إليه ، وما دام ذلك كذلك فقد يكون المسند أو المسند إليه مائلا إلى الإطالة أو القصر حسب الحاجة إلى ذلك ، ولا يتأتى للباحث في أمهات كتب النحو أن يجد للجملـــة نوعا أو شكلا واحدا ، بحيث لا يمكن أن تقوم الجملة على نمط واحد أو صورة محددة ، غير أن طبيعـــة كل دراسة تتناول في البحث والتمحيص ضروبا مختلفة منها، كلٌّ يعزى إلى طبيعة الدراسة التي تنطلـــق منها ، وما يعنينا من هذا الكلام كله هو أقسام الجملة، سواء أكانت اسمية أم فعلية ، أم كانت من إحـــدى العناصر غير المؤسسة للجملة من ذلك مكملات الجملة .

[1] = فاضل السامرائي – الجملة العربية تأليفها وأقسامها – ط1 – دار الفكر – ص 12 .

[2] = غراتشيا غابوتشان – نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي – ترجمة جعفر دك الباب – مطابع مؤسسة الوحدة – دمشق – المقدمة .

الفصل الأول :

الجملة الاسمية في شعر البارودي :

من المعلوم أن الجملة الاسمية تعتمد في بنائها على ركنين أساسيين هما المبتدأ والخبر ، أما المبتدأ في الجملة الاسمية فهو المسند إليه ، وأما الخبر فهو المسند [1] ، (وهما مما لا يغني واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا)[2] ، بمعنى أن الخبر (لفظ مجرد عن العوامل اللفظية مسند إلى ما تقدّمه لفظا ، نحو : زيد قائم ، أو تقديرا ، نحو : أقائم زيد ، وقيل : الخبر ما يصح السكوت عليه)[3] ، وقد نظمه ابن مالك في باب المبتدأ حين قال :

مبتدأ زيد ، وعاذر خبر إن قلت " زيد عاذر من اعتذرْ"
وأول مبتدأ . والثاني فاعل أغنى في " أسار ذانِ" [4]

وأقول : أيا يكن نوع الخبر ، فإن المبتدأ يحتم على الجملة خبرا ، يرفع اللبس ويزيل الإبهام ، حتى وإن كان فاعلا سد مسد الخبر ، غير أن الغالب فيه أن يكون أقل استعمالا في الكلام من الخبر الذي لا غنى عنه ، فالعلة في الفاعل الذي يسد مسد الخبر هي اقترانه بالاستفهام في الغالب، أو النفي نحو : ما قائم هذان .

والجملة الاسمية هي الجملة التي تبتدئ باسم ، وابتداؤها باسم يضفي عليها نوعا من الثبات في الجملة ، لأن من صفات الجملة الاسمية أن تدل على الثبات والاستقرار ، وأن الجملة الفعلية تدل على الحركة والاضطراب ، وإذا كانت الجملة الاسمية مجتمعة تدل على الثبات ، فمن باب أولى أن تكون الأسماء كذلك ، لأنها هي التي أكسبت الجملة الاسمية هذه الصفة ، والصحيح أن الاسم نفسه لا الجملة الاسمية مجتمعة يدل على الثبات ، وكذلك فإن الفعل نفسه يدل على الحدوث [5] ، وهذا كلام معقول لأن الجملة بناء ، والبناء يقوم على ما فيه من عناصر وأدوات ، ولا يمكن أن تجد بناء يقوم على نفسه دون ما ذكرت من عناصر وأدوات ، فالاسم والفعل عناصر بناء الجملة ، وهذا مسوغ تقديمنا الجملة الاسمية على الجملة الفعلية .

---

[1] = انظر : يوسف السكاكي – مفتاح العلوم – تحقيق نعيم زرزور – ط2 – دار الكتب العلمية – بيروت – ص135.

[2] = سيبويه – الكتاب – مكتبة الخانجي – مصدر سابق – ج1/ص23 .

[3] = علي بن محمد الجرجاني – التعريفات – ط1 – 1983م – دار الكتب العلمية – بيروت – ص96.

[4] = شرح ابن عقيل – تحقيق محمد محيي الدين – المكتبة العصرية – 2001م – بيروت – ج1/ص177

[5] = فاضل صالح السامرائي – الجملة العربية – دار الفكر – ط1 – 2002 – عمان– ص 162 .

وقد ذكر أبو علي الفارسي علة أن بعض الكلام أثقل من بعض ، إذ يرى أن الأفعال أثقل من الأسماء ، لأن الأسماء هي الأول للأفعال ، ولأنها مأخوذة من نوع منها هو المصدر ، والدليل على أنها مأخوذة منه ، أن الأفعال إذا صيغت للأبنية الثلاثة دل كل بناء منها على حدث مخصوص ، مع دلالته على الزمان ، والمصدر قبل أن يصاغ الفعل منه لا يخص حدثا بعينه ، لكنه يعمّ بدلالة الأحداث الكائنة في جميع الأزمنة ، وحكم الخاص أن يكون من المصدر [1] .

إن الدارس لشعر البارودي دراسة نحوية يلفت نظرَه التشابهُ المتكرر لتركيب الجملة الاسمية فيه، وقد أشار الدكتور فاضل السامرائي إشارة هامة لا بد من الوقوف عليها ، لأنها تخدم هذه الدراسة ، إذ يرى أنه لو كانت الجملة هي التي تدل على الثبات أو الحدوث لم يكن هناك فرق بين جعل الخبر اسما ، أو فعلا مضارعا ، أو فعلا ماضيا في قولك : "محمد ينطلق " ، و" محمد انطلق ". فكل هذه الجمل اسمية من حيث الصدارة لابتدائها باسم [2] ، وهذا الكلام لا يعني ألا تكون ثمة صلة في المعنى بين الخبر الاسم المفرد والخبر الجملة الفعلية ، وإنما هو تجدد في الحدث وتغيّر في الزمان ، وكل ذلك في خبر المبتدأ ، أما أن يحدث تغيير فتصبح الجملة الاسمية جملة فعلية فإن الفجوة في دلالة المعنى تتسع . وعليه فإن الفرق بين : " ضربت زيدا " . و" زيد ضربته " . أنك إذا قلت : ضربت زيدا . فإنما أردت أن تخبر عن نفسك وتثبت أين وقع ذلك ، وإذا قلت زيد ضربته ، فإنما أردت أن تخبر عن زيد [3].

المبحث الأول : أجزاء الجملة الاسمية :

تتألف الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر ، وهما الجزءان الأكثر استعمالاً في التركيب ، ولا شك أن الجملة الاسمية أكثر ثباتاً واستقراراً من الجملة الفعلية كما ذكرنا سابقا ؛ لأن المبتدأ لا يكون إلا اسماً ، والاسم غير مقترن بزمن يدل على وقوعه فيه ، فحيثما كان المبتدأ فالجملة اسمية، وإن تأخر عن خبره أو كان محذوفا ، وليس من اللازم أن يكون الخبر موجودا بوجود المبتدأ ، ففي بنية الجملة جمل اسمية تتكون من المبتدأ فحسب ، ويكون المكوّن الثاني غيرَ الخبر ، وهو ما يسميه النحويون بما يسد مسد الخبر ، وهذا دليل على أن المبتدأ أدلّ من الخبر في الجملة الاسمية .

لعل الطابع العام للجمل الاسمية في شعر البارودي ميّال إلى الجمود والتقليد فبعد النظر إلى الجمل الاسمية ومقارناتها ، نجد ثمة تشابهاً في مطالع القصيدة وخواتيمها على اختلاف أشكال المبتدأ

---

[1] = أبو علي الحسن الفارسي – المسائل المشكلة – تعليق يحيى مراد– دار الكتب العلمية – بيروت – ط 1– 2003م – ص 11.
[2] = فاضل صالح السامرائي – الجملة العربية – مرجع سابق – ص 162 ، ص163.
[3] = انظر : أبو القاسم الزجاجي – الإيضاح في علل النحو – تحقيق مازن المبارك – ط 4 – دار النفائس –1982 م – بيروت – ص 136 ، ص 137 .

وأنواعه ، بحيث يكون كثير من قصائده المطولة على هذه الصورة التي نجدها في قوله مطلع القصيدة الحكمية :

مَن خالف الحزمَ خانته معاذرُه ومن أطاعَ هواه قلَّ ناصرُهُ [1]
ومن تربّص بالإخوان بادرة من الزمان فإن الله قاهرُهُ [2]

ويظهر الابتداء في قوله : (من خالف الحزم ، ومن أطاع هواه ، ومن تربص ...) . ويظهر الخبر جملة فعلية مكونة من : (فعل ماض + مفعول به " ضمير متصل " + فاعل " اسم ظاهر ")، و(فعل ماض + فاعل " اسم ظاهر ") في قوله : (خانته معاذره ، وقلّ ناصره) . أما جملة : " فإن الله قاهره " فهي جملة اسمية منسوخة . ففي هذين البيتين استعمل الشاعر ثلاث جمل اسمية، جعلها في صدر شطري مطلع القصيدة ، وبناها على التركيب نفسه ، من حيث جعل المبتدأ اسما مبهما من أسماء الشرط ، له فعله وجوابه في كل من الشطر الأول في القصيدة من قوله : " من خالف الحزم خانته معاذره " ، وفي الشطر الثاني استعمل التركيب النحوي ذاته للجملة في قوله : " من أطاع هواه قل ناصره ". ولم يكتفِ البارودي بهذا التكرار ، بل زاد عليه أن جعل البيت الثاني كله مبنيا على جملة الشرط الاسمية وجوابها ، واختار جواب الشرط جملة اسمية سبقها حرف ناسخ في قوله : "فإن الله قاهره " . إلى أن ختم القصيدة كلها بجملة اسمية في قوله :

فإن أصبت فعن رأيٍ ملكتُ به علمَ الغيوب ورأيُ المرءِ ناظرُهُ [3]

فكذلك هو الحال في آخر بيت في القصيدة ، في قوله : " ناظره " . فقوله : " ورأي المرء ناظره". جملة اسمية مصغرة تتكون من مبتدأ وخبر ، وتعرف في علم البديع بالتذييل وهو : (أن يؤتى بعد إتمام الكلام بجملة تشتمل على معناه ، تجري مجرى المثل ، لتوكيد الكلام المتقدم وتحقيقه)[4] ، وقد جعل المبتدأ في الجملة السابقة مضافا إلى معرفة ، وهو " رأي المرء " ، والخبر " ناظره " مضافا إلى ضمير متصل . وبغضّ النظر عن حالة الخبر ونوعه ، فصورة الجملة الاسمية بشكل عام قد تكررت في أكثر من موضع في القصيدة ، وهي وإن خالفت تركيب الجملة الاسمية في مطلع القصيدة نفسها إلا أنها لم تتعد كونها جملة اسمية ، ومثل ذلك في موضع آخر قوله في مطلع قصيدة :

---

[1] = خانته معاذره : لم يجد له عذرا .

[2] = ديوان البارودي – تحقيق علي الجارم ومحمد معروف – دار العودة – بيروت – 1998م – ص 268 ، ص270.

[3] = المصدر السابق نفسه . ص 270

[4] = صفي الدين الحلبي – شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع – تحقيق نسيب نشاوي – ط2 – 1992م – دار صادر بيروت – ص77.

صلة الخيالِ على البعاد لقاءُ   لو كان يملك عينيَ الإغفاءُ [1]

فقوله : " صلة الخيال " مبتدأ أضيف إلى معرفة فاكتسب التعريف ، وخبره النكرة " لقاء " . وقد ختم البارودي هذه القصيدة بجملة اسمية ، حين قال :

فانفُض يديك من الزمان وأهلِه   فالسعيُ في طلب الصديق هباءُ [2]

حيث جعل الشطر الثاني من حيث التركيب مقاربا للشطر الأول في مطلع القصيدة نفسها ، وعرّف المبتدأ بـ " أل " التعريف في قوله " السعي " ، وجعل الخبر " هباء " نكرة ، فكأنه في هذا التركيب أراد أن يشير إلى نكرة مطلقة . ومثله في الابتداء والانتهاء بالجملة الاسمية مبنيا على التركيب النحوي نفسه في القصيدة الواحدة ، قوله :

أينَ ليالينا بوادي الغضى ؟   ذلك عهدٌ ليتَه ما انقضى [3]

ويظهر المبتدأ والخبر في المطلع بأول كلمتين من كل شطر ، وهما : " أين ليالينا " ، وقوله : " ذلك عهد"، مع اختلاف ظاهر في بناء الجملة الاسمية من حيث التقديم والتأخير . فقد تقدم الخبر اسم الاستفهام " أين " وجوبا ؛ لأن له الصدارة في الجملة ، وأخّر المبتدأ ، بخلاف الجملة الاسمية " ذلك عهد " . إلى أن ختم القصيدة بقوله :

سَلْ عنيَ المجدَ ولا تحتشِم   فالمجد يدري أيَّ سيفٍ نضا [4]

فالجملة في قوله : " المجد يدري " جملة اسمية ، خبرها الجملة الفعلية للفعل المضارع " يدري " وفاعله الضمير المستتر .

ويظهر ذلك أيضا في مطلع قصيدته البائية المشهورة التي يبدو فيها التركيب الاسمي جليا في أكثر من بيت . ففي مطلع القصيدة نجد أربعة تراكيب اسمية محصورة في ثلاثة أبيات ، وهي :

---

[1] = الديوان : ص 38

[2] = الديوان : ص 40

[3] = الديوان : ص 300

[4] = الديوان : ص 300 ، ص 302

سواي بتَحنان الأغاريد يطربُ وغيريَ بـــاللذّات يلهو ويُعْجَبُ
ومـــا أنا ممن تأسِر الخمرُ لبَّه ويملِك سمعيْه اليـــراعُ المثقــبّ
ولكن أخو همٍّ إذا ما ترجّحت به سَوْرةٌ نحوَ العُلا راحَ يَدْأبُ [1]

فتركيب الجمل الاسمية فيها تكوّن من (المبتدأ الاسم الظاهر المضاف إلى الضمير + الخبر الجملة الفعلية من الفعل المضارع والفاعل الضمير المستتر) في قوله : (سواي يطرب ، وغيري يلهو) . وظهــرت الجملة الاسمية على صورة (المبتدأ الضمير المنفصل + الخبر شبه الجملة الجار والمجرور) في قوله : (وما أنا ممن تأسر الخمر لبّه) . ثم جاء بالمبتدأ محذوفا جوازا في البيت الثالــث ، والخبــر الاســم المضاف في قوله : (أخو همٍّ) . وبالرغم من اختلاف أشكال الجمــل الاســمية وبنائهــا ومواضــعها الإعرابية في الأبيات الثلاثة السابقة ، إلا أن صورة التركيب الاسمي لا تغيب عنها ، ولا شــك أن هــذا البناء المحكم لم يتوافر في هذه الصورة الدقيقة عبثا في مطلع القصيدة وآخرها كقوله :

فرحمةُ ربِّ العالمينَ على امرئ أصاب هداه أو درى كيف يذهبُ [2]

فقد جعل المبتدأ (رحمة رب العالمين) في صدر الشطر الأول ، والخبر شبه جملة جارا ومجرورا، وهو قوله : " على امرئ " . والجملة الفعلية " أصاب هداه " في محل جر نعت لــ"امرئ " .

إن استعمال التراكيب الاسمية ، والميل إلى استعمال الأسماء ، هي ظاهرة نحوية مألوفة بحكــم أولوية الأسماء على الأفعال والحروف ، وخاصة في لغة الشعر لاعتمادها على الوزن بــشكل أساســي ، والدليل على أن الأسماء أوائل للأفعال أنه لا يكون فعل إلا وله فاعل ، كما أن الأسماء أكثر من الأفعــال في العدد ، وما دامت الأسماء كذلك فهي أكثر من الأفعال في الاستعمال وعلى ألسنة الناس ، وإذا كانــت الأسماء أكثر ، كانت أخفّ على اللسان ، لأن النطق بها أوسع من الأفعال ، والمتكلم بها أكثر دربة وهي عليه أسهل ، وإنما تكون الدربة بحسب كثرة العادة [3] .

ولعل ما ذكرناه هو ما جعل شعر البارودي أكثر ثباتا واستقرارا ، لأنه فضّلها على الاضطراب والتغير والحركة المتمثلة في الأفعال حتى يخلص إلى حكمة أو نتيجة تجمل فكرة القصيدة ، لــذلك فــإن أواخر القصائد غالبا ما تكون أكثف من مقدماتها ، وأكثر تركيزا ، فهي لا تعمل النسيب كما هو الحال في قصائد الأولين الذين سار على نهجهم في العصر الحديث الشاعر محمود البارودي ، ودليلنا على ذلك أن

---

[1] = الديوان : ص 55 .
[2] = الديوان : ص 59
[3] = أبو علي الفارسي – المسائل المشكلة – 2003 م – مصدر سابق – ص220 .

كثيرا من قصائده بالإضافة إلى أنها جمل اسمية كانت تحمل خلاصة القصيدة كاملة ، وتدل على فكرتها من البناء التركيبي للجملة الاسمية . يلاحظ من ذلك قوله في الغزل :

هذا هو الحبُّ الذي ضاقت بهِ   تلك الصدورُ وقلّتِ الحفّاظُ [1]

ففي قوله : هذا هو الحب . تكثيف لبناء البيت بناء اسميا . وهو بذلك يكشف عن خلاصة التجربة التي خاضها الشاعر في القصيدة ، فلو قرأت آخر بيت من القصيدة لفهمت المغزى الذي تدور حوله كل أفكار القصيدة . وله كذلك قصيدة أخرى في وصف الربيع ختمها بقوله :

والدهرُ للإنسانِ يوما آكلُ   وكلّ شيء في الزمانِ باطلُ [2]

وكذلك هو حال هذه القصيدة ، فقد اختصر القصيدة في بيت واحد ، متمثلا في جملتين اسميتين هما : جملة " الدهر للإنسان آكل " ، ويقصد بالدهر أهله ، مثلما أشار في مقدمة ديوانه بقوله:(فإني إن ذكرت الدهر فإنما أقصد به العالم الأرضيّ)[3] ، والجملة الثانية هي : " كل شيء باطل"، وهذا ما نلحظه أيضا في قصيدة المدح الميمية عندما ختمها بقوله :

لك السعد خِدنٌ والمهابة صاحبٌ   وشخصُ العلا والنصرِ في زيٍّ خادمِ [4]

ولعل المدح عند البارودي فيه إلى عطف الجمل الاسمية بعضها على بعض ، فقد عطف الجملتين الاسميتين (المهابة صاحب) ، وجملة (شخص العلا والنصر في زي خادم) على الجملة الاسمية (لك السعد خدن) . فكأن الشاعر أراد أن يقول : (لك السعد خدن ، ولك المهابة صاحب ، ولك شخص العلا والنصر في زيّ خادم) ، وذلك لاحتمال حرف الجر اللام معنى الملكية.

إن من الملاحظ في القصائد التي ذكرناها أن أواخرها مختومة بجملة اسمية صريحة ، وأعني بها تلك التي يكون مبتدؤها وخبرها اسمين ظاهرين لا ضميرين مستترين أو محذوفين ، وفي ذلك دليل على البناء التكراري لأواخر القصائد المبنية على تراكيب اسمية ، كقوله في قصيدة أرسلها إلى صديق له، يقول فيها :

---

[1] = الديوان : ص 313

[2] = الديوان : ص 480

[3] = الديوان : المقدمة – ص35.

[4] = الديوان : ص 531.

ولا كتابٌ مــن حبيبٍ أتـــى		ولا أخو صدقٍ يردّ السلامْ
في هضبةٍ من أرض دِبْريجةٍ		ليس بها غيرُ بُغاثٍ وهامْ [1]
وراءنــــا البحرُ وتلقاءَنــــا		سوادُ جيــشٍ مُكْفَهِرٍّ لُهامْ [2]
فتلك حالي – لا رمتك النوى –		فكيف أنتم بعدنا يا هُمَامْ ؟ [3]

ففي الأبيات الأربعة ستّ جمل اسمية ، وهي : (ولا كتاب من حبيــب أتـــى) ، و(وراءنــا البحــر)، و(تلقاءنا سواد جيش) ، و(تلك حالي) ، و(كيف أنتم) ، بالإضافة إلى جملة " ليس" الاسمية المنسوخة ، وهذا التكرار في التركيب الاسمي قد يدل على حالة من الشوق لصديقه ، وتحرّقِه في الغربة إلى مــن يصدّقه أو يرد عليه السلام .

وعلى العكس من ذلك تماما فإن الجمل الاسمية في المقطعات الصغيرة موجزة ومكثفة ، ولعــل ذلك يعزى إلى رغبة الشاعر في بناء الجملة بناء يجعل منها وحدة واحدة لا تتجزأ أو تنقسم ، كقوله في الزهد :

كــلُّ حيّ سيــموتُ		ليــس في الدنيا ثبوتُ
حركات سوف تفنى		ثــم يتلــوها خفــوتُ
وكـــلامٌ ليـــس يحلو		بعده إلا السكــــوتُ [4]

فقد جعل الشطر الأول مكوّنا من مبتدأ مضاف في قوله : " كلّ حيّ " ، وخبر جملة فعلية فـــي قولـــه : "سيموت " ، ثم جعل الخبر " حركات " في البيت الثاني لمبتدأ محذوف . وفي البيت الثالث جعل الاســم " كلام " معطوفا على حركات ، لأنه سُبق بحرف العطف الواو .
إن من الملاحظ على شعر البارودي أن بناء الجملة الاسمية داخل القصيدة الواحدة ، تارة يكــون معقــد التركيب يقصد منه الشاعر إضفاء نوع من الغموض والإيهام ، وتارة يكون التركيب بسيطا سهلا تتكــون الجملة الاسمية فيه من المبتدأ والخبر ، ويكون غرضه من ذلك التوضيح والتبسيط .

[1] = دبريجة : إقليم زراعي يطل على البحر الأسود جنوبي دلتا نهر الدانوب . البغاث : شرار الطير . هام : جمع هامة وهو نوع من البوم الصغير .
[2] = تلقاءنا : أمامنا . مكفهر : كثير ، كثيف . لهام : عظيم .
[3] = الديوان : ص545 ، ص546
[4] = الديوان : ص 95

أولا : المبتدأ :

يعرف المبتدأ بأنه : (كل اسم عرّيته من العوامل اللفظية لفظا وتقديرا ، فقولنا : اللفظية احترازا؛ لأن العوامل تنقسم إلى قسمين ؛ إلى عامل لفظي ، وإلى عامل معنوي ...)[1] ، ويرى ابن هشام أن المبتدأ هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية مخبرا عنه أو وصفا رافعا لمكتفى به ، والثاني شرطه نفي أو استفهام [2] .

وليس لكل اسم متقدّم الحقُّ في أن يكون مبتدأ ، فثمة شروط ثلاثة لصور المبتدأ ، فالأول: أن يكون المبتدأ اسما ؛ فخرج عن ذلك الفعل والحرف ، والثاني : أن يكون مرفوعا ؛ فخرج بذلك المنصوب والمجرور بحرف جر أصلي ، والثالث : أن يكون عاريا عن العوامل اللفظية [3] ، مثل الفعل " كان " وأخواتها ، و" إنّ " وأخواتها ، فإن الاسم الواقع بعد الفعل يكون فاعلا أو نائبا عن الفاعل ، والاسم الواقع بعد الفعل الناقص " كان " يسمى اسم كان ولا يسمى مبتدأ .

وقد اشترط النحويون للاسم المبتدأ شرطا هامّا وهو الإفراد ، فلا يكون المبتدأ جملة ، ويريد النحويون بالمفرد ما ليس بالجملة أو شبه الجملة ، فيطلقون على التثنية في هذا الباب مفردا، وكذلك على الجمع ، وعلى المضاف ، والشرط الثاني أن يكون معرفة [4] .

إن ورود المبتدأ عامة كثير في الشعر والنثر والكلام ، أما في شعر البارودي فيرد المبتدأ فيه على نوعين : معرفة وهو القياس ، واسم نكرة موصوفة أو غير موصوفة ، فتارة تجده متفرقا في أنحاء مختلفة في القصيدة وهو الطابع العام الغالب على استعمال المبتدأ ، وتارة تجده في أول القصيدة الطويلة وآخرها كما ذكرنا سابقا ، وتارة أخرى تجده في المقطعات الصغيرة من ذلك قوله :

بل أين أصحابُ الوفو ... دِ وأين أربابُ الجِلادِ
الطاعمون الطاعنـ ... ـون القائلون بكل نادي
الكاشفون الضرّ والـ ... ـعافون عن ذنب العبادِ
بل أين صناعُ القريـ ... ـض الجزل والكلم الفرادِ [5]

---

[1] = أبو البركات الأنباري – أسرار العربية – مصدر سابق – ص72.

[2] = انظر : ابن هشام الأنصاري – شرح شذور الذهب – مصدر سابق – ص 207

[3] = محمد محيي الدين – التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية – المكتبة الثقافية – بيروت – ص 105.

[4] = ابن أبي الربيع الإشبيلي – البسيط في شرح جمل الزجاجي – تحقيق عياد بن عبد الثبيتي – ط1 – دار الغرب – بيروت – 1986م– ج1/ ص535 ، ص 537 .

[5] = الديوان – ص 191

فالجملة الاسمية في أسلوب الاستفهام هي في قوله : أين أصحاب الوفود ؟ ، وقوله : أين أرباب الجلاد ؟ ، وقوله : أين صناع القريض ؟ . أما ما عدا هذه الجملَ في البيتين الثاني والثالث فهي أخبار لمبتدأ محذوف تقديره الضمير المستتر الغائب : همْ . ومثله كذلك في الاستفهام قوله مطلع قصيدة أخرى :

أضوءُ شمس فرى سِربال دَيجورِ ... أم نورُ عبدٍ بعَقد التاج مشهورِ [1]
وأنجمٌ تلك أم فرسانُ عاديةٍ ... تختال في موكب كالبحر مسجورِ [2]

فقد جعل صورة المبتدأ تبدو مختلفة عن الأبيات السابقة ، فكان المبتدأ " ضوء شمس " مضافا إلى نكرة ، ومثله : " نور عيد " . أما في البيت الثاني فيظهر المبتدأ " تلك " اسم إشارة متأخرا عن خبره النكرة " أنجمٌ

أقسام المبتدأ :

(المبتدأ كل اسم ابتُدئ ليُبنى عليه كلام . والمبتدأ والمبنيّ عليه رفع . فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه . فالمبتدأ الأول والمبنيّ ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه)[3] ، والمراد بقوله : المبنيّ عليه . هو الخبر ؛ لأن الكلام يُبنى وينعقد عليه . ويردُ المبتدأ على ثلاثة أقسام ، وهي مصدر صريح ، أو ضمير منفصل ، أو مصدر مؤول ، لكن الأصل في المبتدأ أن يكون اسما صريحا أي ظاهرا ، ومثل ذلك في شعر البارودي قوله :

لعمرك ما الإنسان إلا ابنُ يومه ... وما العيش إلا لبثةٌ وزيالُ
وما الدهر إلا دفتر في خلاله ... تصاوير لم يُعهد لهنّ مِثالُ
ففي صفحة منه زمان قد انقضى ... وفي وجه أخرى دولة ورجال [4]

ففي كل من الجمل الاسمية السابقة يظهر المبتدأ على صورة الاسم الصريح في قوله : (لعمرك ، الإنسان، العيش ، الدهر ، تصاوير ، زمان ، دولة) ، وكلها أسماء ظاهرة وردت في مواضع مختلفة .

إن استعمال البارودي للاسم الظاهر يظهر في مواضع متفرقة من الديوان كله ، لكن استعماله يجعل من صورة الجملة الاسمية تقليدية ؛ فالاسم لا يحمل دلالة زمنية ، أي أنه لا يتجدد ولا يتغير ، وإنما

---

[1] = فرى : شق ومزق .
[2] = الديوان : ص212 .
[3] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج126/2
[4] = الديوان : ص 492

يستقر في دلالته ومعناه ، واستقراره رهن بالأحداث التي تحملها القصيدة ، فإن كانت القصيدة مضطربة متحركة ، وأحداثها الزمنية متجددة ومتغيرة ، فإن الأفعال فيها تزيد عن الأسماء ، وهو ما يبدو واضحا في أغراض المدح والرثاء ، لحاجة المادح إلى ذكر محاسن الممدوح أو المرثيّ ، والإشادة بأفعاله ، ويظهر أيضا في شعر المناسبات ، ولا يخفى على قارئ ديوان البارودي أن يلاحظ هذا التكرار لاستعمال المبتدأ على صورة الاسم الظاهر في البيت الواحد ، كقوله :

فلولا العجزُ ما كان التّصافي ولولا الحرصُ ما كان التعادي [1]

فموضع المبتدأ (العجز ، الحرص) وقع بعد " لولا " التي أخضعت هذا البيت إلى التركيب المتماثل في شطريه ، والذي يسمى بالتشطير ، وهو (أن يقسم الشاعر بيتيه شطرين ، ثم يصرّع كل شطر منهما ، لكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ليتميز عن أخيه)[2] ، وجملة " لولا العجز " جملة اسمية غير أن خبرها محذوف وجوبا لوجود " لولا " وتقديره : موجود . والجملة الفعلية (ما كان التصافي) هي جواب " لولا " ، ومثله في البناء النحوي الشطر الثاني من البيت نفسه ، وأدلّ من ذلك قوله :

فالنور – لو بيّنت أمرك – ظلمةٌ والبدءُ – لو فكّرتَ فيه – ختامُ [3]

حيث ذكر المبتدأ (النور ، البدء) وجعل الجملتين الشرطيّتين (لو بينت أمرك ، لو فكرت فيه) معترضة للخبر (ظلمة ، ختام) ، ولا محل لهما من الإعراب . فالتكرار في صيغة المبتدأ لا يشمل التركيب وحده، بل يشمل التعريف والتنكير .

وقد يعود سبب ذلك إلى حرص الشاعر على سبك الجمل ، وتأثره بالقديم الذي يُعنى بجودة التركيب ودقته ، إذ يقول معترفا بذلك في مقدمة ديوانه : (فعزمت على الإقصار قبل الإحصار ، تفاديا من خطأ ربما عرض ، أو ناقد ربما اعترض ، بيد أني راجعت المَخِيلة لأسبر الدخيلة ، عالما أن للنفس طفرة ، وللوهم عند التوجس نفرة ، فأشفقت من هذا العزم ، بعد الإصرار والجزم ، ولست بأول من عدل عن رأيه وثاب عن متابعة وَأْيه ...)[4] .

---

1 = الديوان : ص 187

[2] = صفي الدين الحلبي – شرح الكافية البديعية – مصدر سابق – ص189.

[3] = الديوان : ص 539

[4] = الديوان : المقدمة – ص 36

إن للمبتدأ المضمر في ديوان البارودي ، أشكالا مختلفة لاختلاف الضمائر من حيث الإفراد، والتثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث ، والمخاطب ، والغائب ، والمتكلم ، غير أن الضمير المنفصل كثير الاستعمال : (هو، وهي) ، ولعلهما المفضلان من الضمائر المنفصلة لدى البارودي جريا على عادة الشعراء في استعمالهما صدر البيت ، لما لهما من أهمية تمليها طبيعة الدلالة ، من ذلك نذكر القصيدة التي مدح فيها الخديوي محمد توفيق باشا بجلوسه على كرسيّ الملك بقوله :

فهو الزعيم لكم بكل فضيلة   تبقى مآثرها وعيشٍ أرغدِ [1]

فالمبتدأ " هو " ضمير منفصل مبني في محل رفع ، و " الزعيم " خبره ، ويقصد بذلك الضمير تعظيم شأن الممدوح . ثم يقول في القصيدة نفسها :

هو ذلك الملكُ الذي أوصافه   في الشعر حِلية راجز ومُقصِّد [2]

ثم قال بعد ذلك :

سنّ المشورة وهْي أكرم خطة
يجري عليها كل راعٍ مرشدِ
هي عصمة الدين التي أوحى بها
ربُّ العباد إلى النبي محمدِ [3]

وقوله : (هي عصمة الدين ، وهي أكرم خطة) ، جملتان اسميتان اكتفتا بذاتهما ، وبقية ما ورد في البيت هي جملة الاسم الموصول " التي " ، ولا محل لها من الإعراب . ومن ذلك أيضا :

هي جوهرٌ كالنفس ما بَرِحتْ   تهدي السرورَ لكل ذي نفسِ [4]

فالمبتدأ في البيت السابق هو الضمير المنفصل " هي " وخبره نكرة ، وقد ورد خبر المبتدأ في الأمثلة السابقة ضميرا منفصلا غائبا متبوعا بخبر مختلف من حيث التعريف والتنكير ، فقد عرفه في النماذج السابقة مرة بـ " أل " التعريف في قوله : هو الزعيم ، ومرة باسم الإشارة " ذلك " ، وجعله مرة أخرى مضافا إلى معرفة في قوله : هي عصمة الدين ، ومرة أخرى مضافا إلى نكرة، وهذا دليل على تفضيله

---

[1] = الديوان – ص 118
[2] = مقصد : منقح ومهذب .
[3] = الديوان – ص 120 .
[4] = الديوان – ص 287.

الضمير المفرد الغائب على سائر الضمائر . ومن المواضع التي يأتي فيها الضمير المفـرد الغائـب أن يكون في الشطر الثاني من البيت ، ولكنه أقل من وروده في صدر البيت ، كقوله :

لك روحي فاصنع بها ما تشاء   فهي مني لناظرَيْك فـداءُ [1]

فقد جعل المبتدأ الضمير المنفصل " هي " في صدر الشطر الثاني . ومثله مفتخرا في موضع آخر مكررا الضمير في المكان نفسه من البيتين :

بلغتُ علا لا يـبلُغ النـجـمُ شـأوَها   إذا هو لم يـنـهـضْ لـهـا بقوادمِ
إذا المرء لم يضرب إلى اللهو والصبا   فما هو إلا مـن عِـداد البـهـائـمِ [2]

فقد ذكر الضمير المنفصل " هو " في أول الشطر الثاني من الموضع نفسه في البيتين ، وإن يكن مـسبوقا بـ " إذا " في الشطر الأول ، والتي يقدّر بعض النحويين بعدها فعلا محذوفا ، ويرى بعـضهم إيلاءهـا جملة فيها اسمان : مبتدأ وخبر ، من غير تقدير فعل [3].

ثم تتوالى الضمائر المنفصلة في شعر البارودي على نسق أقل استعمالا ، من ذلك تكرار ضـمير المفرد المخاطبة (أنتِ):

وأنتِ يا نسمة وادي الغضى   مُرِّي بريّاك على مسمعي
وأنتِ يا عصفورةَ المنحنى   بالله غنّي طربا واسجعي
وأنتِ يـا عينُ إذا لم تفـي   بذمة الدمعِ فلا تهجعـي [4]

وفي هذه الأبيات الثلاثة تكرار متعمد لبنية الجملة وترتيبها على نسق واحد ، وهو : (الواو + أنت + يا + المنادى) ، فقد جاء بقوله : " وأنت " بعد حرف العطف الواو ، متبوعا بحرف النداء " يا " في صدر الأبيات الثلاثة السابقة ، ولعله يقصد من ذلك إحالة ذهن المتلقي إلـى أنـسنة كـل مـن : " النـسمة ، والعصفورة ، والعين " . أي جعلها كالإنسان الذي ينادى فيسمع . وكقوله في مطلع قصيدة غزلية :

عليلٌ أنت مسقمُهُ   فما لك لا تكلّمُهُ [5]

---

[1] = الديوان : ص 47 .
[2] = الديوان : ص 563
[3] = انظر : السيوطي – همع الهوامع – ج2/ص133.
[4] = الديوان : ص 322
[5] = الديوان : ص 567

نلاحظ مما سبق أن أغلب الضمائر المنفصلة على كثرتها في كافة أجزاء القصيدة ، تنحو منحى المفرد وتميل إليه ، كالضمائر المنفصلة المفردة : (أنا ، أنتَ ، أنتِ ، هو ، هي) . حتى إنك لتجد تكرارا لضمير واحد في البيت أو القصيدة أكثر من مرة ، إلا أن ذلك لا يعني عدم استعمال ضمائر غير مفردة، إذ لا يعقل ألا يلجأ الشاعر إلى غير الإفراد ، لأن ذلك يعني عدم قدرة الشاعر على التنويع والاتساع . ومن الأمثلة على تلك الضمائر قوله :

حيِّ مغنى الهوى بوادي الشآمِ   وادعُ باسمي تُجِبْك وُرْقُ الحمامِ
هنّ يعرفنني بطول حنيني   بين تلك السهولِ والآكامِ [1]

فقوله : " هنّ " ضمير منفصل لجمع المؤنث ، ويعود على الحمام ، ولولا معرض حديثه عن الحمام في البيت السابق لما ذكر هذا الضمير المنفصل . ومثله في التركيب قوله في ضمير جماعة الذكور " هم " ، حيث جعل الضمير المنفصل عائدا بدلالته على أهل الحمى ، في أبيات متأخرةٍ من القصيدة ، من ذلك قوله :

يا نسيمَ الصبا – فديتك – بلّغ   أهلَ ذاك الحِمى عبيرَ سلامي
واقضِ عني حقَ الزيارة واذكرْ   فرْط وجدي بهم وطولَ سقامي
أنا راضٍ منهم بذكرة ودٍّ   أو كتابٍ إن لم أفزْ بلِمامِ
همْ أباحوا الهوى حريمَ فؤادي   وأذلّوا للعاذلين خِطامي [2]

حيث اكتفى الشاعر بذكر الضميرين المنفصلين الواقعين في محل رفع مبتدأ (أنا ، هم) بعد أن قدّم للمتلقي ما تتحصل فيه الفائدة من المعنى ؛ لاعتقاده أن العائد عليهما معلوم عند المتلقي ، فقوله : أهل الحمى . في الشطر الثاني من البيت الأول هو ما أتاح له أن يذكر بعد ذلك الضمير المتصل بحرف الجر في البيت الثاني : " بهم " . العائد عليهم ، وكذلك الضمير المنفصل الذي ذكرناه " هم " . أما الضمير المنفصل " أنا " فهو العائد على الشاعر نفسه ؛ لأنه ذكر قبله ما يدل عليه وهو الضمير المتصل في قوله: عني ، وجدي ، وسقامي .

إن الأسماء الموصولة في شعر البارودي لا يمكن أن يستغنى عنها في الكلام شعرا ونثرا ، وتأتي في مواضع متفرقة ، أغلبها وسط البيت ، وذلك لأنها أدوات ربط للجمل وصلة للتراكيب ، تستدعيها الدلالة ، والأسماء الموصولة هي كلها من الأسماء المبنية عدا ما دل منها على المثنى ، وهما :

---

[1] = الديوان : ص 547

[2] = الديوان – ص 548 – 549 . الخطام : الزّمام .

اللذان ، واللتان . وتعرب الأسماء الموصولة حسب موقعها الإعرابي ، فقد تكون في محل رفع مبتدأ ، كقوله :

فأنتَ الذي أوليتني كل نعمة وهذّبتني حتى اصطفتني العشائرُ [1]

فقد جعل الاسم الموصول " الذي " في البيت السابق خبرا للمبتدأ الضمير المنفصل " أنت " . وسيأتي الكلام على الأسماء الموصولة لاحقا .

ويغلب على الاسم الظاهر والضمير المنفصل في شعر البارودي أن يجيء بعد " إنما " ، ومعلوم أنّ " ما " هي الكافة لعمل الرفع والنصب في جملة " إن " الاسمية ، و" إن " هي المكفوفة عن العمل ، وهو ما يسمى بأسلوب الحصر ، فإن الاسم الذي يعقبها يعرب مبتدأ ، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في ذلك : ومثله قولهم : إنما هو أسد ، وإنما هو نار ، وإنما هو سيف صارم ، إذا أدخلوا " إنما " جعلوا ذلك في حكم الظاهر المعلوم الذي لا ينكر ولا يدفع ولا يخفى[2]. ومن أمثلة ذلك في شعر البارودي :

إنما الدنيا خيالٌ عارضٌ قلّما يبقى وأخبار تُقصُّ [3]

وأسلوب الحصر في البيت السابق وقع على الجملة الاسمية في قوله : (إنما الدنيا خيال) . ومعلوم أن "إنما " لا تعمل في ما بعدها [4] ، وقد جعل الشاعر الدنيا محصورة في كونها خيالا عارضا ، كأنه جعل ذلك الحكم ظاهرا معلوما عند الناس . ولأسلوب الحصر صور أخرى كأن يتكون من : " ما ، و إلا " أو " إن، وإلا " . ومن أمثلة ذلك في شعر البارودي ، قوله :

تأوّبَ طيفٌ من سميرةَ زائرُ وما الطيف إلا ما تُريه الخواطرُ [5]

فالمبتدأ في البيت السابق هو " طيف " ، وخبره الاسم الموصول " ما " ، وجملة الصلة " تريه الخواطر " لا محل لها من الإعراب ، وقد جعل الطيف الذي أتاه من المحبوبة مقتصرا على رؤية الخواطر ، كأنه أراد من ذلك التعبير أن يشير إلى مدى تجسّد طيف المحبوبة على صورتها . ومن ذلك قوله :

---

[1] = الديوان – ص 267.

[2] = عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص255 .

[3] = الديوان – ص 296

[4] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج3/ص129.

[5] = الديوان – ص 236

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه   وما العيش إلا لبثة وزِيـــــالُ
وما الدهرُ إلا صفحةٌ في خلاله   تصاويرُ لم يُعهد لهنّ مثـــالُ [1]

وفي البيتين السابقين ثلاث جمل اسمية ، جاءت في أسلوب الحصر على النسق نفسه والبنية نفسها ؛ لأنها حقائق لا يمكن دحضها ، وهي : الإنسان ابن يومه ، والعيش لبثة ، والدهر صـــفحة ، وجعــل الجملـــة الاسمية الرابعة " في خلاله تصاوير " في محل رفع صفة لقوله : " صفحة " .

وقد يرد المبتدأ في صورة اسم استفهام أو اسم شرط ، وهو كثير جدا في شعر البارودي، سيأتي في بابه ، من ذلك قوله :

فأيُّ فؤاد لا تذوب حصاته   غراما وطرفٍ ليس يقذيه سهدُهُ

ثم قال بعد سبعة أبيات من القصيدة نفسها :

فأيُّ نعيم في الزمان أرومُـــهُ   وأيّ خليل للوفاء أعـــدُّهُ [2]

فقد قدّم اسم الاستفهام " أيّ " والمضاف إليه في صدري البيتين السابقين ، وبناهما على التركيب نفـــسه ، وهو (اسم الاستفهام " أيّ " وهو مضاف + مضاف إليه + جملة فعلية) . ومثل ذلك قوله فـــي موضـــع آخر على صيغة التركيب نفسه :

وأيُّ حسامٍ لم تُصبه كلالةٌ   وأيُّ جوادٍ لم تخنْه الحوافرُ ؟ [3]

فقد جعل اسم الاستفهام متقدما وجوبا ، وخبره الجملة الفعلية من الفعل المضارع المنفي بـــ " لم " والفاعل الاسم الظاهر ، واتصل المفعول به " ضمير النصب " بالفعل المضارع في قوله : (تصبه ، تخنه). ففي البيتين السابقين تراكيب متشابهة تماما تعبر عن مدى حرص الشاعر على الحفاظ على الطابع التقليـــدي لبنية الجملة في شعره ، وعدم رغبته في الخروج عن القوالب العامة للجمل ، بدليل قوله : (أيّ نعـــيم ، أيّ حسام) في الموضع نفسه من البيتين ، وكذلك قوله في الشطر الثاني : " أيّ خليل ، أيّ جواد " . فقد جعل البِنى النحوية متطابقة من حيث اسم الاستفهام المضاف إلى نكرة .

---

[1] = الديوان – ص 492
[2] = الديوان – ص 124
[3] = الديوان – ص 243

أما استعمال أسماء الشرط فيزيد كثيرا على نظيراتها أسماء الاستفهام في شعر البارودي، وعلة ذلك عندي تعود إلى أن الشاعر لم يكن مهتما إلى حد كبير بالفلسفة التي يثيرها التساؤل ، ولا هو ميالٌ إلى الخوض في علم الكلام ، والحديث عن الكونيات وطبيعة الحياة ومصير الإنسان، كما هو الحال عند الشعراء الفلاسفة من أمثال أبي العلاء المعري ، وهو ما يلاحظه شارح الديوان حين قال : (ولعلك لا تعثر في شعر البارودي على فلسفة ظاهرة)[1]. مما جعله يسير خلف ركب الأقدمين مقتفيا آثارهم ومتأسيا بمناهجهم ، من حيث إن الشعر عندهم يعبر عما يشعر به صاحبه من مشاعر وأحاسيس ، وليس مبيّنا أو مفسرا علة كونية أو قضية عامة لا يمكن عدّها من شعر المناسبات ، ومن بعض أسماء الشرط في شعر البارودي قوله :

ومن تكنِ العلياء همةَ نفسِهِ   فكلّ الذي يلقاه فيها مُحبّبُ [2]

فالمبتدأ في البيت السابق هو (من) ، وهو اسم شرط مبني في محل رفع مبتدأ ، ولا شك أن لهذا الاسم حظوة عند الشعراء قديما وحديثا ، لدلالته على كل عاقل ، ذكرا كان أم أنثى ، مفردا أم مثنى أم جمعا ، ولسهولته اللفظية وإيجازه في العبارة ، وخفته على الوزن الشعري ، وسيأتي لاحقا الكلام في أسلوب الشرط .

ومن صور المبتدأ أن يكون مصدرا مؤولا ، وهو صورة لتعدد الألوان النحوية التي تقدمها اللغة العربية ، وامتداد لأشكال المبتدأ ، ونوع آخر له دلالته واستخدامه في الشعر والنثر ، وصورته أن يكون تقديره مصدرا ، والمصدر هو (الاسم الدال على الحدث ، الجاري على الفعل، كالضرب ، والإكرام ... ، ويصح أن يحل محله فعل مع " أنْ ")[3] ، والفعل الذي يلي " أن" المصدرية ، هو الفعل المضارع ، وقد يكون المصدر المؤول هو الحرف الناسخ " أنّ " وجملتها الاسمية من اسمها وخبرها .

وعموما فإن استعمال المصدر المؤول في محل رفع مبتدأ في الشعر قليل قلةً مردها الحاجة إلى التأويل ، وما دامت الحاجة مقترنة بالتأويل فيه ، فإن كثرة ورود المصدر المؤول يعني بالضرورة كثرة التأويل ، مما يُحدث نوعا من خروج القارئ عن المعنى المراد ، وتكلفه مغبة التأويل ، والمعارف والأعلام لا يمكن تأويلها بمصدر البتة ، ما خلا المصادر فهي مشتقة من أفعالها. ومن ذلك في شعر البارودي قوله :

بناءان ردّا صولة الدهر عنهما   ومن عجب أنْ يغلِبا صولةَ الدهرِ [4]

---

[1] = الديوان – المقدمة – ص 25

[2] = الديوان – ص 56

[3] = ابن هشام الأنصاري – قطر الندى وبل الصدى – مصدر سابق – ص260

[4] = الديوان – ص221

فتقدير " أنْ " المصدرية في الجملة الاسمية في قوله : أن يغلبا . هو " غلبة صولة الدهر " ، لأن الفعل " غلب " مصدره " غلبة " . وقوله في الحرف الناسخ " أنّ " المؤكدة :

ومن العجائبِ في الهوى أنّ الفتى يُدعى إليه بأهــون الأسبابِ [1]

فجملة " أنّ " في البيت السابق هي قوله : أن الفتى يدعى إليه . وتقديرها أن تقول : من العجائب دعــوة الفتى إلى الهوى بأهون الأسباب . ومن الملاحظ في شعر البارودي عامة أن ورود " أنّ " الناسخة فيــه أقل من " أنْ المصدرية " لسهولة الأخيرة في الجملة ، ولما يقتضيه حرف التوكيــد الناســخ مــن اســم منصوب وخبر مرفوع ، فيحيل الشاعر إلى الإطالة في البيت ، كالإطالة في جملة: (أن الفتى يدعى إليه بأهون الأسباب) والتي وقعت وحدها في محل رفع مبتدأ تقديره : "دعوة " . ومثله قوله أيضا :

ومن عجبِ الهوى يا ليلُ أني فَنِيتُ صبابــةً وهواك باقي

وقد يأتي حرف التوكيد والنصب " أنّ " بعد " لولا " ، كقوله في القصيدة نفسها :

ولولا أنني في قــيــد سقمٍ لطرت إليك من فرطِ اشتياقي [2]

فالمبتدأ هو المصدر المؤول في جملة " أنني في قيد سقم " ، كأن الشاعر أراد أن يقــول : لــولا ســقمي لطرت إليك . فاختار أن يطيل من تركيب الجملة الاسمية ، ويكون تقدير المبتدأ : ســقمي . أمــا خبــر المبتدأ فمحذوف وجوبا تقديره " موجود " .

لا شك أن استخدام المصدر المؤول على حساب المصدر الصريح له دلالته التــي لا يمكــن أن تتساوى مع المصدر الصريح ، فقد ظل الاعتقاد سائدا بين النحويين قديما وحديثا أن التركيــب المتكــون مــن " أنْ المصدرية " والفعل ، أو " أنّ الناسخة " واسمها وخبرها يمكن تأويله بمفرد ، وهو اعتقاد مبنيّ على أساس هش ، لا يصمد أمام التحليل اللغوي ، والموازنات المعنوية ، ذلك أن التعبير بنمط من الكلام لا يصح أن يساوي في دلالته نمطا آخر ، فالتعبير بالمصدر غير التعبير بالفعل ، والتعبير بالجملة الفعلية غير التعبير بالجملة الاسمية [3] .

---

[1] = الديوان – ص 80

[2] = الديوان – ص 369

[3] = كريم حسين الخالدي – نظرات في الجملة العربية – دار الصفاء – ط1– عمان – 2005م – ص71.

ويمكننا أن نذكر في هذا المبحث المبتدأ المحذوف ، وهو باب واسع في النحو ، نوجزه على نحو سريع . إذ ينقسم المبتدأ المحذوف إلى قسمين وهما : المبتدأ المحذوف وجوبا ، والمبتدأ المحذوف جوازا الذي ذكره سيبويه في كتابه حين قال : (وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص ، فقلت : عبد الله وربي ، كأنك قلت : ذاك عبدالله ، أو هذا عبد الله . أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته ، فقلت : زيد وربي ، أو مسست جسدا ، أو شممت ريحا ، فقلت : زيدٌ ، أو المسكُ . أو ذقت طعاما ، فقلت : العسل . ولو حُدِّثت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته ، لقلت : عبد الله ، كأن رجلا قال : مررت برجل راحم للمساكين ، بارّ بوالديه ، فقلت : فلان والله)[1] ، ومن أمثلة ذلك في شعر البارودي قوله في تهنئة الخديوي عباس حلمي باشا الثاني بولده الأمير محمد :

نـــورٌ تولّد بين بدر طالع   في أوج غُرّته وشمسِ علاءِ [2]

وكقوله أيضا :

طرفٌ أطلْت عِنانه ليُصيبَ لي   بعضَ المنى فأصابني لما أتى [3]

ويقول في الهجاء في معرض الفخر بنفسه :

أنا في زمان غـــادرٍ ومعاشـــرٍ   يـــتلـــوّنـــون تلوّنَ الحرباء
أعداءُ غيبٍ ليس يسلم صاحبٌ   منهم وإخوةُ مَحضَرٍ ورخاءِ [4]

فالأبيات الأربعة السابقة يذكر الشاعر فيها ثلاثة أسماء للخبر تعود على ضمير غائب مستتر ، وهـي: " نور ، طرف " وكلاهما خبر لمبتدأ محذوف جوازا تقديره " هو " ، ومثله أيضا : أعداء غيب ، فالمبتدأ تقديره " هم " ، وقد تقدمت الإشارة إليه في البيت السابق في قوله : " زمان غادر ومعاشر " ، وهو يريد أهل الزمان .

ومن المعلوم أن حذف المبتدأ جوازا عادة ما يكون لحاجة بلاغية مـا يريـد إيـصالها الـشاعر كالإيجاز والاختصار ، بحسب المؤدّى الذي يقصده الشاعر في البيت ، غير أن الحـذف (بـاب دقيـق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح مـن الـذكر ،

---

[1] = الكتاب – سيبويه – مصدر سابق – ج2/ص130.
[2] = الديوان – ص 41
[3] = الديوان – ص 94
[4] = الديوان – ص 44

والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن)[1] . ومن أمثلة الحذف جوازا في شعر البارودي قوله :

خماسيةُ لم تدرِ ما الليلُ والسُّرى ولم تتحسرْ عن صفحتيها الستائرُ
عقيلـــة أتـــرابٍ توالَيْن حولَها كما دار بالبدر النجوم الزواهرُ
غوافــلُ لا يعرفنَ بؤسَ معيشةٍ ولا هنَّ بالخَطب المُلمِّ شواعرُ [2]

فلو قال : هي خماسية . لم يستقم له الوزن ولا المعنى ؛ لأنه أراد من حذف المبتدأ إظهار صورة الخبر ، لذلك فقد جعل للمبتدأ المحذوف خبرا آخر وهو قوله : عقيلة أتراب . ويظهر ذلك أيضا في البيت الثالث ، فقد حذف المبتدأ " هنّ " وذكر الخبر " غوافل " ، وعاد في البيت الثاني ليذكر المبتدأ في قوله : ولا هنّ شواعر . وتظهر قرينة الحذف في قوله في البيت الأخير : (ولا هنّ شواعر) ، فقد حذف المبتدأ في صدر البيت الأول من قوله : (خماسية) ، وفي الشطر الثاني من قوله : (عقيلة أتراب) ، وكذلك فإن الخبر في المواضع السابقة نكرة .

وربما كان المبتدأ مجرورا ومحله الرفع ، وذلك بدخول العوامل غير الأصلية ، والتـــي تكـــون بمثابة الحروف الزائدة ، التي تدخل على المبتدأ ؛ فتجرّه في اللفظ ، ويكون محله الرفع ، لأن من شروط المبتدأ أن يكون مرفوعا ، ولكن الحروف الزائدة تدخل على الجملة لإضافة معنى لم يكن لولا وجودهـــا ، وإن كانت زائدة في اللفظ ، إلا أنها تدخل على المبتدأ ، لأنه ربما لا يصح تقديمه نكرة ، ومن ذلك فـــي شعر البارودي :

هل في الخلاعة والصبا من باس بين الخليج وروضة المقياس [3]

فقوله : " من باس " مبتدأ مؤخر ، مجرور لفظا مرفوع محلا تقديره : باس ، لأن من معاني حرف الجر " من " الزيادة ، فقد زيدت " مِن " على جهة التوكيد [4]. وكقوله في " رُبّ " :

ألا رُبّ ليل قصّرَ اللهوُ طولَه بهيفاءَ مثلِ الغصْنِ بَيّنةِ السَّروِ [5]

---

[1] = عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص 112
2 = الديوان – ص237
3 = الديوان – ص282
[4] = انظر : ابن أبي الربيع – البسيط في شرح جمل الزجاجي – مصدر سابق – ج2/ص842 .
[5] = الديوان – ص718 . السرو : الرفعة والشرف .

فقوله : " رُبّ ليل " . حرف جر شبيه بالزائد ، تنفرد بوجوب تصدرها ، أي أنها لا تأتي إلا في صــدر الكلام ، لأنها تشبه حروف النفي لدلالتها على التقليل ، والقليل في حكم المنفي [1] ، وتكون حالة الاســم المجرور بعدها التنكير ، ويجوز أن تحذف من الكلام ويبقى عملها مع الواو كثيرا ، والفاء قليلا ، وكــان الأصل في محل " رُبّ " أن تكون بعد الفعل موصلا له إلى المجرور كأخواتــه ، إذا قلــت : " مــررت برجل ، وذهبت إلى غلام لك " ، ولكنه لما كان معناه التقليل ، وكان لا يعمل إلا في نكرة ، فصار مقابلا لــ " كم " الخبرية ، فجعل له الصدارة كما جعل لــ " كم " ، وأخّر الفعل والفاعل [2] .

ثانيا : الخبر :

ويقصد بالخبر ما أسند إلى المبتدأ ، وهو الذي تتم به مع المبتدأ فائدة ، أو هو (ما تحــصل بــه الفائدة مع المبتدأ)[3] ، ويفهم من هذين التعريفين أن للخبر ركنين أساسيين ، وهما : حــصول الفائــدة ، وتعلّق المبتدأ بالخبر وارتباطه به ، وهذا المصطلح هو المستخدم عند النحويين . أما عند البلاغيين فهو ما اقتصر على إتمام الفائدة ، حتى وإن لم يُسند إلى المبتدأ ، وقد قسّم عبد القاهر الجرجاني الخبر إلــى قسمين ، وهما : خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة من دونه ، وخبر ليس بجزء من الجملة ، ولكنــه زيادة في خبر آخر سابق له . فالأول خبر المبتدأ، كــ "منطلق " في قولك: " زيــد منطلــق " ، والفعــل كقولك: خرج زيد . فكل واحد من هذين جزء من الجملة وهو الأصل في الفائدة ، والثــاني هــو الحــال كقولك : جاءني زيد راكبا . وذاك لأن الحال خبر في الحقيقة من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحــال كما تثبته بخبر المبتدأ للمبتدأ ، وبالفعل للفاعل [4].

لقد أصبحت دلالة كلمة " خبر " عند النحويين غير ما هي عليه عند البلاغيــين الــذين يعنــون بالمعنى المعجمي للكلمة ، ولكن المقصود بالخبر الجزءُ الذي يتعلق به المبتدأ ، فهو المسند الذي لا يتم إلا بالمسند إليه حتى يعزى إليه الحدث ، وينسب إليه الإسناد ، فلا يتم خبر دون مبتدأ ، أو دون حــصول الفائدة ، وكما نظم ابن مالك :

والخبر الجزء المتم الفائدهْ   كــ" الله برٌّ " والأيادي شاهدهْ [5]

ولابن عقيل رأي آخر في قول ابن مالك ، إذ يرى أن الخبر هو الجزء المتمم للفائدة ، ويردُ عليه الفاعل ، نحو " قام زيد " ، فإنه يصدق على زيد أن يكون بمثابة الخبر المتمّ للفائدة ، وقيل في تعريفه: إنه الخبــر

---

[1] = أبو البقاء العكبري – اللباب في علل البناء والإعراب – تحقيق غازي طليمات – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط1- 1995م – ج1/ص367

[2] = ابن السراج – كتاب الأصول – تحقيق عبد الحسين الفتلي – النجف – مطبعة النعمان – 1973م – ج1/ص507 .

[3] = ابن هشام الأنصاري – شرح شذور الذهب – تحقيق محمد محيي الدين – ط1– ص210

[4] = عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص 132، ص133

[5] = ألفية ابن مالك – تصحيح أبّاه بن محمد العبد – جمع محمد محفوظ – ط1 – 2003م – ص51

المنتظم منه مع المبتدأ جملة ، بل ينتظم منه مع الفعل جملة ، وخلاصة هذا أن ابن مالك عرّف الخبر بما يوجد فيه وفي غيره ، والتعريف يجب أن يكون بالمعرف دون غيره [1].

أقسام الخبر :

والخبر قسمان : خبر مفرد ، وغير مفرد ، فالمفرد نحو " زيد قائم " ، وغير المفرد أربعة أشياء، الجار والمجرور ، والظرف ، والفعل مع فاعله ، والمبتدأ مع خبره ، نحو قولك : " زيد في الدار ، وزيد عندك ، وزيد قام أبوه ، وزيد جاريته ذاهبة [2] ، وقد بيّن أبو البركات الأنباري أقسام الخبر على نحو أشمل، إذ يرى أن أقسام الخبر تكون على ضربين ؛ أحدهما : أن يكون اسما غير صفة ، والآخر أن يكون صفة ؛ أما الاسم غير الصفة ؛ فنحو : زيد أخوك ، وعمرو غلامك . وأما ما كان صفة ؛ فنحو : زيد ضارب ، وعمرو حسن ، وما أشبه ذلك ، ولا خلاف بين البصريين في أن هذا النحو يحتمل ضميرا يرجع إلى المبتدأ ؛ لأنه يتنزل منزلة الفعل، ويتضمن معناه [3]. وغيرُ بعيد عن هذا التقسيم أن تقول إن أقسام الخبر هي :

1- الخبر المفرد : وهو ما كان غير جملة وإن كان مثنى أو مجموعاً .
2- الخبر الجملة : ما كان جملة فعلية ، أو جملة سمية .
3- الخبر شبه الجملة : كأن يكون جارا ومجرورا ، أو ظرفا .

وهذا التقسيم مما لا خلاف عليه بين النحويين جميعا . وأمثلة الخبر المفرد كثيرة ومتنوعة ، ترد في كافة أجزاء القصيدة على اختلاف أنواعها في المطوّلات والمقطّعات ، وذلك لأن الخبر المفرد أسهل وأقصر من الخبر الجملة وشبه الجملة ، مثل ذلك قوله :

أنتــم قعودٌ والرّدى قائمٌ   يسقيكمُ بالكوب والصاخرهْ [4]

فقد جاءت كلمة " قعود " خبرا مفردا للمبتدأ الضمير المنفصل " أنتم " ، بالرغم من أن لفظة "قعود" دلّت على الجمع ، وكذلك الخبر المفرد " قائم " . ومثل ذلك قوله في الفخر :

أنا ابن الوغى والخيلِ والليلِ والظبا   وسُمْرِ القنا والرأيِ والعقدِ والحلِّ [5]

[1] = شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ ص189
[2] = محمد محيي الدين – التحفة السنية – مصدر سابق – ص 108.
[3] = أبو البركات الأنباري – أسرار العربية – تحقيق بركات هبود – مصدر سابق – ص 75 .
[4] = الديوان – ص 267. الصاخرة : إناء من خزف يشرب منه .
[5] = الديوان – ص 439 .

ولعله يريد أن يجعل الخبر المفرد في حالة الإفراد لا المثنى ولا الجمع . ومن الملاحظ أيضا على كثير من النماذج الشعرية للبارودي مما شابه هذا البيت من حيث التركيب والبنية النحوية أنه اعتمد فيه على عمدتين ، وهما المبتدأ الضمير المنفصل " أنا " ، والخبر المفرد المضاف إلى معرفة "ابن الوغى " ، وجعل بقية الجملة بعدهما مما ليس بعمدة ، فهي أسماء معطوفة على قوله : " ابن الوغى " ، ومثله كذلك في التركيب نفسه قوله :

ومن ذا الذي يقوى على دفعِ ما أتى   به الحبّ من جَوْرٍ وسلطانُه أقوى
سبوقٌ إذا جـــارى لحوقٌ إذا هوى   غلوبٌ إذا بادى قــتولٌ إذا أهوى[1]

وفي هذين البيتين ظهرت صورة الخبر اسم الإشارة " ذا " لاسم الاستفهام " مَن " في محل رفع مبتدأ، وظهر الخبر الأول (سبوق) في صدر البيت الثاني للمبتدأ المحذوف ، والخبر الثاني هو (لحوق)، والثالث (غلوب) ، والرابع (قتول) ، وهي كلها لمبتدأ محذوف تقديره " هو " ويقصد به الحب . بالإضافة إلى الخبر الجملة الاسمية الحالية في قوله : وسلطانه أقوى . وهو دليل على كثرة ورود الخبر المفرد على صيغة الإفراد ، وغلبته على الخبر الجملة وشبه الجملة ، وخاصة في لغة الشعر عند البارودي . ومن ذلك أيضا قوله :

فالصبر منخذِلٌ والدمعُ منهمِلٌ   والعقلُ مختَبِل والقلبُ مشتغِــلُ [2]

وكقوله في موضع آخر :

هو مرمى نبلي وملعبُ خيلي   وحِمى أسري ومركزُ بَنــدْي[3]

ففي البيتين السابقين أربعُ جمل اسمية في كل بيت ، والخبر فيها كلها مفرد ، فيظهر في البيت الأول في قوله : " منخذل ، ومنهمل ، ومختبل ، ومشتعل " . والخبر في البيت الثاني مضاف إلى اسم مضاف إلى ضمير المتكلم في قوله : مرمى نبلي ، وبقية الأسماء بعدها معطوفة بحرف العطف على الجملة الاسمية الأولى . ومن شواهد الخبر المفرد مثنىً في شعر البارودي قوله :

أمرانِ مـــا اجتمعـــا لـــقائدِ أمةٍ   إلا جَنى بهما ثمـــار السؤدُدِ
جـــمعٌ يكون الأمر فيما بينهم   شورى وجندٌ للعدو بمرصدِ [4]

---

[1] = الديوان – ص 710.
[2] = الديوان – ص 469.
[3] = الديوان – ص 169.
[4] = الديوان – ص 120.

فقوله : " أمران " . خبر لمبتدأ محذوف جوازا تقديره هما أمران ، وقلة ورود الخبر المفرد مثنى مردّه ما تراه من التفصيل ، فقد اضطر الشاعر بسبب الحاجة إلى أن يذكر الأمرين في البيت الثاني ، وقد جعل من لفظة " جمع " بدلا من " أمران ".

وقد يكون السبب في عنايته بالإفراد لأنه أسهل لفظاً وأخفّ وزناً ، بالإضافة إلى أنه يعبر عن روح الذات ، أو الضمير المخاطب ، أو الغائب . وهي كلها سمات غالبة على الشعر عامة ، لذلك تجد الخبر المفرد يتتابع تركيبه في القصيدة الواحدة ضارباً لحناً موسيقياً عذباً في أجزاء القصيدة ، ملفتاً القارئ إلى تكثيفه وتركيزه على إبراز صورة الخبر من تكراره وتتابعه على نحو يجعل من الخبر المفرد تعجّ به كامل أجزاء القصيدة ، كقوله في تهنئة الخديوي محمد توفيق باشا بجلوسه على كرسي المُلك :

أبَني الكِنانةِ أبشــروا بمحمــدِ ... وثقوا براعٍ في المكــارمِ أوحــدِ
فهو الزعيمُ لــكــمْ بــكل فضيلةٍ ... تبقى مآثرُهــا وعيــــشٍ أرغــدِ
ملكٌ نَمَتْه أرومــةٌ عَلَويــــة ... ملكت بسؤددها عِنــان الفــرقــدِ
يقظُ البصيرة لو سَرَتْ في عينه ... سِنةُ الرُّقاد فــقلبه لــم يــرقـــدِ
بَدَهاته قيــدُ الصـــواب وعزمُه ... شَرَكُ الفوارسِ في العجاج الأربدِ [1]
فإذا تنمّــر فهو زيد في الوغى ... وإذا تكلم فهو قيس في الـــنـــدي [2]
متقسّم مــا بــيــن حُنكة أشيبٍ ... صدقت مَخيلَته وحِلْيَــــة أمــردِ
لا يستريح إلى الفراغ ولا يرى ... عيشاً يلَذّ بــه إذا لـــــم يجـــــهدِ
فنهــاره غــيــث اللهيف وليله ... فـــي طــاعــة الرحمن ليلُ العُبّدِ
لهِجٌ بحبّ الصالحات فــكــلما ... بلغ النهايــة مِــن صنيــع يبتدي
خُلُقٌ تميز عن سواه بفضلـــه ... والفضل في الأخلاق إرثُ المحتدِ
إقليدُ معضلة ومــعقــل عــائذ ... وسمــاء مُنتجعٍ وقبلــة مهتــدِ [3]

إلى آخر القصيدة التي نسج فيها مديحه وزيّنها بالتراكيب الاسمية ، لتدل على حالة من الثبات والاستقرار. وفي تلك القصيدة نلحظ الخبر المفرد الذي ورد بحالة الإفراد في المواضع الآتية وهي قوله : (الزعيمُ ، ملكٌ ، يقظ البصيرة ، قيْد الصواب ، شرَك الفوارس ، زيد ، قيس ، متقسمٌ، غيث اللهيف ، ليلُ العُبّد ،

[1] = بدهات : جمع بدهة ، وبدهه الأمر فاجأه . الشرك : حبالة الصائد . العجاج : الغبار والدخان . الأربد : المغبر .

[2] = تنمّر : غضب . زيد : هو زيد الخيل . قيس : هو قيس بن خارجة بن سنان من أشهر الخطباء في الجاهلية . الندِي : هو المجلس أو النادي .

[3] = الديوان – ص118، ص119، ص 120 . والإقليد : المفتاح . المنتجع : طالب الكلأ .

لهجٌ، خلقٌ ، إرثُ المحتد) . ولا تخلو الأبيات السابقة من القصيدة إلا في بيت واحد جعل خبره جملة فعلية مبتدؤها الضمير المستتر " هو " ، في قوله :

لا يستريح إلى الفراغ ولا يرى   عيـــشاً يلَذ به إذا لم يجهد [1]

وبقية ما ورد من أخبار إما أن تكون علما أو مصدرا . فالمصدر في قوله : (قيد الصواب ، شرك الفوارس ، غيث اللهيف ، إرث المحتد ...) ، والعلَم في قوله : (زيد ، قيس). وهذا كله يثبت شغف البارودي وميله إلى الخبر في حالة الإفراد ، بنوعيه الجامد أو المشتق .

إن وقوع الخبر جملة في شعر البارودي ورد على قسمين : الخبر الجملـــة الاســـمية ، والخبـــر الجملة الفعلية . أما الأول فيقل في شعر البارودي إذا ما قورن بمواضع الخبر الجملة الفعلية ، ويسوّغ تلك القلةَ الجمودُ الذي ينال الجملة الاسمية من جرّاء تركيب الجملة الاسمية وبنائها الثابت ؛ لأن خبرها جملة اسمية، فهو بمثابة تضييق الضيّق ، والجمل الواقعة خبرا هي التي تكون خبرا لمبتدأ أو لفعل ناقص ، أو لحرف شبيه بالفعل ، ومحلها الرفع إذا كانت خبرا للمبتدأ أو للحرف المشبّه بالفعل ، والنصب إذا كانـــت خبرا للفعل الناقص ، أو للحرف المشبّه به ، ومن أمثلة ذلك قوله :

منابتٌ زرعُها بهيجٌ   وغَيْضة ماؤها رَوَاءُ [2]

فالخبر في قوله : زرعُها بهيج ، وقوله : ماؤها رواء . جملة اســـمية مبتـــدؤها " منابـــت ، وغيـــضة "، والضمير المتصل " ها " الذي يربط بينهما عائدٌ فيهما إلى المبتدأ . ولا شك أن اتساع الجملـــة الاســـمية يقتضي الإطالة في المبتدأ والخبر ، مما يعني تأثيره على الوزن من حيث الإطالة ، فالجملتان الاســـميتان في البيت السابق ، اشتملتا على الشطرين جميعهما ، ومثل وروده في آخر البيت قوله في موضع آخر :

أتهموني في مودّته   والهوى من شأنه التّهَمُ [3]

فالخبر الجملة الاسمية في قوله : (من شأنه التُهم) . والمبتدأ هو (الهوى) ، وقد قدّم شبه الجملة الجار والمجرور " من شأنه " على المبتدأ المعرّف " التهم " ، وجعل الضمير المتصل في الاسم المجرور " شأنه" ، يعود على المبتدأ " الهوى " ؛ لأنه لابد للخبر الجملة الاسمية من ضمير يعود على المبتدأ ، ولا

---

[1] = الديوان – ص 120 .

[2] = الديوان – ص 45. الغيضة : الشجر الكثير الملتف .

[3] = الديوان – ص 565 ، أتهم بمعنى اتّهم .

يعود على المتكلم إلا ضمير متكلم ، وكذلك المخاطب لا يعود عليه إلا مخاطب ، وكذلك الغائب لا يعود عليه إلا غائب ، والاسم الظاهر يجري مجرى الضمير الغائب[1].

ومما يجدر ذكره في سياق الكلام على الخبر الجملة الاسمية هو أنه لا يرد إلا متفرقا ، فلا يتوالى الخبر الجملة الاسمية في القصيدة مكرراً ، لأن تركيب الجملة الاسمية وبناءها طويل لا يسمح للخبر الجملة الاسمية بالتنقل في أجزاء القصيدة ، ويعرف ذلك عند النحويين بمصطلح الجملة الكبرى، وهي الجملة : (الاسمية التي خبرها جملة ، نحو : " زيد قام أبوه " ، و" زيد أبوه قائم " ، والصغرى هي المبنية على المبتدأ والخبر ...)[2] ، وهذا ما يسوّغ تكرار الجمل الصغرى، فبناؤها مصغّر يسهل وضعه في البيت الواحد ، أو في الشطر الواحد .

يستخدم البارودي الخبر الجملة الفعلية للحاجة إلى الفعل نفسه ، وذلك لعلتين ، وهما : أن الخبر لايمكن أن يتخلص من المبتدأ أو يستغني عنه البتّة ، فحيثما وُجد المبتدأ فالجملة اسمية ، وليس من اللازم أن يوجد الخبر بعده ، ففي بنية الجملة العربية جمل اسمية تتكون من المبتدأ فحسب ، ويكون المكوّن الثاني غير الخبر ، وهو ما يسميه النحويون بما يسد مسد الخبر ، وذلك إذا كان المبتدأ وصفاً رافعاً لما يكتفي به ، مثل : أقائم المحمدان ، ويشترط النحويون أن يكون الوصف في هذه الحالة معتمداً على نفي أو استفهام [3]، وترد الجملة الفعلية دون الحاجة إلى مبتدأ ، مما يعني سهولة تحرر الجملة الفعلية ، والثاني لما للفعل من صفة التجديد والاستمرار والحركة المرتبطة بالزمان لكسر الرتابة والجمود ، الأمر الذي يعد عنصراً مهماً للغاية في العمل الأدبي .

تأتي الجملة الفعلية خبرا في شعر البارودي ، حتى إنك لا تكاد ترى مبتدأ إلا وخبره جملة فعلية ، ومن أمثلة ذلك في شعره أن يتوسط الخبر الجملة الفعلية شطر البيت ، كقوله :

لا أنت ترحمني ولا نار الهوى   تخبو ولا للنفس عنك عـزاء [4]

ففي البيت السابق تكرار لخبر الجملة الفعلية مرتين ، الأول في قوله : " ترحمني " ، للمبتدأ "أنت"، والخبر الثاني هو " تخبو " للمبتدأ " نار الهوى " ، وكلاهما فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ، وقد عطف الجملتين الاسميتين على بعضهما بعضا . ومثل ذلك أيضا قوله :

---

[1] = انظر : ابن أبي الربيع الإشبيلي – البسيط – مصدر سابق – ج2/ص654

[2] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج 2/ص 438 .

[3] = انظر : بناء الجملة العربية – محمد حماسة عبد اللطيف – ط1 – 1996م – دار الشروق – القاهرة – ص44.

[4] = الديوان – ص 38.

كلٌّ يقول على مقدار فطنته   والله أعلم بالقاصي وبالداني [1]

ولعل الشاعر أراد من جعل المبتدأ لفظة واحدة على نحو ما ورد في صدر الشطرين : " كلٌّ ، ولفظ الجلالة " ، أن يفيد الحكم ، ويوجز العبارة ، لاقتضاء الجملة الفعلية فعلا وفاعلا وما يتعلق بهما من حروف الجر ، فكأنه أراد أن يخلص من المبتدأ إلى الخبر إفادةً للقارئ .

وإذا كان ثمة تجديدٌ في شعر البارودي أو حركة في أجزاء القصيدة ، فهي – عندي – تتمثل في استعماله الجملة الفعلية ، سواء كان خبراً لمبتدأ أو غير ذلك . والغالب في خبر الجملة عموماً أنه يحتل الشطر أو البيت كله ، وذلك لاتساع ما بين المبتدأ أو الخبر الجملة ، وكما ذكرنا سابقاً من أن الجملة الكبرى بنوعيها ، خبر الجملة الاسمية وخبر الجملة الفعلية ، تأخذ حيزاً كبيراً من حيث الوزن على حساب البيت أو الشطر .

أما النوع الثالث من أقسام الخبر فهو شبه الجملة بنوعيه الجار والمجرور، والظرفية ظرف الزمان وظرف المكان ، ومثال ذلك :

وبمهجتي رَشْئِيّةٌ من دونها   أسُدٌ لها قصب الرماح أباءُ [2]

فالخبر شبه الجملة في البيت هو " بمهجتي ، ومن دونها " ، أما الأول فمبتدؤه " رشئية " مؤخر وجوبا لأنه نكرة ، ومثله الثاني فمبتدؤه " أسُد " ، وهذا البيت مبنيّ على أساس دقيق، فقد تداخلت فيه جملتان اسميتان ، ولعل ذلك يدل على مدى عناية الشاعر في الصياغة النحوية للعبارة . ومثل ذلك أيضا قوله :

لك السبقُ دوني في الفضيلة فاشتمِلْ   بحُلّتها فالفضل للمتقدم [3]

فقوله : " لك " . الخبر شبه جملة الجار والمجرور تقدم على المبتدأ " السبق " . ومن صور ورود الخبر شبه الجملة ظرفا قوله :

وتحت جناح الدرع مني ابنُ فتكةٍ   معوَّدة ألا تُحَطّ لُبودُه [4]

---

[1] = الديوان – ص 693.

[2] = الديوان – ص 39 . رشئية : نسبة إلى الرشأ وهو الظبي . الأباء : الأجمة .

[3] = الديوان – ص554

[4] = الديوان – ص148 . اللبود جمع لبد . وهو ما كان تحت سراج الفرس من شعر أو صوف متلبد .

فالخبر في البيت السابق هو شه الجملة من ظرف المكان في قوله : " تحت جناح الدرع " . والمبتدأ هـو قوله : " ابن فتكة " .

مواضع حذف الخبر :

أولاً : وقوع المبتدأ بعد " لولا " وهي أداة امتناع للوجود ، يحذف فيها الخبر وجوباً ، ويليها اسم أو "أنّ " الثقيلة [1] ، ويستدل بها في صدر البيت لاستدعائها الإطالة والتفصيل ، لأنها تعـدّ مـن أدوات الـشرط ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها :

لولا التفاوتُ بين الخلق ما ظهرتْ مَزِيّة الفرقِ بين الحَلْي والعَطَلِ [2]

فخبر المبتدأ " التفاوت " محذوف وجوبا ، لوجود قرينة تدلّ عليه ، وتقديره في ذهن المتلقي هو : موجود. وقوله في موضع آخر مكرراً لولا في بيتين متتاليين :

فلولا ندى كفيه أَوْقَد بأسُـه لدى الـروعِ أطرافَ الظُّبا واللهاذِمِ [3]
ولولا ذكـاه أعشبتْ بيمينه قنا الحظ واخضلت طروسُ المظالمِ [4]

وقد جاءت " لولا " متصدرة البيتين ، غير أنه جعل المبتدأ فيهما مضافا في كل من قوله : " نـدى كفيـه" و"ذكاه " . وهذا يعني أن البارودي حاول أن يغير من تركيب الجملة الاسمية بعد " لولا "، لكنه في الواقع لم يغير من التركيب الاسمي للجملة وإنما كان التغيير في الحكم الإعرابي من حيث إضافة الاسم إلى مـا بعده فحسب .

ثانياً : أن يكون الخبر المحذوف لمبتدأ صريح في القسم ، و(القسم جملة بمنزلة الجملة الشرطية والمفرد في الحاجة يؤكد بها الخبر ... ، ويُجاء بجملة اسمية فيقال : عليّ عهدُ الله ، ولعمرُكَ لأفعلنّ)[5] ، فقولهم : "لعمرك " ، يكون تقدير الخبر فيها " قسم " . وفي شعر الباردي نماذج على ذلك ، جرياً على نمط العرب في القسم الشائع بلفظة : (لعمري) التي يكثر ترددها في الشعر ، نحو :

---

[1] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص475.

[2] = الديوان – ص 398 .

[3] = الظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف . اللهاذم : جمع لهذم ، وهو الحاد من السيوف .

[4] = الديوان – ص 526 . الطروس : الصحائف .

[5] = سعيد بن الدهان – الفصول في العربية – تحقيق فائز فارس – دار الأمل – مؤسسة الرسالة – ط1- 1988م – إربد ، بيروت – ص33.

هم لعمري أذلُّ مَن قــدَم النعـــ ـــلِ نفوساً و النعل منهم أجلّ [1]

ومن ذلك أيضا قوله :

قد لعمري بلوتُ دهري فما أحمد تُ منــه مــا تَحمَد الأقوامُ [2]

فقد جعل القسم المبتدأ " لعمري " وخبره المحذوف " قسم " جملة معترضة لامحل لها مــن الإعــراب ، حذفها كذكرها لا يخل بالمعنى ، وإنما يضفي عليه نوعا من الأهمية ، لأنها تحمل معنى القسم ، ولا شك أن باب القسم من أبواب التغير التي تتغيّر الأسماء فيها [3]. وخلاصة القول في ذلك أن تركيــب الجملــة الاسمية يتكرّر في مواضع متقاربة من حيث الشكل والمضمون ؛ لأن البارودي عمد إلى ذلــك ليُظهــر شعره بالمظهر اللائق الذي ظهر به الشعر العربي القديم على مرّ العصور .

المبحث الثاني : المعرفة والنكرة في الجملة الاسمية :

التعريف والتنكير في شعر البارودي مبحث لا بد من الوقوف عليه ، والاسم النكرة هو (كل اسم يقتضي الاشتراك بوضعه ، نحو : رجل ، فإنه لم يوضع ليقع على واحد بعينه ، وإنما وضع أن يقع على كل واحد ممن هو على هذه الحقيقة)[4] ، ولا شك أن النكرة هي الأصل ، والمعرفة فرع عنها . والاسم المعرف أنواع : العلم ، والمعرف بـــ " أل " ، والمضاف إلى معرفة أو نكرة ، والاسم الموصول ، واسم الإشارة ، والضمائر [5]. وما عدا ذلك من الأسماء فهو نكرة . ويدخل في هذا المبحث الكلام على التقديم والتأخير في الجملة الاسمية ؛ لأن المبحثين بينهما صفات مشتركة ، ومن أمثلة المبتدأ المعرف في الجملة الاسمية قول البارودي :

ما الناس إلا كادحان فعالمٌ يسير على قصد وآخر جاهل [6]

فالمبتدأ " الناس " معرفة لأنه معرف بـــ أل . وجاء بالخبر المفرد المثنى في قوله : " كادحان " رغبة منه في تفصيل أحوال الناس إلى عالم وجاهل ، وكذلك قوله :

---

[1] = الديوان – ص 502 .

[2] = الديوان – ص 623 .

[3] = ابن أبي الربيع الإشبيلي – البسيط – مصدر سابق – ج2/ص928.

[4] = ابن أبي الربيع الإشبيلي – البسيط – مصدر سابق – ج1/ص300، ص301 .

[5] = انظر : شرح المكودي – فاطمة الراجحي – منشورات جامعة الكويت – 1993م – ج1/ص113، ص114.

[6] = الديوان – ص 433.

والدهر كالبحر لا ينفكّ ذا كدر   وإنما صفوه بينَ الورى لُمَعُ [1]

فقد عرّف المبتدأ مرتين : الأولى بـ " أل " التعريف في قوله : الدهر . والثانية بالإضافة ، في قوله: صفوه ، فقد أضيف المبتدأ إلى ضمير الغائب المتصل فاكتسب شيئا من التعريف ، ومثل ذلك في إضافة المبتدأ إلى اسم ظاهر قوله :

بادرِ الفرصةَ واحذرْ فوتَها   فبلوغ العز في نيل الفرصْ [2]

فقوله : بلوغ العز . مبتدأ معرفة ؛ لأنه أضيف إلى اسم معرف بـ " أل " ، فزال حكم التنكير المطلق من المبتدأ ، ومثله في موضع آخر من شعره قوله :

صلة الخيال على البعاد لقاءُ   لو كان يملك عينيَ الإغفاءُ [3]

فالجملة الاسمية في قوله : صلة الخيال لقاء . ابتدأت باسم معرفة ، لأنه أضيف إلى اسم معرف بـ أل ، فاكتسب التعريف من إضافته ، وقد يجعل البارودي المبتدأ معرفة ونكرة في موضعين من البيت الواحد ، كقوله :

هذا يَحُلّ وذاك يرحل كارهاً   عنه فصلحٌ تارة وخصامُ [4]

فقد جعل المبتدأ معرفة في قوله : هذا يحل . وعطف عليها جملة اسمية أخرى وهي : ذاك يرحل. أما قوله آخر البيت : فصلح تارة وخصام . فهو تفصيل لحال من حلّ أو ارتحل ، فجاء بالمبتدأ النكرة "صلحٌ" متقدما على خبره شبه الجملة الظرفية " تارة " ، وعطف عليه " خصام" ، ولو لم يعطف لعلة التقسيم لم يسُغْ له تقديم النكرة . ومن ذلك أيضا قوله :

ذاك عهدٌ مضى وأبعدُ شيء   أن يردَّ الزمان عهدَ التصابي [5]

---

[1] = الديوان – ص338.

[2] = الديوان – ص 296 .

[3] = الديوان – ص 38.

[4] = الديوان – ص 536.

[5] = الديوان – ص 67 .

فقد عرّف المبتدأ في الجملة الاسمية " ذاك عهدٌ مضى " ، و" أبعد شيء أن يردّ الزمان عهد التصابي"، فكان المبتدأ معرفة في كليهما ، فقد جعل المبتدأ الأول اسم إشارة ، وهو " ذاك " ، وجعل خبر المبتدأ المعرفة نكرة في قوله : عهد . وهذا التركيب هو أبسط تراكيب الجملة الاسمية وأكثرها استعمالا شعرا ونثرا . وفي الموضع الآخر من البيت نفسه جعل الجملة الاسمية تتكون من مبتدأ مضاف إلى نكرة في لفظة " أبعد شيء " ، وفي هذا الموضع لا يستقيم المعنى لو عرّف الشاعر المضاف إليه بـ " أل التعريف"، كأن يقول : أبعد الشيء ، لذا فإن حكم المبتدأ المضاف إلى نكرة هو في حكم المبتدأ المضاف إلى معرفة من حيث التقديم ، والمعرف بـ " أل التعريف " من حيث وظيفته في الجملة كالمضاف إلى معرفة أو نكرة، أما الخبر في الجملة الاسمية الثانية فهو المصدر المؤول من " أنْ " والجملة الفعلية . ومثله (ظبي حمى) في قوله :

ظبيُ حمى مذ غربت شمسه   عن ناظري بالبين ماغمّضا [1]

ففي قوله : ظبي حمى ، ابتداء بالاسم المضاف إلى نكرة ، وحكمه من حيث التعريف كحكم الجملة الاسمية في البيت السابق ، غير أن المعنى يستقيم إذا عرّف الشاعر المضاف إليه بـ "أل التعريف"، فالغالب في الشعر أن يقال : ظبي الحمى ، غير أن الوزن لا يستقيم له لو فعل . وكذلك قوله :

ومنزلِ أنس قد عقدنا بجوّه   رتائمَ لهوٍ عقدُهنّ وثيق [2]

فالواو في البيت حرف جرّ بمعنى " ربّ " ، لأنك تُضمر " رب " ، وتكتفي بالواو [3] ، و" منزل " اسم مجرور بالواو لفظا مرفوع محلا ، لأنّ " ربّ " تدخل على الاسم النكرة فتجرّه لفظا ومحلّه أن يكون مبتدأ. ومن مواضع إضافة المبتدأ إلى ضمير متصل قوله :

وثقي بكتمان الحديث فإنما   شفتاي ختمٌ والفؤادُ وعاءُ [4]

فقوله : شفتاي . مبتدأ معرفة ، لأنه أضيف إلى المعرفة ضمير المتكلم ، وهو في شعر البارودي يتوزع في أجزاء البيت والقصيدة ، لأنه أسهل وأخف على الوزن من المبتدأ المضاف إلى اسم معرفة أو نكرة .

---

[1] = الديوان – ص 301.

[2] = الديوان – ص 374 . رتائم : جمع رتيمة ، وهو خيط يعقد على الإصبع أو الخاتم لتستذكر به الحاجة .

[3] = الخليل الفراهيدي – الجمل في النحو – تحقيق فخر الدين قباوة – ط1 – 1985م – مؤسسة الرسالة – بيروت – ص287 .

[4] = الديوان – ص 38.

والضمير المتصل كثيرا ما يقترن بالخبر، وأكثر منه أن يكون المبتدأ ضميرا منفصلا ، وغالبا ما يقترن الضمير المنفصل بغرضي المديح والفخر . كقوله في المدح :

هو الهُمامُ الذي أحيا بمنطقِهِ آثارَ قوم أجادوا النطق بالضاد [1]

فقوله : هو . ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ ، وهو ما يعرف بضمير الأمر أو الشأن[2] ، وقد يستعمل البارودي ضمير الغائب في غرض المديح في الغالب . ولكنه يكون فخرا إذا تحول من الغائب إلى ضمير المتكلم (أنا) ، إذ يقول :

أنا خاشـعٌ لجلال قدرته مـتقـلـبُ الجنبين أوّاهُ

ثم قال :

أنا أمة وحدي على سرفٍ في حبه والناس أشبـاه [3]

فقد ذكر الضمير المنفصل مرتين في كلٍّ من البيتين من قوله : أنا خاشع ، أنا أمة ، وجعل تركيبهما وموضعهما من البيتين متشابهين تماما .

وربما جعل المبتدأ من ألفاظ العموم ، كلفظة (كلٌّ) واستعمالها على هذا النحو لأنها تكون بتقدير المضاف إليه بعدها ؛ لأنه محذوف [4] ، ومثل ذلك في شعره :

كلٌّ مسوقٌ لما أريد به ففيم هذا الخصامُ واللددُ [5]

فأصل " كلّ " أن تكون مضافة كأن يقول : (كل امرئ ، أو كل أحد) ، فيذكر نوع المضاف إليه بعدها ، كقوله :

كلٌّ امرئ أسلمه عقله فماله من بعده ناصرُ [6]

فقد أضاف المبتدأ " كل " في البيت السابق إلى الاسم النكرة " امرئ " ، ليدل به على إطلاق الحكم.

---

[1] = الديوان – ص 182.

[2] = ابن أبي الربيع الإشبيلي – البسيط – مصدر سابق – ج1/ص303.

[3] = الديوان – ص 706- 707

[4] = انظر : السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص496.

[5] = الديوان – ص 185 .

[6] = الديوان –ص 264.

إن الاستفهام المتكرر عند البارودي يتوافر في مطلع القصيدة ، وهذه سنة موروثة من الـشعراء الأقدمين ، فلعله اختار الاستفهام في مطلع قصيدته ليحيل القارئ إلى مدى التـساؤلات التـي تعتـوره ، ومعلوم أن (السؤال يثير رد فعل تلقائي عند المتلقي في محاولة الإجابة فالمرء يُـسأل ليجيب ، أو ليقف وجهاً لوجه مصطدماً بعدم معرفة ما هو مسؤول عنه ، أو ليقف مسلّماً مبهوراً أمام ما يحمله عليه السائل من إجابة ، ولا يطلب من المخاطب سوى الإقرار بها)[1] . وإذا كان ثمة ميول عند الشاعر إلى شيء من الفلسفة فهو يتمثل في تكراره للسؤال ، وإن كانت طبيعة السؤال عنده سطحية لا تتعدى أن تكون أسـئلة ذاتية أو بلاغية يعبر فيها عن مدى الشوق والحنين والحيرة .

إن المبتدأ في شعر البارودي يرد على صورة التنكير بعد حرفي النفي (ما ، ولا) ، وهـو مـا سوف نعرضه بالتفصيل في مبحث النفي في الجملة الاسمية ، ومن أمثلة ذلك قوله :

لا أنيسٌ يسمـع الشكوى ولا   خبرٌ يأتي ولا طيفٌ يمُرْ [2]

والشاهد في البيت السابق هو وقوع المبتدأ النكرة " أنيس " بعد " لا النافيـة " التـي لا محـل لهـا مـن الإعراب، ولكنها لو نُزعت عن المبتدأ لم يجُز تقديمه على الخبر البتة ، إذ لا يصحّ أن يقـال : " أنـيس يسمع الشكوى". لذا فقد كانت حاجته إلى التنكير هي حاجته إلى تقديم المبتدأ .

ومن مواضع ورود المبتدأ نكرة وقوع الابتداء بالنكرة بعد " لـولا " ، وهـو مـا ذهـب إليـه البصريون[3] ، إذ يمتنع بها الشيء لوجود غيره ، فيرفع الاسم بالابتداء كما يرتفع بالابتـداء بعـد ألـف الاستفهام ، إلا أنك بعد " لولا " تُضمر الخبر ، وهذا قول سيبويه [4] ، غير أن الكوفيين يرون أن الاسـم الذي يليها يرتفع (على تقدير فعل نابت " لا " منابه)[5] ، وبعيدا عن الخوض في خلاف النحـويين فقـد وردت " لولا " في مواضع كثيرة من شعر الباروي كقولـه :

ولولا أخٌ أحمدت في الودّ عهدَه   على حَدَثان الدهرما كنت أستثني [6]

---

[1] = عيد بلبع – أسلوبية السؤال – 1999م – دار الوفاء – ط 1 – ص 77.
[2] = الديوان – ص 253.
[3] = انظر : أبو البركات الأنباري – الإنصاف في مسائل الخلاف – تقديم حسن حمد – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1- 1998م – ج1/ص74.
[4] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص129
[5] = أحمد المالقي – رصف المباني في حروف المعاني – تحقيق أحمد الخراط – ط3 – 2002م – دار القلم – دمشق – ص362.
[6] = الديوان – ص 632.

فلفظة " أخ " نكرة جاءت بعد " لولا " ، غير أنها قد وُصفت بالجملة الفعلية (أحمدت) ، مسوغ تقديمه أنه جاء بعد " لولا " ، وتقدير المعنى هو : لولا أخ محمود موجود لم أستثن أحدا .فحُذف الخبر " موجود " في الجملة الاسمية كما بيّنا سابقا ، وإن كان تركيب الجملة يبدو على نحو تكون فيه: (لولا +مبتدأ نكرة) . ومن مواضع تقدم المبتدأ النكرة أن يكون معطوفا على اسم معرفة أو نكرة موصوفة ، ومثل عطف المبتدأ على الاسم النكرة قوله :

نهارٌ وليلٌ يدأبان وأنجــمٌ تغيب إلى ميقاتها ثمّ تشرقُ [1]

فقد عطف الاسم النكرة " ليل " على المبتدأ " نهار " ، وجعل خبرها الجملة الفعلية : يدأبان . ثم عطف الجملة الاسمية " أنجمٌ تغيب " على الجملة الاسمية الأولى ، وجعل خبرها الجملة الفعلية " تغيب " . وكقوله أيضا في موضع آخر يعطف على المبتدأ اسما نكرة موصوفا :

عدوٌ وليلٌ مظلمٌ وصواهلٌ تجاذب في أرسانها وتمارسُ [2]

فصورة الابتداء بالنكرة ظهرت في قوله : عدوّ . ومسوّغ التقديم هو عطف المبتدأ على الاسم الموصوف " ليل " . وتركيب البيتين السابقين هو على شاكلة : (مبتدأ نكرة + حرف العطف "الواو"+ اسم معطوف نكرة متصرفة) .

ومن صور المبتدأ النكرة أن يراد به حقيقة الجنس بشكل عام ، ولا يقصَد به فردٌ واحد أو حكــم خاص . وإن يكن المبتدأ النكرة له قواعد وشروط تقيده ، إلا أن البارودي استعمل المبتدأ النكرة الذي يراد به حقيقة الجنس ، أو إطلاق حكم عام يقتضي مسألة في القصيدة ، ليوجه الأسماع إلى الحقائق التـــي لا سبيل إلى إنكارها أو دحضها ، والتجارب التي أفاد منها في حياته ، كقوله :

فضاءٌ يردّ العين حسرى ومسرحٌ يقصّ جناح الفكر وهو مُحلّقُ [3]

وكقوله أيضا :

دهرٌ يغرّ وآمال تسرُّ وأعــ ـــمارٌ تمُرّ وأيامٌ لها خدَعُ [4]

حيث جعل المبتدأ في البيتين السابقين في حكم العام الذي لا يخصص ، فقوله : " فضاء ، مــسرح". فـــي البيت الأول ، وقوله : " دهر ، آمال ، أعمار ، أيام " في البيت الثاني ، مفردات تطلق علـــى العمـــوم ،

[1] = الديوان – ص 383.
[2] = الديوان – ص 286.
[3] = الديوان – ص 382.
[4] = الديوان – ص 338.

لأنها تدل على حقائق كونية شاملة ، يراد بها توجيه حكمة أو تجربة خاضها الشاعر ، وهو ما سوّغ تقديم المبتدأ النكرة على هذا النحو .

ومن صور تقدّم المبتدأ أيضا أن يأتي الشاعر بلفظة المبتدأ النكرة لإفادة المدح أو الذم ، (وذلك قولك : سلام عليك ولبّيك ، وخيرٌ بين يديك ، وويلٌ لك ، وويح لك ، وويسٌ لك ، وويلةٌ لك، وعولة لك ، وخيرٌ له ، وشرٌّ له ... فهذه الحروف كلها مبتدأة مبنيٌّ عليها ما بعدها ، والمعنى فيهنّ أنك ابتدأت شيئا قد ثبت عندك ، ولست في حال حديثك تعمل في إثباتها وتزجيتها وفيها ذلك المعنى)[1]، ومن صور هذه الألفاظ ومعانيها لفظة " عفاء " في قول البارودي :

عفاءٌ على الدنيا إذا المرءُ لم يعشْ بها بطلاً يحمي الحقيقة شدُّهُ [2]

ومثله أ يضا في تركيب الجملة على نحو قولك : (مبتدأ نكرة " عفاء " + حرف الجر " على " + الاسم المجرور " الدنيا ") قول البارودي :

عفاءٌ على الدنيا فما لعِداتها وفاءٌ ولا في عيشها متمتعُ [3]

و" العفاء " لفظة في اللغة معناها : التراب [4] . وقد وقعت اللفظة في البيتين السابقين على صورة المبتدأ النكرة ، وكذلك فإنه كلما جاء بهذه اللفظة ألحقها بالجار والمجرور في قوله : على الدنيا ، وهو ما يدل على أن الشاعر قصد معنى الدعاء . ومن ألفاظ الدعاء بالذم والهلاك في شعر البارودي قوله : " ويلٌ "، كقوله :

فويلٌ لهذا الدهر ماذا أراده إلينا وقد كنا كرامَ المحاصلِ [5]

فقد وقع الابتداء بالاسم المفرد " ويل " لدلالة الكلمة على الدعاء بالذم والهلاك ، وخبره شبه الجملة الجار والمجرور (لهذا الدهر) . ويرى سيبويه أن " ويل " لا تشير دائما إلى معنى الدعاء فقوله تعالى :{ ويلٌ للمطففين }[6] ، لا ينبغي أن تقول : إنه دعاء ههنا ، لأن الكلام بذلك قبيح ، واللفظ به قبيح [7] .

---

[1] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص330
[2] = الديوان – ص 126.
[3] = الديوان – ص 329.
[4] = محمد بن منظور – لسان العرب – مصدر سابق – ج15/ ص 78 .
[5] = الديوان– ص 465.
[6] = سورة المطففين ، 1 .
[7] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص331.

إن الغالب في المبتدأ النكرة أن يتأخر على الخبر لانتفاء وجود ما يسوّغ تقديمه على خبره شبه الجملة ، وهذا النحو من التركيب أعمّ وأشمل في شعر البارودي مـــن غيره ، والشواهد الشعرية في ديوان البارودي كثيرة [1] ،

إن شعر البارودي قد استوفى حقه من الاتساع النحوي في تركيب الجملة الاسمية وبنائها ، فتعدّدُ أقسام المبتدأ النكرة يدل على أن الاسم النكرة هو الأصل في الأسماء ؛ (إذ لا يوجد معرفة إلا وله اســم نكرة ، ويوجد كثير من النكرات لا معرفة لها ، والمستقلّ أولى بالأصالة، وأيضا فالـــشيء أول وجـــوده تلزمه الأسماء العامة ، ثم يعرض له بعد ذلك الأسماء الخاصة كالآدميّ إذا وُلد ، فإنه يسمى إنـــسانا أو مولودا أو موجودا ، ثم بعد ذلك يوضع له الاسم العلم واللقب والكنية . وأنكر النكرات مذكور ثم محدث ، ثم جوهر ، ثم جسم ، ثم نامٍ ، ثم حيوان، ثم إنسان ، ثم رجل ، ثم عالم؛ فكل واحد من هذه أعمّ مما تحته وأخص مما فوقه)[2] ؛ ولأن النكرة لا تحتاج في دلالتها على المعنى الذي وضعت لأجله إلى قرينة ، أمـــا المعرفة فتحتاج إلى قرينة تدل عليها .

الخبر النكرة والمعرفة في شعر البارودي :

الأصل في الخبر أن يكون نكرة مشتقة ، إلا أنه قد يكون جامداً ، ووقوع الخبر نكرة لا يحتاج إلى ما يسوغه ، على خلاف المبتدأ ، فالخبر بمعناه ومبناه يدل على حدث يسند إلى المبتدأ، وقد يكون هذا الحدث اسما معرفة أو نكرة ، أو ربما يكون فعلا أو اسما مسبوقا بحرف من حروف الجر ، أو ظرفا من ظروف الزمان والمكان ، فلا مانع من وقوعه على هذه الأنواع ما دام يؤدي غرض الإخبار ، وإن وقوع الخبر نكرة أو معرفة يكون في المفرد الذي لا هو جملة ولا شبه جملة ، لأن الجملة وشبهها لا يتمان باسم واحد ، والأمثلة كثيرة على وقوع الخبر نكرة ، فمنها قول البارودي :

هي ساعةٌ تمضي وتأتي ساعة   والدهر ذو غِيَرٍ بهذا الناس [3]

فالخبر " ساعة " اسم نكرة ، وقع بعد ضمير منفصل ، ووقوعه نكرة دليل على اتساعه وشموله ، لأنه قصد بقوله : " ساعة " أن يشير إلى تقلب ساعات الدهر على صاحبها ، لا أن يدل على وقت زمني محدد، كما قيل في المثل الشائع : " يوم لك ويوم عليك " . وقوله كذلك :

---

[1] = انظر : الديوان – ص 229، ص207، ص147، ص319 .

[2] = حاشية الصبان في شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد – المكتبة الوفيقية – القاهرة – ج1/ص182، ص183.

[3] = الديوان – ص 285.

فالطلّ منتشرٌ ومنتظمٌ   والغصنُ مفترقٌ ومؤتلفُ [1]

فالخبر النكرة هو : (منتشر ، مفترق) . وقد أراد الشاعر أن يلفت الأسماع إلى تلك اللوحة الطبيعية الجميلة والتي تختلف ألوانها ، إذ لا يستقيم له أن يعرّف كلا من المبتدأ والخبر بـــ " أل التعريف ".

كثيرا ما يكون الخبر النكرة لمبتدأ محذوف يقدر حسب سياق الكلام قبله ، ولعل السبب في ذلك أنّ الحذف له دلالاته البلاغية ، لما للشعر من قيود وأوزان تحتّم اختصار المعنى وإيجازه، بحيث يبتدأ بذكر الشيء فيتقدم بعض أمره على بعض ، ثم يستأنف بكلام آخر بالخـــبر مـــن غير المبـــتدأ ، من ذلك في شعر البارودي قوله :

إذا ما تذكّرت الزمانَ الذي مضى   تساقطُ نفسي إثـــرَ تـــلك القبائـــلِ

قبائـــل أفنتها الحروب ولم تكن   لتفنى كرام الناس مـــا لـــم تُقاتلِ [2]

فـــ" قبائل " خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هي " ؛ لأن المعنى عائد إلى البيت الأول ، وقد حُذفت إيجازا في الكلام ، ومراعاة للوزن ؛ لأنه استقر في الذهن أن حديثه مستمر عن القبائل ، لذا فقد قـــدم فـــي البيـــت السابق ما يدل على هذا الحذف ، وليس من المقبول أن يعيد ما تقدم ذكره ، أو يكررها مرتين وقـــد تـــمّ المعنى دون الحاجة إلى ذلك . وغيره كثير في شعره كقوله متحدثا عن نفسه :

يقولون محمودٌ ويا ليت أنني   كما زعموا أو ليت لي طائعا كاسمي [3]

وتقدير قوله : " محمود " في الكلام : (يقولون : هو محمود كاسمه) ، إشارة منه إلـــى اســـمه . فـــأتى بالخبر قد بني على مبتدأ محذوف ، وقد ذكر شيئا مما يدل على هذا الحذف ، وهو ضمير المتكلم في قوله : "أنني" ، وأدلّ من ذلك قوله : " ليت لي طائعا كاسمي " ، فهو يقصد منها كلها الحديث عن نفسه .

إن الخبر المعرفة على ضروب وأنواع ، يختلف فيها باختلاف أنواع المعارف ، ولا يتأتى الخبر في مواضع التعريف كلها إلا مفرداً ، ويكثر أن يكون الخبر معرفاً بـــ " أل التعريف"، ومثاله :

هو المليك الذي لولا مآثـــــرُه   ما كان في الدهر يسرٌ بعد معسورِ [4]

---

[1] = الديوان – ص 351.

[2] = الديوان – ص 466.

[3] = الديوان – ص 573.

[4] = الديوان – ص 213.

وقوله على النسق نفسه :

أنا المرء لا يطغيه عــزٌّ لثروة   أصـــاب ولا يلوي بأخلاقــه الكــذُّ [1]

والخبر المعرفة في البيتين السابقين هو قوله : (المليك ، المرء) ؛ لأن المبتدأ (اسم مضمر ، والمضمر لا يوصف بالمظهَر أبدا ؛ لأنه قد استغنى عن الصفة ، وإنما تُضمر الاسم حين يستغني بالمعرفة)[2] ، وقد عُرّف بـــ أل التعريف ، ليدل على المدح في الأول وعلى الفخر في الأخير ، لأن في إدخال أداة التعريف نوعا من إبراز قيمة الخبر ، ليظهره في صورة المعارف . ومن المعارف التي يأتي الخبر على صورتها الاسم الموصول المعرف " أل " ، كقوله :

فأنتَ الذي أوليتني كل نعمة   وهذّبتني حتى اصطفتني العشائرُ [3]

وقوله في قصيدة أخرى :

وأنتَ الذي نوّهت باسمي ورِشتَني   بقــول سرا عني قناعَ التوهّمِ [4]

فقد جعل الخبر في الموضعين اسما موصولا ، وبنى البيتين على التركيب نفــسه ، ليــدل علـــى مكانـــة الممدوح ، وهذا التركيب على شاكلة تركيب : (المبتدأ " الضمير المنفصل " + الخبر الاسم الموصـــول " الذي ") . وقد يكون الخبر مضافا إلى معرفة أو نكرة ، وهو بذلك يكون أقلّ تعريفا من أن يكون الخبـــر علما أو معرفا بـــ " أل " التعريف ، كقولـــه :

الشعر زينُ المرء ما لم يكن   وسيلـــة للمدح والـــذّامِ [5]

ومثله قوله :

فإن أكن جُرّدتُ من ثروتي   ففضلُ ربي حِلية العاطلِ [6]

ففي البيت الأول أضاف الخبر " زين " إلى المضاف إليه " المرء " ، وفي البيت الثاني أضاف " حليـــة " إلى " العاطل " ، ولا شك أن هذه الإضافة تخدم معنى في نفس الشاعر ، إذ يمكنـــه أن يمنـــع الإضـــافة ويكتفي بإبقاء الخبر نكرة ، كأن يقول : الشعر زين ، وفضل ربي حلية ، على عكس المبتدأ ، غيـــر أن الشاعر أراد من إضافة الخبر أن يخصّص بالذكر الشيء الذي يتعلق به الإخبار . وقد يجعل الخبر معرفة مضافا إلى اسم مضاف كقوله :

---

[1] = الديوان – ص 139.

[2] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص88.

[3] = الديوان – ص 267.

[4] = الديوان – ص 554.

[5] = الديوان – ص 599.

[6] = الديوان – ص 486.

والناسُ أعداءُ أهل الفضل مذ خُلقوا　　　من عهد آدمَ سبّاقون في الإحَنِ [1]

فالخبر " أعداء " في قوله : أعداء أهل الفضل . قد اكتسب التعريف من جهة إضافته إلى اسم نكرة وهو " أهل الفضل " . وهذا التركيب أندرُ من التراكيب السابقة في شعر البارودي ؛ فقد جاء الخبر في الجملة الاسمية " أعداء أهل الخير " على نحو : (مبتدأ + خبر مضاف + مضاف إليه وهو مضاف + مضاف إليه مجرور) .

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ من فروق الإثبات أنّ جعْل الخبر نكرة ليس كتعريفه بـ"أل التعريف " ، وتعريفه بأداة التعريف ليس كتعريفه بالإضافة ، وذلك مثلا كأن تقول : زيد منطلق ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد . فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاصٌّ وفائدة لا تكون في الباقي ، فإذا قلت : زيد منطلق أردت أن يكون كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقا كان ، لا من زيد ولا من عمرو ، فأنت تفيده ذلك ابتداء ، وإذا قلت : زيد المنطلق . كان كلامك مع من عرف أن انطلاقا كان إما من زيد وإما من عمرو ، فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره[2]. فمثال قوله : زيد منطلق . في تعريف المبتدأ وتنكير الخبر ، قول البارودي :

فلا أنا إن أدناني الوجد باسمٌ　　　ولا أنا إن أقصاني العُدْم باسرُ
فما الفقر إن لم يدنس العرض فاضح　　　ولا المال إن لم يشرُفِ المرء ساترُ [3]

فقوله في البيت الأول : فلا أنا باسم ، ولا أنا باسر . وفي البيت الثاني : فما الفقر فاضح ، ولا الحال ساتر . مطابقة لتركيب " زيد منطلق " في كلا البيتين ، وهو أنه جعل المبتدأ معرفة والخبر نكرة ، ليدل على العموم ، فيكون في حكم الأمر الذي لا ينكر أو يُرد لأنه لا يحتمل ذلك .

أما التركيب الثاني على نسق : زيد المنطلق . في شعر البارودي – بأن يجعل جزأي الجملة الاسمية معرفة – قوله :

هو الحب لا يثنيه نأيٌ وربما　　　تأرّج من مسّ الضرام له النَدُّ [4]

وكذلك قوله في موضع آخر :

أنا المرء لا يثنيه عن دَرَك العلا　　　نعيمٌ ولا تعدو عليه المفاقرُ [5]

---

[1] = الديوان – ص658.

[2] = انظر : عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص 136.

[3] = الديوان – ص242.

[4] = الديوان – ص 140.

[5] = الديوان – ص 242

وكقوله أيضا :

إن قلبي وهْو الأبي دهتْهُ   فُرقة صيّرته نهبا مُشاعا [1]

ففي الشواهد الشعرية الثلاثة جمل اسمية معرَّفة الجزئين المبتدأ والخبر ، وهي قوله : (هو الحب)، في البيت الأول . وقوله : (أنا المرء) ، في البيت الثاني . وقوله : (هو الأبي)، في البيت الثالث. وقد أراد من تعريف جزأي الجملة الاسمية أن يوحيَ إلى السامع أنه في حكم ما كان معروفا في الأصل ، ولم يكن المراد من ذكره إلا إثبات أنه كذلك ، فلم يقل البارودي في البيتين السابقين المتشابهين تماما في التركيب : " هو الحب ، أنا المرء " إلا ليثبت ليؤكد على حكم في هذا التركيب . وفي قوله : " وهو الأبي " . جعل الجملة الاسمية حالية ، لأنه تقدمها " الواو " الحالية ، فهي في محل نصب حال للفعل الماضي " دهته " ، وجاء بها ليحمل المتلقي على الإقرار بعلته . وقد يورد البارودي الخبر المعرفة مسبوقا بضمير الفصل ، كقول البارودي :

هذا هو الأدب المأثور فارضَ به   عِلما لنفسك فالأخلاق تنتقلُ [2]

فقد جاء بالمبتدأ اسم الإشارة " هذا " ، ثم جعل خبره الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر في قوله : هو الأدب. وقد تقول : إن الضمير المنفصل " هو " لا محل له من الإعراب ، باعتبار أنه ضمير فصل، فقد فصل بين المبتدأ اسم الإشارة " هذا " ، وبين خبره المعرف بأل " الأدب " .

إن أقلّ مواضع الخبر المعرفة ورودا هو تركيب الجملة الاسمية " المنطلق زيد " ، وهذا التركيب يندر لعلة حاجة الشاعر فيه إلى توظيف الأعلام بأسمائهم المجردة ، وهو في لغة شعر البارودي مما يتجنب الوقوع فيه ، إلا أنه لم يتجنب استعماله البتة في غرض المديح ، كقوله في البيت الذي ذكرناه سابقا:

فإذا تنمّر فهو " زيد " في الوغى   وإذا تكلم فهو " قيس " في الندي [3]

فقد وقع الخبر في شطري البيت علما في كل من قوله : " زيد ، وقيس " ، واستعان في استعمال العلمين بالتوظيف ، فـ " زيد " المذكور في البيت هو زيد الخيل من قبيلة طيء ، وهو من شجعان العرب وفرسانهم المشهورين ، وسُمّي بذلك لكثرة ركوبه الخيل وامتطائها في الحرب ، وقد سمّاه الرسول –صلى

---

[1] = الديوان – ص 326.

[2] = الديوان – ص 476.

[3] = الديوان – ص119

الله عليه وسلم – زيدَ الخير ، أما قيس فهو قيس بن مسعود البكري أحد خطباء العرب الذين أوفدهم النعمان على كسرى [1] ، وهذا التوظيف هو ما جعله يكرّر بنية الجملة في شطري البيت الواحد .

أما الخبر المضاف إلى نكرة ، فيكثر استعماله في مواضع حذف المبتدأ جوازا ، كما أشرنا في باب المبتدأ المحذوف ، ومن ذلك قوله :

ميدان سبق للخلاعة أشرفت فيه الكُمَــيتُ بغرّةٍ غرّاءِ [2]

وكقوله يكتب إلى صديقه :

ملاعبُ لهوٍ يقصُر الطرف دونها ودنيا نعيمٍ لا يحيط بها الفكرُ [3]

ومثل ذلك التركيب :

ملاعبُ آرام ومجرى جداول وملتفّ أفنان تقي الحر والبردا [4]

فالخبر في الأبيات هو : (ميدان سبق ، ملاعب لهو ، ملاعب آرام) . وكل هذه الأخبار لمبتدأ محذوف مقدر ، بمعنى أن الجملة الاسمية وردت على نحو : (مبتدأ محذوف جوازا + خبر مضاف + مضاف إليه مجرور) ، وقد دلّ ورود الخبر في صيغة هذا التركيب المتجانس على إضفاء أهمية للخبر على حـساب المبتدأ ؛ لأنه أراد أن ينقل ذهن المتلقي من الكلام على المبتدأ إلى الكلام على الخبر ، فيعلم المتلقـي أن هذا الحذف دليل على رغبة الشاعر في شد المتلقي إلى الخبر ، ولكن هذا لا يعنـي عـدم ورود الخبـر مضافا إلى نكرة دون أن يذكر معه المبتدأ الظاهر ، بأن يجعل تركيب الجملة هو : (مبتدأ " معرفة " + خبر مضاف + مضاف إليه) ، فمن ذلك قوله :

والشيب أكملُ صاحب لو أنه يبقى ولكنْ لا سبيلَ إلى البقا [5]

فقوله : الشيب أكمل صاحب . فقد عرّف ركني الجملة الاسمية ، فالمبتدأ معرّف بـ أل التعريف، والخبر بالإضافة .

---

[1] = الديوان – ص 119

[2] = الديوان – ص 43. الكميت : الخمر .

[3] = الديوان – ص 227.

[4] = الديوان – ص 171.

[5] = الديوان – ص 51.

إن الخبر اسم إشارة في شعر البارودي ، يتناسب والغرض الذي يستخدم فيه التركيب ، وأغلب المواضع التي يرد فيها اسم الإشارة تكون في غرض المديح ، ومن ذلك قوله في مدح الخديوي عباس حلمي باشا الثاني :

هو ذلك الملك الذي ورث العلا　　عن نفسه شرفا وعن آبائهِ [1]

وله مثل البيت السابق في التركيب يمدح الخديوي محمد توفيق باشا :

هو ذلك الملكُ الذي أوصافُه　　في الشعر حِلية راجز ومُقصِّد [2]

ففي البيتين السابقين تكرار لتركيب الجملة الاسمية " هو ذلك الملك الذي " على شاكلة تركيب : (الضمير المنفصل " ضمير الشأن " + الخبر اسم الإشارة " ذلك " + بدل مرفوع " الملك " + الاسم الموصول " الذي " بدل ثان + جملة الصلة لا محلّ لها من الإعراب) ، فقد وقع فيها اسم الإشارة " ذلك " خبرا للمبتدأ الضمير المنفصل ، وجعل الاسمين " الملك ، الذي " بدلين من الخبر اسم الإشارة ، وقد استعمل هذا التركيب الاسمي مرتين في غرض واحد لممدوحين مختلفين ، ولا شك أن هذا التركيب من دلائل رغبة الشاعر على عدم التفاته إلى التجديد في القوالب الاسمية . ومثل ذلك أيضا قوله في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

هــو النبــيّ الــذي لولا هدايتُــهُ　　لكان أعلمُ من في الأرض كالهمجِ
أنا الذي بتّ من وجدي بروضتهِ　　أحِنّ شوقا كطير البانــة الهــزجِ [3]

فكل تلك الضمائر السابقة دلت على معنى الشأن ، لأن تقديمها في صدر البيت على هذا النحو يضفي عليها شأنا يميّزها عن غيرها من الكلام . وكقوله في الهجاء وذم الوزارة :

هذا الذي تكرهُ الأبصارُ طلعتَهُ　　فحظّهــا منه إيــذاءٌ وإعــلامُ [4]

فقد أجرى التركيب الاسمي للبيت السابق على نحو بيت الفرزدق الذي مدح فيه زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين قال :

---

[1] = الديوان – ص 41.

[2] = الديوان – ص 120.

[3] = الديوان : ص 101

[4] = الديوان – ص579

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأته   والبيت يعرفه والحِلّ والحرمُ [1]

وإن يكن الفرق في المعنى بين الغرضين بيّنا ، إلا أن تركيب الجملة الاسمية وبناءها قائم على التركيب نفسه في بيت البارودي .

إن آخر ما يمكن أن يذكر في هذا الباب هو وقوع الخبر نكرة موصوفة ، وهــذا من المألوف والمتداول في شعر البارودي ، من مثل قوله :

ولكنها الأقدار تجري بحكمها   علينا وأمرُ الغيب سرٌّ محجّبُ [2]

وكذلك قوله :

وما الــحبّ إلا نَفثة بــابليةٌ   يكاد الصفا من مسِّها يتصدّعُ [3]

فقوله : " مُحجّب " في البيت الأول صفة للخبر النكرة " سرّ " ، لأنه أراد أن يجعل من صفات هذا الــسر أنه محجوب لا يطّلع على كنهه أحد ، وقوله في البيت الثاني : " بابلية " . نسبة إلى مدينة بابل المعروفة ، وقد جعلها صفة للخبر " نفثة " . وربما ورد الخبر النكرة موصوفا لجملة فعلية كقوله :

هِــيَ أحــدوثة تساق ولكن   ربّما استوجبت ثناءً وحمدا [4]

وكقوله :

صورٌ تدل على حكيم صانعٍ   والله يخلق ما يــشـــاء ويَبرأُ [5]

فالخبر في البيتين السابقين هو " أحدوثة ، صور " نكرة ، لكنها ليست في مطلق التنكير ، فقــد وُصــف الخبران كلاهما بالجمل الفعلية : " تساق ، تدل " ، فنقلته من صفة الخبر النكرة المطلقة إلى صفة الخبــر النكرة الموصوفة ، والقاعدة النحوية تنصّ على أن الأفعال بعد النكرات صــفات ، وقــد جــاء الفعــلان المضارعان " تساق ، تدل " بعد الخبر النكرة في محل رفع صفة لخبرهما .

---

[1] = شرح ديوان الفرزدق – ضبطه إيليا الحاوي – دار الكتاب اللبناني – ط1 – 1983م – بيروت – ج2/ص460.
[2] = الديوان – ص 59.
[3] = الديوان – ص 323.
[4] = الديوان – ص 179.
[5] = الديوان – ص 47.

المبحث الثالث : الحذف والذكر في الجملة الاسمية :

إن للحذف في الجملة الاسمية حاجةً ماسة في الشعر خاصة ، فهو يجعل الكلام أكثر إفادة وإيجازا، ويوجب على صاحبه أن يذكر قبله ما يدل عليه ، و(الحذف لا بدّ له من قرينة)[1] ؛ لأن الغرض منه غالبا ما يكون بلاغيا محضا ، وقد أفردت له كتب البلاغة مساحة واسعة لا يتسع لها هذا الباب . وقــد يقع الحذف على أحد ركني الجملة الاسمية فــ(المسند والمسند إليه اللذان يمثلان جزأي الجملة أو ركنيها الأساسيين قد تلحقهما لأغراض بلاغية أحوالٌ من الذكر والحذف ، أو التقديم والتأخير ، أو التعريف والتنكير ، أو التقييد ، أو القصر ، أو الخروج عن مقتضى الظاهر في المسند إليه وفي غيره)[2] . واستعمال البارودي للحذف كثير لا حصر له ، ويكون لغرض الإيجاز غالبا وخاصة عندما يقتضي ذلك غرض الوصف ، كقوله في الوصف :

وأصبحت في أرض يحار بها القطا ... وترهبها الجِنَّانُ وهْــي ســوارحُ
بعيـــــــدة أقطار الدياميم لو عدا ... سُليكٌ بها شأوا قضى وهْو رازحُ [3]

والشاهد في حذفه المبتدأ للخبر (بعيدة أقطار الدياميم) هو قوله في البيت الأول : " أرض " . لأن الكلام فيما بعدها وصف لها ، فقد ذكر كلاًّ من الضميرين المتصل " ــها " ، والمنفصل " هــي " ، وجعلهمــا عائدين على الأرض التي يصفها ، وما دام المعنى وثيق الصلة بما أراده الشاعر من وصف فقد حُقّ لــه أن يحذف المبتدأ لاستقراره في الذهن ، وكقوله في الفخر :

وإني وإن كنت ابنَ كأسٍ ولذةٍ ... لذو تُدْرَأٍ يومَ الكــريـــــهةِ والأزْلِ [4]
وقورٌ وأحـــلامُ الرجالِ خفيفة ... صبورٌ ونارُ الحرب مِرجَلُها يغلي [5]

فقوله : وقور ، صبور . خبران لمبتدأ محذوف تقديره " أنا " ، لأن الضمير في البيت يعود على الشاعر نفسه ، وهو ما يقتضيه غرض الفخر في الشعر . ومثل ذلك أيضا قوله متشوقا

أدور ولا أدري وإن كنــت حــازما ... يمينـــيَ أدنى للهدى أم شِمالِــيا
صريعُ هوى لا أذكر اليوم باسمِه ... ولا أعرفُ الأشخاصَ إلا تماديا [6]

---

[1] = الخطيب القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة – تحقيق عبد الحميد هنداوي – ط2 – 2003م – مؤسسة المختار – القاهرة – ص93 .

[2] = عبد العزيز عتيق – علم المعاني – 1985م – دار النهضة العربية – بيروت – ص 122.

[3] = الديوان – ص 105. الجنان : جمع جان وجن وجنة .

[4] = التدرأ : المنعة والقوة .

[5] = الديوان – ص 438.

[6] = الديوان – ص 725

فقد ذكر الخبر المحذوف مبتدؤه " صريع هوى " بعد أن قدّم ذكره في البيت الذي يسبقه ، فاستقرّ في ذهن المتلقي أنه يقصد بالخبر الحديث عنه .

وخلاصة القول هي أن البارودي إذا أراد أن يحذف المبتدأ جوازا قدّم له في البيت الذي يسبق الحذف ، بحيث لا يترك بين المبتدأ المحذوف وما يدل عليه بَوْنا واسعا ، حتى لا يشرد ذهن المتلقي عن المعنى المراد ، بالإضافة إلى أنه في الغالب عندما يحذف المبتدأ يذكر خبره صدر البيت ، وفي بيته السابق دليل على نمطية التركيب ، وتكرار البنية النحوية نفسها ، فقد ذكر الخبر المستغني عن المبتدأ المحذوف (وقور ، صبور) لوجود قرينة معنوية تدلّ عليه ، بعد أن أظهر أن المبتدأ المحذوف في البيت السابق يعود عليه ، ومثل ذلك في الهجاء قوله :

إن ملكا فيه " فلانٌ " وزيرا   لمباحٌ للخائنين وبَـــلّ
أهــوجٌ أحــمقٌ شتيمٌ لئيمٌ   أغــتمٌ أبلهٌ زنيمٌ عُــتلٌّ [1]

ففي البيت السابق دليلٌ آخر على ما ذكرنا ، حيث تعدّدَ الخبر فيه إلى ثمانية ، وكلها تعود إلى مبتدأ واحد محذوف تقديره : (هو) . بالرغم من تجاوزه النحوي ، ولجوئه إلى الضرورة الشعرية في تنوين أوزان (أفعل) وهي : (أهوج ، أحمق ، أغتم ، أبله) ، فالأصل أن يرفع عنها التنوين ويردها إلى الضمة ، ولكن الوزن لا يستقيم له ، فالضرورة الشعرية لها ما يسوغها . إذ (يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام ؛ من صرف ما لا ينصرف ...)[2] ، وعلة ذلك أنهم (يشبّهونه بما ينصرف من الأسماء ، لأنها أسماء كما أنها أسماء)[3] . وقد ورد في شعر ابن أبي ربيعة تركيب مماثل بعض الشيء لبيتيْ البارودي في قوله :

فقالت وصدّت : أنت صبٌّ متيّمٌ   وفيك لكلّ الناس مطّلبٌ عُــذرا
ملولٌ لمن يهواك مستطرَفُ الهوى   أخو شهوات تبذل المذقَ والنَّزرا [4]

فقد ذكر ابن أبي ربيعة في البيت الثاني ثلاثة أخبار لمبتدأ محذوف يعود على الضمير المنفصل " أنت " ، وهي : (ملول ، مستطرف الهوى ، أخو شهوات) . وإن يكن البارودي بالغ في تعدّد صورة الخبر ، إلا أن الصورة العامة لتكرار الخبر في بيتيْ البارودي مألوفة إذا ما نظرت إلى شعر سابقيه .

[1] = الديوان – ص 499.
[2] = ابن الدهان – الفصول في العربية – تحقيق فائز فارس – مصدر سابق – ص112.
[3] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج26/1.
[4] = ديوان عمر بن أبي ربيعة – ص132.

ولا يعني ذلك بالضرورة أن يكون حذف المبتدأ مسوغا لا بديل عنه في شعر البارودي ، فكما أن حذفه يخدم معانيَ ودلالات ، فإن ذكره – وهو الأصل – يفيد معانيَ أخرى ، ربما لا تكون في حذفه ، وقد ذكر الخطيب القزويني أن التعريف بالإضمار يكون إما لأن المقام التكلم ، ويعني به ضمير المتكلم ، وإما لأن المقام مقام المخاطب ويعني به ضمير المخاطب ، وإما لأن المقام مقام الغيبة ، أي ضمير الغائب، وقد جعل لذكر المسند إليه دلالات ، وهي : إما لأنه الأصل ولا مقتضى للحذف ، وإما للاحتياط لضعف التأويل على القرينة ، وإما للتنبيه على غباوة السامع ، وإما لزيادة الإيضاح والتقرير ، وإما لإظهار تعظيمه أو إهانته ، وإما بالتبرّك بذكره ، وإما لاستلذاذه [1] . من مثل قول البارودي في تعظيم الذات الإلهية يذكر فيها المبتدأ ضميرا منفصلا :

عسى إلهي يفُكُّ أسري فهو فعولٌ لما يَودُّ [2]

وهذا الضمير مستعمل بكثرة في اللغة لدلالته إذا قُصد به أن يدلَّ على التفخيم والتعظيم ، كقوله تعالى: {هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يُشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يُسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم }[3]، ولم يتكرر الضمير " هو " في الآيات السابقة ليدل على التعظيم فحسب ، بل لأن الغرض من وضع المضمرات إنما هو الاختصار [4] . وربما أفاد من ذلك معنى التقريع والذم والهجاء ، كذمه للدهر، ويقصد فيه أهل الدهر ، إذ يقول في مقدمة ديوانه : (وقد يقف الناظر في ديواني هذا على أبيات قلتها في شكوى الزمان ، فيظن بي سوء من غير رويّة يجلّيها ، ولا عذرة يستبينها ، فإني إن ذكرت الدهر فإنما أقصد به العالم الأرضي ، لكونه فيه ، من قبيل ذكر الشيء باسم غيره لمجاورته إياه ، كقوله تعالى : {واسأل القرية }[5] أي أهل القرية...)[6] ، وفي ذلك يقول في ذمّ أهل الدهر :

وكيف يصون الدهر مهجة عاقل وقد أهلك الحَيّيْنِ عاداً وجُرْهُما
هو الأزلم الخدّاع يخفِر إن رعى ويغدر إن أوفى ويُصمي إذا رمى [7]

---

[1] = انظر : الخطيب القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة – مصدر سابق – ص44، ص45.
[2] = الديوان – ص 169.
[3] = سورة الحشر : 22 ، 24 .
[4] = انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني – مصدر سابق – ج1/ص196
[5] = سورة يوسف ، 82
[6] = الديوان : المقدمة – ص 35.
[7] = الديوان – ص 559.

فقد عاد ضمير الغائب " هو " على الدهر . والحق – كما ذكر البارودي – أن في البيت الأخير ذكرا لأقسام الناس الذين اختبرهم الشاعر في معترك حياته ، ما بين غدّار وخدّاع ، وربما كان ذكر المبتدأ المضمر من قبيل الفخر ، كقوله :

أنا مصدر الكَلِم النوادي ‏ ‏ ‏ بين الحواضر والبوادي

أنا فارسٌ أنا شاعرٌ ‏ ‏ ‏ في كلّ ملحمةٍ ونادي [1]

فلا شك أن هذين البيتين يدلان على فخر الشاعر المطلق بنفسه ، وذلك في قوله : أنا مصدر الكلم النوادي، أنا فارس ، أنا شاعر .

المبحث الرابع : التقديم والتأخير في الجملة الاسمية :

التقديم أوالتأخير حاجة يلجأ إليها المتكلم لغايات متعددة قد تكون نحوية أو بلاغية ، وهو في الشعر كالكلام ، إلا أنه يحتّم على السياق أو الوزن أو القافية أن يُقدم أو يؤخر حسب الحاجة إليه نظرا لاختلاف لغة الشعر عن النثر ، فهو في مثل هذه الحالة قد يكون ضرورة شعرية ، لها دواعيها وأسبابها ، والأجود في المبتدأ أن يكون متقدما على خبره ، كذا قال الخليل ووافقه سيبويه على ذلك ؛ إذ يقول : (الحدّ فيه أن يكون الابتداء مقدّما . وهذا عربي جيد . وذلك قولك : تميميٌّ أنا ، ومشنوءٌ من يشنؤك ، ورجلٌ عبد الله ، وخزٌّ صُفَّتك)[2] . وقد لجأ البارودي كثيرا إلى التقديم والتأخير في أجزاء الجملة الاسمية الواحدة ، جريا على عادة الشعراء المتقدمين الذين تكلفوا ضروبا من الصنعة والدقة ، وقد تكون الحاجة إلى التقديم أو التأخير – في لغة الشعر خاصة – دليلا على جهد الشاعر وتكلفه في تقديم طرف على حساب طرف في الجملة الاسمية الواحدة ، إن لم يكن هناك مسوغ يوجب التقديم أو التأخير .

الأصل في المبتدأ أن يكون له الابتداء والصدارة في الكلام ، وشرط الصدارة التعريف ، إلا في حالات استثنائية ، وقد يكون المبتدأ نكرة ، ولكن بشرط الإفادة [3] ، لأن الأصل في ترتيب الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر لأن المبتدأ محكوم عليه ، وحق المحكوم عليه أن يكون متقدماً على المحكوم به [4] ، والخبر إنما هو وصف للمبتدأ في المعنى ، فاستحق التأخير ، ويجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا لم تتحصل بتقديم المبتدأ الفائدة .

---

[1] = الديوان – ص 184.

[2] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص127

[3] = شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ص 203 .

[4] = أبو الفداء إسماعيل – الكناش في النحو والصرف – تحقيق رياض حسن الخوام – ط1 – 2000م – المكتبة العصرية – بيروت – ج 1/ ص 143 .

ولا شك أن لجوء الشاعر إلى التقديم أوالتأخير لا يعني أن يكون متصنعا ، وإلا لمَا دعت الحاجة إلى التقديم والتأخير في الشعر ، فإن التقديم يقتضي من وراء التخصيص اهتماما بشأن المقدم [1] . وإنما يكون التكلف فيه أن يتعمد الشاعر تقديم طرف أو تأخيره على حساب المعنى والدلالة وهو ما يجعل منه زخرفا وحشوا لا حاجة إليهما ، فكثرة الألوان في لوحة الفنان تؤذي العين أكثر مما تبهجها إذا لم تخدم الفكرة ، لكنها في الوقت نفسه لا تنفي أن تكون لا حاجة إليها في العمل الأدبي ، وربما كان عمل الفنان تماما كعمل الأديب والشاعر ؛ لأنهم جميعا معنيون باستخدام الأدوات والأساليب وفقا للقواعد والمعايير المحددة التي تقتضيها سلامة الفن الذي يحترفونه ، (وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني العلاقة القائمة بين علم النحو وعلم المعاني ، حيث جمع بين ما يدرسه النحاة من رتب ، وبين ما يدرسه البلاغيون من أساليب التركيب المتعلقة بالتقديم والتأخير ، وأطلق على ذلك مصطلح " النظم والترتيب ")[2] .

إن التقديم والتأخير في النحو – كما هو معروف – نوعان : فالأول واجب التقديم ، والثاني يقع على الاختيار ، فيجوز فيه أن يتقدم الخبر ويتأخر المبتدأ . وربما اضطر الشاعر إلى ذلك ، فتجده أحيانا يضع الكلام في غير موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه ، ويزيله عن قصده الذي لا يحسن في الكلام غيره ، ويعكس الإعراب ، فيجعل المفعول فاعلا ، والفاعل مفعولا ، وأكثر ذلك فيما لا يشكل معناه [3]. وما دامت الصدارة في الكلام للمبتدأ ، فالأصل أن يقدم المبتدأ على الخبر ، والمواضع التي يكون تقديم المبتدأ فيها وجوبا هي المواضع نفسها التي يجب تأخير الخبر فيها ، وإنما أفرد جمهور النحاة الحديث عن كل باب من أبواب التقديم والتأخير في موضعه، رغبة منهم في التوضيح والبسط .

<u>مواضع تقديم المبتدأ في شعر البارودي :</u>

1- النوع الأول : أن يكون المبتدأ مما يلزم الصدارة بنفسه ، كأسماء الاستفهام [4] ، إذ يجب تقديم المبتدأ على الخبر إذا كان اسما من أسماء الاستفهام [5] ، ويجب تقديم أسماء الشرط ، وكم الخبرية ، وما التعجبية ، وضمير الشأن ، وغيرها من الأسماء المبهمة التي لها الصدارة في الكلام . كقول البارودي :

فمن إلى ملجأ الضعيف إذا ... أقبل ليلٌ وأطبقتْ ظُلَمُـــهْ
ومن يقود الزحوفَ راجفة ... واليوم بالحرب ساطعٌ قتمُهْ [6]

---

[1] = الخطيب القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة – مصدر سابق – ص 114.

[2] = إبراهيم الطاهر – خصائص التركيب في ديوان أحمد الشارف – ط1 – 2000م – دار الكتب الوطنية – بنغازي – ص34.

[3] = يوسف بن الأعلم الشنتمري – النكت في تفسير كتاب سيبويه – تحقيق رشيد بلحبيب – المغرب – 1420هـ / 1999م – ج 2/ ص 228.

[4] = انظر – شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ ص222.

[5] = أبو الفداء إسماعيل – الكناش – مصدر سابق – ج1/ص 143 .

[6] = الديوان – ص 562 .

فقد جعل " مَن " في البيتين السابقين من أسماء الاستفهام المبهمة الواجب تصدرها ، فقوله : من إلى ملجأ الضعيف . تقدم المبتدأ على الخبر شبه الجملة الجار والمجرور " إلى ملجأ الضعيف " ، وفي قوله في البيت الثاني : من يقود الزحوف . تقدم المبتدأ " من " على الخبر الجملة الفعلية " يقود الزحوف " ، وكقوله أيضا :

من قلّدَ الدهرَ جُمانَ الندى وألهم الــقُمْريَّ حتى شدا [1]

فــ " مَن " اسم استفهام مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ ، والشاهد في هذا البيت أنه لا يجوز أن يتأخر المبتدأ اسم استفهام على خبره مطلقا ، لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة في الكلام على كل حال ، ومثل ذلك في اسم استفهام آخر قوله :

وأيُّ امرئ يبقى ودون بقائه نهارٌ وليلٌ بالرّدى يَفِدانِ [2]

فلو قال : يبقى أيّ امرئ ، لانتفى حكم الابتداء من اسم الاستفهام " أيّ " ولكان فاعلا بدل أن يكون مبتدأ ، وبذلك تكون الجملة فعلية لا اسمية .ومن مواضع تقدّم المبتدأ على الخبر وجوبا أن يكون المبتدأ اسما من أسماء الشرط ، كقوله [3] :

ومن أشرك الناس في أمرهِ دعته الضرورة أن يُخدَعا [4]

فــ(مَن) ، اسم شرط مبنيّ على السكون ، في محل رفع مبتدأ لوجوب تصدّره على بقية أجزاء الجملة ، والخبر هو جواب الشرط .لاومن أمثلة تقدّم " كم الخبرية " على الخبر قوله :

فكم أممٍ في الدهر بادت وأعصرٍ خلتْ وهما أعجوبة العينِ والفكْرِ [5]

والشاهد ورود " كم " الخبرية في صدر البيت في محل رفع مبتدأ ، مضافة إلى الاسم الذي يليه " أمم " ، وهذا النمط من التركيب يكثر في شعر البارودي ؛ وذلك لما تحمله دلالة " كم " الخبرية من معنى التكثير، فهي نظيرة " ربّ " في التقليل والاستعمال ، وهي (بمنزلة اسم يتصرّف في الكلام غير منوّن ، يجرّ ما

---

[1] = الديوان – ص 175.

[2] = الديوان – ص 670 .

[3] = انظر : الديوان – ص 570 ، ص76.

[4] = الديوان – ص 326.

[5] = الديوان – ص 221.

بعده إذا أسقط التنوين ، وذلك الاسم نحو مائتي درهم ، فانجرّ الدرهم لأن التنوين ذهب ودخل فيما قبله . والمعنى " ربّ " وذلك قولك : كم غلام لك قد ذهب ... ؛ لأن " كم " اسم " و" ربّ " غير اسم بمنزلة "مِن") [1] ، فـ (رُبّ) تسبق الاسم النكرة ، ولكنْ لا بدّ للنكرة التي تعمل فيها " رُبّ " من صفة ، إما اسم وإما فعل ، لا يجوز أن تقول: رُبّ رجل ، وتسكت ، حتى تقول : رب رجل صالح ، أو تقول : رجل يفهم؛ لأن " ربّ " حرف [2]. وقد يقع المبتدأ اسما مبهما تعجبيا كأن يكون على صورة " ما التعجبية " ، كقوله :

ما أطيبَ العيشَ لولا أنه فاني   تبلى النفوسُ ولا يبلى الجَديدانِ [3]

فـ " ما " اسم مبني في محل رفع مبتدأ ، والجملة الفعلية من فعل وفاعل ضمير مستتر ومفعول به ، في محل رفع خبر . ولا شك أن (ما التعجبية) تطلب الفعل وفاعله ومفعوله ، ففي قوله في الموضع الأول : ما أطيب العيش . المبتدأ فيه هو " ما التعجبية " ، وخبره هو الجملة الفعلية المكوّنة من الفعل الماضي وهو " أطيب " وفاعله الضمير المستتر وجوبا تقديره " هو " ، وقوله : العيش . مفعول به منصوب ، فـ"ما " اسم مبني في محل رفع مبتدأ ، والجملة الفعلية بعده في محل رفع خبر له ، بدليل أن " ما " إذا وقعت أول الكلام مع الفعل ، فانصب المتعجب منه ، بوقوع الفعل عليه[4] . ومثله أيضا قول البارودي :

ألا قاتل اللهُ الهوى ما ألذّهُ   علـــى أنّه مرٌّ المذاقِ أليـــــمُ [5]

وتركيب هذا البيت يشبه تركيب البيت السابق في الإعراب إلا أن المفعول به في قوله : " ما ألذه". جاء على صورة الضمير المتصل .

2- النوع الثاني : تَساوي المبتدأ والخبر في المعنى والتعريف والتنكير ، نحو: " زيد الأفضل " ، بحيث يكونان معرفتين أو نكرتين كلٌّ منهما صالحة للابتداء بها [6]. وهذا النوع مما يسهل في التركيب ويندر في شعر البارودي ، لأن الحاجة فيه تقتضي أن يكون طرفا الجملة الاسمية متوافقين تعريفا أو تنكيرا ، وهو ما يحيل الشاعر إلى الإقلال منه في كثير من المواضع ، ومثله في شعر البارودي قوله:

---

[1] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص161.

[2] = ابن السراج – كتاب الأصول – مصدر سابق – ص509. انظر : الديوان – ص 400 ، ص 523.

[3] = الديوان – ص 690 . الجديدان : الليل والنهار .

[4] = ابن هشام الأنصاري – شرح جمل الزجاجي – تحقيق علي عيسى – ط2 – 1986م – عالم الكتب – بيروت – ص 182.

[5] = الديوان – ص 595.

[6] = شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ص 216.

تغايرت فيه أسماعٌ وأفئدة   فكلّ نادٍ " عكاظٌ " حين يُرتجَلُ [1]

فقد جعل المبتدأ " كل ناد " مضافا ، وخبره " عكاظ " علم مرفوع ، فتساويا في الحكم ، ويبدو هذا التساوي في قوله :

أولئك قومي أيّ قومٍ وعُدّةٍ   فلا ربعُهم مَحْلٌ ولا ماؤهم ضَحْلُ [2]

فالشاهد قوله : " أولئك قومي " ، فكلٌّ من المبتدأ اسم الإشارة ، والخبر المضاف إلى ياء المتكلم قد وافقا التعريف . بعكس قوله في البيت نفسه : " ربعهم محل ، ماؤهم ضحل " . فالمبتدأ في الجملتين معرفة والخبر نكرة .

3- النوع الثالث : وجوب تقديم المبتدأ وتأخير الخبر إذا كان الخبر فعلا رافعا لضمير المبتدأ مستترا ، نحو : " زيد قام " . فالفعل الماضي " قام " وفاعله الضمير المستتر : خبر عن زيد ، ولا يجوز التقديم ، فلا يقال " قام زيد " على أن يكون زيد مبتدأ مؤخرا ، والفعل خبرا مقدما ، لأن "زيد" يكون بذلك فاعلا لـ " قام " ، ولا يكون من باب المبتدأ والخبر ، بل من باب الفعل والفاعل [3] . ومثل ذلك ما ورد في شعر البارودي متكررا ، إلا أن الشاعر استعمل التركيب بالقدر الذي يحتاج إليه ، دون أن يتكلف استعماله ، مثل قوله :

والطلّ ينهلُ من مساقطِهِ   مثلَ عُقُودِ الجُمانِ مُنتَثِرهْ [4]

فقد جعل المبتدأ " الطل" معرفا بـ " أل " متقدما على خبره الجملة الفعلية " ينهل " ، لأنه لو قدم الفعل لم يخدم تمام الصورة التشبيهية في الشطر الثاني من البيت . ومثله في شطر البيت الثاني قوله :

فانظر إلى عقل الفتى لا جسمِهِ   فالمرء يكبُر بالفِعالِ ويصغُرُ [5]

---

[1] = الديوان – ص 477 .

[2] = الديوان – ص 426

[3] = شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ ص 219.

[4] = الديوان – ص 247.

[5] = الديوان – ص 233.

فقوله : " المرء يكبر " جاءت الجملة الاسمية بعد الفاء الاستئنافية ، ولذلك فقد قدّم الجزء المهم ذكره على ما أراد الإخبار عنه ، لأن اهتمامه وتركيزه في البيت السابق كان على المبتدأ " المرء" لا على الخبـر " يكبر " ، وكذلك قوله :

لا صاحبٌ إن شكوتُ حالي   يرثي ولا سامعٌ يـرُدُّ [1]

فالجملتان الاسميتان " لا صاحب يرثي " ، و" لا سامع يرد " أراد بهما الإطلاق علـى وجـه العمـوم لا الخصوص ، فكان الأولى تقديم الاسم ليكون مبتدأ ، وتأخير الفعل ليكون خبرا .

4- النوع الرابع : أن يكون الخبر محصورا بـ " إنما " ، أو بـ " ما ، وإلا " ، فلا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ في هذه الحالة لتغيّر المعنى المقصود ، وهذا النوع يرد أكثر من أي نوع مضى لوجود الدلالة التي يحملها أسلوب الحصر ، إضافة إلى ذلك فإن أداتي الحصر (إنما ، وما وإلا) يحملان معنى مختلفا بعض الشيء بالرغم من أنهما أداتا حصر ، فليست (إنما) في المعنى والاستعمال كـ (ما) و(إلا) ، و(يبين لك أنهما لا يكونان سواء أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما وإلا) يصلح فيه " إنما ")[2] . ومثل " إنما " في شعر البارودي قوله :

إنما المرءُ باللسانِ وبالقلـ   ـبِ فإنْ خابَ منهما فهْو فَسْلُ [3]

فقد وردت (إنما) في البيت السابق سابقة للجملة الاسمية " المرء باللسان " في حكم الشيء الذي لا ينكر ولا يرد كما ذكر ذلك عبد القاهر الجرجاني ، فلا يمكن أن ينكر أحد أن يكون الإنسان بأصغريه لسانه وقلبه ، ولا يؤثر تقدم " إنما ، أو أنما " على الجملة الاسمية في الإعراب ، فقد ذكـر سـيبويه (أن كـل موضع تقع فيه " أنّ " تقع فيه " أنما " ، وما ابتدئ بعدها صلة لها ، كما أن الذي ابتدئ بعد " الذي " صلة له . ولا تكون هي عاملة فيما بعدها كما لا يكون " الذي " عاملا فيما بعده)[4]

أما المواضع التي ترد فيها (ما وإلا) في شعر البارودي فهي لِيردَّ بها الشك عن الأمر، وليجعله مؤكدا لا سبيل إلى إنكاره أو دحضه ، ومن مواضع ذكرها في شعر البارودي :

وما مصرُ إلا جنةٌ بك أصبحتْ   مُنوِّرة أفنـانُـهـا والخـمـائـلُ [5]

---

[1] = الديوان – ص 168.

[2] = عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص 253.

[3] = الديوان – ص 498. الفسل : الضعيف العاجز .

[4] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج3/ص129.

[5] = الديوان – ص 459.

وقد جعل البارودي معرض حديثه عن مصر وجمالها في مدح الخديوي عباس حلمي الثاني ، إذ جمع غرضي المدح والوصف في بيت ، لذلك حقَّ له استخدام أسلوب الحصر فيه ، ويقول في أصناف الناس :

فما الناس إلا حاسدٌ ذو مكيدةٍ وآخر مَحنيُّ الضلوع على دَخْلِ [1]

ولم يتأتّ له استخدام هذا النوع من الحصر إلا ليحصر أصناف الناس في النوعين اللذين ذكرهما ، ما بين حاسد يحمل في صدره المكيدة ، وفاسد الطويّة معيب ، وبهذا وصم الناس بالتحاسد ، والتباغض ، والتخادع ، والخبث ، والمكر السيئ ، وكل ما تحتويه كلمات الحسد ، والكيد ، والدخل من النقائص ، والمساوئ ، والمعايب ؛ فغالى في ذمهم والسخط عليهم والتنديد بهم [2] . فكان تركيب الأبيات السابقة على نحو : (ما + المبتدأ + إلا + الخبر) ، ومثل ذلك أيضا :

فما الدهر إلا نابلٌ ذو مكيدة إذا نزعتْ كفّاه في القوس لم يشوِ [3]

فقد بنى البيتين السابقين بناء واحدا ، وهو ما يظهر في الشطر الأول من قوله : فما الدهر إلا حاسد ذو مكيدة ، وقوله : فما الدهر إلا نابل ذو مكيدة ، حتى لتكاد تظن أن البيتين قد تكرّرا مرتين .

ومما تقدم نلحظ أن مواضع تقدم المبتدأ أغلب عنده من مواضع تقدم الخبر ، وإن كان تقديم الخبر مقتصرا على نوعين سيأتي ذكرهما فيما بعد ، وذلك لأن الأصل في بناء الجملة الاسمية أن يتصدر المبتدأ ، ومن ثم كان تقدمه وجوبا ، أكثر من تقدم الخبر عليه ، إذ يتقدم الخبر على المبتدأ وجوبا وفق أربعة شروط ، وهي : الشرط الأول : أن يكون المبتدأ نكرة غير مفيدة ، مخبرا عنها بظرف أو جار ومجرور ، وقد التُزم تقديمُ الخبر فيما وقع فيه المبتدأ نكرة والخبر ظرفا [4] ، وأمثلة ذلك كثيرة في شعر البارودي، إذ يكاد ذلك يظهر في القصيدة الواحدة أكثر من مرة ، ومن تلك الأمثلة في شعر البارودي قوله:

وفي حركاتِ البرقِ للشوق آيةٌ تدلّ على ما جنَّه كلُّ عاشقِ [5]

ففي قوله : في حركات البرق . الخبر شبه جملة جار ومجرور ، تقدم على المبتدأ " آية " وجوبا ، لأنه نكرة . أما تقديمه الظرف والإخبار به ، فمثل قوله :

---

[1] = الديوان – ص 441. الدخل : فساد الطوية .

[2] = انظر : حاشية الديوان – ص 441.

[3] = الديوان – ص717

[4] = الزمخشري – المفصل في صنعة الإعراب – دار الكتاب المصري – ط1– ص31.

[5] = الديوان – ص 385.

وبين العوالي في الخدور نواشىءٌ   من العينِ حُمْرُ الحَلْي بيضُ الترائبِ [1]

فالمبتدأ " نواشىء " نكرة تأخّر بعد خبره شبه الجملة الظرفية " بين العوالي " . غير أن الإخبار بحــروف الجر وتقديمها على المبتدأ أكثر من نظيرتها شبه الجملة الظرفية ، وذلك لما تحمله حروف الجــر مــن معان ودلالات يطلبها الشاعر .

الشرط الثاني : أن يكون الخبر اسم استفهام أو مضافا إلى اسم استفهام ، غيــر أن استعمال الأول أكثر من الثاني ، مثل قوله :

أين اللوى وعهدُهُ   أيْهاتَ عهدٌ باللوى [2]

وكذلك قوله :

وكيف مقامي بين أرضٍ أرى بها   من الظلم ما أخنى على الدار والسَّكْنِ [3]

ففي البيتين السابقين جعل الخبر اسم استفهام في قوله : (أين ، كيف) ، وقد تقدم المبتدأ لتصدره الجملة الاسمية في صورة اسم الاستفهام .

الشرط الرابع : إذا اتصل بالمبتدأ ضمير يعود إلى شيء في الخبر، نحو " في الدار صاحبها " فصاحبها مبتدأ ، والضمير المتصل به راجع إلى الدار ، وهو جزء من الخبر فلا يجوز تأخير الخبر [4] . ومثل ذلك في شعر البارودي أن يرد على حسب القافية التي انتهت بها القصيدة ، كقوله في القصيدة الدالية :

فللمسك ريّاه وللبانِ قدُّه   وللوردِ خدّاه وللظَبي جِــيــدُهُ [5]

إذ جعل الهاء المتصلة في المبتدأ في كل من : (ريّاه ، قده ، خداه ، جيده) ضمائر تعود علـــى الخبــر الجار والمجرور ، فالضمير هو ما جعل الشاعر يكثف الجملة الاسمية في البيت بحيث يكــرر التركيــب نفسه أربع مرات في بيت واحد ، ولم أعثر في القصيدة الطويلة إلا على هذا البيت الــذي ورد تركيبــه النحوي مخالفا لسائر التراكيب في القصيدة بل في الديوان نفسه .

---

[1] = الديوان – ص 70.
[2] = الديوان – ص715.
[3] = الديوان –ص 628.
[4] = انظر : شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ص224.
[5] = الديوان – ص147.

تقديم الخبر وتأخير المبتدأ جوازا :

يجوز في هذا المبحث التقديم والتأخير دونما تغيّر في الحكم الإعرابي ، بحيث لا يمنع شيء من تقديم الخبر أو تأخير المبتدأ ، فإذا لم يجتمع في الخبر أو المبتدأ شرط من الشروط التي توجب تقدمه أو تمنع تأخره – مما ذكرنا سابقا – فإنه يجوز له أن يتأخر أو يتقدم ، بحسب الحاجة التي تقتضيها الدلالة أو الوزن الشعري . ومن نماذج جواز التقديم والتأخير في شعر البارودي قوله :

فهل إلى صلةٍ من غادرٍ عِدَة   تشفي تباريحَ قلبٍ بالفِراق شجِ [1]

وكقوله في موضع آخر يبني الشطر الأول من البيت على التركيب نفسه :

فهل إلى سِنةٍ إن أعوزت صلة   عَوْدٌ ننالُ به من طيفِها الوطرا [2]

فقوله في الشطر الأول من البيتين : (عدة ، وصلة) مما يجوز فيه التقديم والتأخير ، وإن كان المبتدأ نكرة ؛ لأن (الاستفهام إما إنكاري وإما حقيقي ، أما الاستفهام الإنكاري فهو بمعنى حرف النفي ، وتقدم حرف النفي على النكرة يجعلها عامة ، وعموم النكرة عند التحقيق هو المسوغ للابتداء بها ، إذ إن الممنوع إنما هو حكم على فرد مبهم غير معين ، أما الحكم على جميع الأفراد فلا مانع منه ، وأما الاستفهام الحقيقي فوجه تسويغه أن المقصود به السؤال عن فرد غير معين يطلب بالسؤال تعيينه)[3] . ويشبه التركيب الاسمي السابق قوله :

فهل إلى صِلةِ الآمالِ مِن سببٍ   أم هلْ إلى ضِيقَة الأحزان من فرجِ ؟ [4]

فالمبتدأ المجرور (سبب) محله الرفع ، لأن حرف الجر فيه زائد ، وزيادته تخدم الدلالة ولا تنفي الحكم ، فهو مجرور لفظا ، مرفوع محلا . وقد تكرر هذا التركيب في شعر البارودي كثيرا كقوله :

فهل إلى الأشواق من غاية   أم هل إلى الأوطان من مَرْجَعِ [5]

ومثل البيت السابق قوله :

قالت فهل من دواءٍ يستطبُّ به   قلت الوصالُ فراحتْ وهْي تبتسمُ [6]

---

[1] = الديوان – ص100.

[2] = الديوان – ص 255

[3] = شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ ص203 ، ص204.

[4] = الديوان – ص101.

[5] = الديوان – ص 323.

[6] = الديوان –ص 570.

وفي موضع آخر يذكر المبتدأ مرة مرفوعا ومرة يجعل محله الرفع ، كقوله :

فهل نهلة من جدول النيل ترتوي بها كبدٌ ظمآنة ومُـــشاش [1]
وهل من مقيل تحت أفنان سدرة لها من زرابيّ النبات فِراشُ [2]

ويقول أيضا :

فما لي بالذي أمليـــ ـــهِ من فضلٍ فأغنَمُهُ [3]

فقوله في الأبيات السابقة : من غاية ، من دواء ، من جدول ، من مقيل ، من فضل . جاءت كلها أسـماء مجرورة لفظا مرفوعة محلا ، لأنها في الأصل مبتدأ ، وقد وردت على هذه الصيغة لأن "مِن" تفيـد الاستغراق في الاستفهام إذا دخلت على المبتدأ [4] . وفي ذلك دليل على أن حرف الجر الزائد فـي شـعر البارودي ذو قيمة في الدلالة والوزن الشعري ، فقد جعل المبتدأ المجرور لفظا متقدما أو متأخرا في أكثر من موضع . وربما أتى به زائدا مع الاسم المجرور في غير المبتدأ ، كأن يكون مفعولا به محلا ، كقوله:

فاطمحْ بطرفك هل ترى من أمةٍ خلَدتْ وهل لابنِ السبيل مقامُ [5]

فقوله : (أمة) اسم مجرور لفظا بحرف الجر " من " ، في محل نصب مفعول به ، وفي قوله : (وهـل لابن السبيل مقام) يجوز في المبتدأ " مقام " التقديم والتأخير ، وتفضيله التأخير للمبتدأ لحاجـة القافيـة ، وحكم المبتدأ المؤخر في النفي كحكم الاستفهام ، مثل قوله :

فما بالحب عـارٌ أتّقيـــهِ وإن أخنى على دمعي زماني [6]

فالمبتدأ هو " عار " ، والخبر شبه الجملة الجار والمجرور " بالحب " . وتأخير المبتدأ ، تحتمله دلالات كثيرة لا تخالف التركيب النحوي للجملة . وربما أخّـر المبتدأ المعرّف بـ " أل " التعريف مع جواز تقديمه ، ويقدم عليه شبه الجملة الجار والمجرور، ومثله كثير في شعره ، كقوله :

لك الجمالُ التمُّ دون الورى وليـس للبـدر سوى رَوْنـقِ [7]

---

[1] = المشاش : النفس .
[2] = الديوان – ص292.
[3] = الديوان – ص 568.
[4] = انظر : أحمد المالقي – رصف المباني – مصدر سابق – ص389.
[5] = الديوان – ص 535.
[6] = الديوان – ص 667.
[7] = الديوان – ص 366.

ومثل ذلك قوله :

فعليك الســـلامُ مني فإني مُتُّ شوقا " والله خيرٌ وأبــقـــى " [1]

وكقوله مؤخّرا المبتدأ المعرفة الموصوف :

له النظرةُ الشزراءُ يَعقبُها الرِّضا لإسعافِ مظلومٍ وإرغامِ ظالمِ [2]

فالمبتدأ هو : (الجمال ، السلام ، النظرة) في الأبيات السابقة وقع متأخرا بعد الخبر شبه الجملة الجار والمجرور (لك ، عليك ، له) ، بالرغم من أنه جاء معرفا بـ " أل " التعريف وموصوفا في قوله : (الجمال التم ، والنظرة الشزراء) ؛ ليدل بذلك على أهمية المتقدم " شبه الجملة الجار والمجرور " على المبتدأ ، لأنه في الأبيات السابقة قد اتصل به ضمير يخص الممدوح .

وربما كان المبتدأ مضافا إلى معرفة أو نكرة ، ولعل الشاعر يفضل إضافة المبتدأ إلى الاسم النكرة . على نحو تركيب : (خبر مقدم " حرف جر واسم مجرور " + مبتدأ مؤخر وهو مضاف + مضاف إليه) ، كقوله في تأخير المبتدأ المضاف إلى نكرة :

ولي في الأربعينَ مجالُ لهوٍ تنال يدي بهِ عَقد الرهانِ [3]

وله أيضا في تأخير المبتدأ المضاف إلى اسم مضاف إلى معرفة ، كقوله :

ومن العناءِ سؤالُ خاشعةِ الصُّوى بيدِ الفناءِ جوابُها إرمامُ [4]

فالمبتدأ المؤخر في الأمثلة السابقة هو المضاف إلى نكرة في قوله : (مجال لهو) ، والمضاف إلى اسم مضاف في قوله : (سؤال خاشعة الهوى) ، وقد تأخر المبتدأ في المثالين عن شبه الجملة الجار والمجرور . وربما يتقدم الخبر شبه الجملة الظرفية على المبتدأ ، ولكنه أقل استعمالا من الجار والمجرور، كقوله :

وعندي إذا ما الحربُ ألقتْ قناعَها عزيمةُ ليثٍ ما تَهِـرّ وما تُـعـوى [5]

---

[1] = الديوان – ص 368.

[2] = الديوان – ص 526.

[3] = الديوان – ص666.

[4] = الديوان –ص 532. الصوى : حجارة توضع أعلاما في الطريق . الإرمام : السكوت .

[5] = الديوان –ص 712.

فقوله : " عندي " شبه جملة ظرفية في محل رفع خبر متقدم ، والمبتدأ المتأخر هو قوله : " عزيمة ليث " أضيف إلى نكرة ، مع جواز تقدّمه على شبه الجملة ، والجملة الشرطية " إذا ما الحرب ألقت قناعها " جملة معترضة لا محل لها من الإعراب . ومن ذلك أيضا قوله :

بِخَيْلٍ كآرام الصَّريم وراءها ضواري سلوقٍ عاطلٌ وملبّبُ [1]

والجملة الاسمية هي : " وراءها ضواري سلوق " ، توسطت البيت ، وقد قدّم ظرف المكان " وراء " والضمير المتصل به على المبتدأ المضاف إلى نكرة " ضواري سلوق " . وأقلّ من ذلك أن يرد الخبر شبهَ جملة متقدما على المضاف إلى المعرف بـ " أل " أو إلى الضمير المتصل ، أو النكرة الموصوفة ، ومثل إضافة المبتدأ إلى معرفة " بذل الوداد " في قوله :

ومن شيمي بذلُ الوِدادِ لأهلِهِ كذلك إني في الوداد أنافسُ [2]

لأن تركيب الجملة في الأصل أن يكون (بذل الواد من شيمي) ، وله في موضع آخر يقدّم فيه الجار واسم الإشارة المجرور " كذلك " على المبتدأ " دأبي " المضاف إلى ضمير المتكلم في قوله :

كذلك دأبي منذُ أبصرتُ حُجّتي وليدا وحبّ الخيرِ من سِمة النُبْلِ [3]

إن الخبر شبه الجملة المتقدم على المبتدأ الموصوف في شعر البارودي مرتبط بالوصف لذلك فالنماذج الشعرية على ذلك قليلة ، كقوله :

ففي السماءِ غيومٌ ذاتُ أرْوِقةٍ وفي الفضاءِ سُيولٌ ذاتُ أوشالِ [4]

وكذلك قوله :

وعلى الرحائلِ نِسْوة عربية يخدعنَ لُبَّ الحازمِ اليَقظانِ [5]

---

[1] = الديوان – ص 57. الآرام : جمع رئم ، وهو الظبي الخالص البياض . الصريم : الرملة المنقطعة من الرمال . ضوار : جمع ضار ، وهو الكلب الذي اعتاد الصيد . سلوق : بلد تنسب إليها الكلاب . عاطل : غير مطوّق . ملبّب : مطوّق .

[2] = الديوان – ص 287

[3] = الديوان – ص442.

[4] = الديوان – ص 450.

[5] = الديوان – ص 686.

فقوله : (ذات أروقة) صفة للمبتدأ المتأخر " غيوم " ، وقوله في البيت الثاني : (عربية ، والجملة الفعلية " يخدعن لب الحازم ") صفتان للمبتدأ النكرة " نسوة ". وربما جعل الفعل الماضي أو المضارع صفاتٍ للمبتدأ النكرة كقوله :

وللمحبة قبلي سُنّةٌ سَلَفَتْ   في الذاهبين ولي فيمَنْ مضى مثلُ [1]

وكذلك قوله :

في كل عصرٍ عبقريٌّ لا يَنِي   يفري الفـرِيَّ بكلِّ قولٍ مُحْكَمِ [2]

فالجملة الفعلية في البيت الأول " سلفت " مكونة من فعل ماض وفاعل ضمير مستتر تقديره "هي"، والجملة الفعلية في محل رفع صفة للمبتدأ النكرة " سُنة " ، وفي البيت الثاني نجد الجملتين الفعليتين من الفعل المضارع " يني ، يفري الفري " في محل رفع صفة للمبتدأ النكرة " عبقريٌّ ".

ومن صور المبتدأ المتأخر جوازا أن يكون مصدرا مؤولا ، ويكون على نوعين : فالأول : وهو الذي يتكون من " أنْ المصدرية " والفعل المضارع ، والثاني : وهو الذي يشمل "أنّ " واسمها وخبرها . والمواضع التي يأتي فيها النوعان في محل رفع مبتدأ في شعر البارودي عادة ما يتأخر فيها عن شبه الجملة ، ويكون تركيب الجملة هو (خبر مقدم " حرف الجر " مِن " + الاسم المجرور" + مبتدأ مؤخر " أنْ المصدرية " + الفعل المضارع) ، كقوله :

من العار أنْ يرضى الفتى غيرَ طبعِهِ   وأن يصحبَ الإنسانُ من لا يشاكلُ [3]

ومثل ذلك على الترتيب والتركيب نفسه :

من العار أنْ يرضى الفتى بمذلةٍ   وفي السيف ما يكفي لأمرٍ يُعدّهُ [4]

فقد جعل " أن المصدرية " في البيتين السابقين تتوافق في التركيب نفسه ، بحيث يجد المتلقي نفسه أمام تراكيب متشابهة ؛ لأن تكرار التركيب في الشطر الأول من البيتين هو ما يشير إلى أن استعمال " أن المصدرية " كان في محل رفع خبر متأخر بعد شبه الجملة الجار والمجرور، فقد جعل المبتدأ لكل من البيتين هو في قوله : أن يرضى الفتى ، والخبر شبه الجملة " من العار " . وذلك مرتبط عند الشاعر

---

[1] = الديوان – ص 470

[2] = الديوان – ص 584

[3] = الديوان – ص 434.

[4] = الديوان – ص 126.

بالصورة التقليدية المتكررة التي لم يتمكن الشاعر فيها من كسر الرتابة والجمود الذي أصاب التركيب ؛ لأنه لم يكرر الألفاظ فحسب ، بل ألبس التركيب نفسه صورة مطابقة ، ودليل ذلك أيضا أن الشاعر تخلص من الصورة النمطية المتكررة في صورة " أنّ " واسمها وخبرها ، وجعل تركيبها متشابها ومتطابقا إلى حد قريب . ومن ذلك قوله :

ومن العجائب في الهوى أنّ الفتى   يدعى إليه بأهونِ الأسبابِ [1]

ويقول أيضا :

ومن عجبِ الهوى يا ليلُ أنّي   فَنِيتُ صبابة وهواك باقي [2]

من الملاحظ في المصدر المؤول عند البارودي أنه لا يبنى بناء يعتمد على التركيب ذاته في أكثر من بيت ، بل يزيد على ذلك بأن يجعل معناه واحدا ، فقد صدّر البيتين السابقين بقوله : (ومن العجائب في الهوى) ، وقوله : (ومن عجب الهوى) ، وهما يحملان معنى التعجب نفسه.

المبحث الخامس : النفي في الجملة الاسمية :

النفي وضده الإثبات ، والجمل التي تقبل دخول النفي عليها هي أصلا جمل مثبتة ؛ لأن الأصل في الشيء الإثبات ، كما أن الأصل في الكلام أن يكون مثبتا ، ومن ثَمّ جاز جعله منفيا حسب حاجة صاحبه إلى ذلك ، مما يجعل من اللازم أن تكون هناك أدوات للنفي تدخل على الجمل بفرعيها الاسمية والفعلية ، تلفت انتباه السامع إلى اعتراض حالة النفي على الجملة ، وتدخل أدوات النفي على الجمل الاسمية ، ومن تلك الأدوات : إنْ ، " لا " النافية للجنس ، ليس ، ما .

أدوات النفي ومواضعها في شعر البارودي :

أولا : " لا " النافية : الأصل في " لا " النافية ألا تعمل في الأسماء ؛ لأنها غير مختصة بالأسماء ، وقد أخرجوها من هذا الأصل ، فأعملوها في النكرات عمل " ليس " تارة ، وعمل " إنّ " تارة أخرى [3] . وتدل على نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها على سبيل العموم والاستغراق ، ويرى الزجاجي أنه يراد بها نفي الخبر عن جميع أفراد الجنس عامة ، وتنصب النكرات ولا تعمل في المعارف شيئا ، وقد يجوز ألا تعمل فتلغيها وترفع ما بعدها بالابتداء ، ويجوز أن تجري مجرى " ليس " فترفع ما بعدها[4] ، وقد أورد ابن هشام في باب " لا النافية " كلاما موجزا على ثلاثة أوجه ، وهي : أحدها : أن

---

[1] = الديوان – ص 80 .

[2] = الديوان – ص 369.

[3] = شرح ابن الناظم – تحقيق محمد باسل – مصدر سابق – ص133

[4] = الزجاجي – الجمل في النحو – مصدر سابق – ص 237، ص238.

تكون عاملة عمل " إنّ "، وذلك إن أريد بها نفي الجنس ، والثاني : أن تكــون عاملــة عمــل " لــيس" ، والثالث: أن تكون عاطفة [1] ، والذي يهمنا في هذا المبحث هو الوجهان الأول والثاني ، العاملة عمل " إنّ " ، أو العاملة عمل " ليس " ، وقد يجيء خبر " لا النافية " محذوفا في كثير من الأحيان ، كأن تقول : لا رجل ، ولا شيء ، تريد في مكان أو زمان ، وربما لم يحذف ، خالفت بذلك عمل " ما ، وليس " وهمــا يدخلان على المعارف ، و" لا النافية " في هذا الموضع ليست كذلك [2] ، وقد يستعمل الشاعر " لا النافية " لتعمل عمل " إن " الناصبة و" ليس " الرافعة في الموضع نفسه لتتناسب مع القافية ، ووجه الشبه بينهمــا هو اشتراكهما في الاختصاص بالاسم ، ويختلفان في أن " لا " النافية للجنس تنصب الاسم على أن يكون نكرة مبنيا دائما، ما لم يكن مضافا ولا شبيها بالمضاف ، ولا تعمل في المعارف شيئا ، وكذلك إذا عملت عمل " ليس" فإنها لا تعمل في النكرات [3] ، كقوله :

وماذا عليهم إن ترنّم شاعر   بقافيةٍ لا عيبَ فيها ولا نُكْرُ [4]

فقد أعمل " لا النافية " العاملة عمل " إنّ " فنصب اسمها المبني (عيب) ، وبعد أن عطف عليها رفــع المبتدأ بعدها ، وجعل " لا النافية " في قوله : لا نكرُ . لا محل لها من الإعراب ، حتــى توافــق الــراءُ المضمومة القافية .

إن اسم " لا " النافية للجنس يقع على نوعين : معرب ومبني ، فالمعرب هو كل ما كان مضافا أو شبيها بالمضاف ، والمبني ماعدا ذلك ، وحكمه أن يبنى على ما ينصب به لو كان معربا[5]، والأمثلة في شعر البارودي على ذلك كثيرة ، كقوله

فلا ذمامةَ في قولٍ ولا عَملٍ   ولا أمانةَ في عهدٍ ولا قسمِ [6]

وفي هذا البيت يظهر لنا استعمال البارودي أربع مرات لـــ " لا النافية " ، غير أنه أعملها مــرتين فــي قوله: (لا ذمامة في قول ، لا أمانة في عهد) ، وأهملها مرتين في قوله : (ولا عمل ، ولا قــسم) ، إذ جعلها معطوفة على الاسم المجرور ، فكانت لا محل لها من الإعراب ، ولكنّ وظيفتها المعنويه هي تأكيد نفي الحكم السابق . وقليلا ما يجعل جملة " لا النافية " جملة معترضة لا محل لها من الإعراب ، كقوله :

وإذا الحياة – ولا حياةَ – منيةٌ   تحيا بها الأجسادُ وهي رِمام [7]

---

[1] = بتصرف من : مغني اللبيب – ابن هشام الأنصاري – مصدر سابق – ج1/ ص264، ص266 ، ص 269.

[2] = ابن السراج – كتاب الأصول – مصدر سابق – ج1/ ص461.

[3] = الزجاجي – الجمل في النحو – تحقيق علي الحمد – مصدر سابق – ص 237 .

[4] = الديوان – ص272.

[5] = انظر : شرح شذور الذهب – مصدر سابق – ص 305 ، 306.

[6] = الديوان – ص 620

[7] = الديوان – ص 536.

وفي هذا البيت جعل " لا النافية " واسمها المبني على الفتحة (حياة) ، وخبرها المقدر ، جملة معترضة لا محل لها من الإعراب ، وقد ارتفعت كلمة " الحياة " بالابتداء لا بالفعل المقدر المحذوف، لأن " إذا " المذكورة في البيت ليست شرطية للمجازاة ، وإنما هي الفجائية التي تختص بالدخول على الجملة الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب [1]. وأكثر من ذلك أن يجريها على ما اعتاد الناس عليه من ألفاظ تلي " لا النافية " ، من ذلك أن تسبق النكرات المألوفة عند الناس ، مثل : (شيء ، بدّ ، غرو) في قوله :

لا شيءَ أحسنُ من بُلَهْنيَةٍ   في العيش قلّد جيدَها الشغَفُ [2]

ويقول أيضا :

لا شيءَ يدفع كيدَ الدهر إن عصفتْ   أحداثهُ أو يقي من شرّ ما يقعُ [3]

ففي البيتين السابقين ذكر اسم لا النافية وخبرها ، غير أن الخبر (أحسن) في البيت الأول اسم مفرد على صيغة اسم التفضيل " أفعل " ، وهو في البيت الثاني (يدفع كيد الدهر) جملة فعلية ، فاعله ضمير مستتر تقديره " هو " ، وربما جعل الخبر شبه جملة ، كقوله :

لا بدَّ للضيق بعد اليأس من فرَجِ   وكل داجيةٍ يوما لإشراقِ [4]

فقوله : (من فرج) . خبر شبه جملة ، والأصل في تقدير الكلام أن يقول : " لا بد من فرج قريب"، فجعل الجار والمجرور " للضيق " متعلقة باسم " لا " النافية . وأقل من ذلك أن يجعل الخبر مصدرا مؤولا، كقوله :

فلا غروَ أن شابت من الحزنِ لِمّتي   فإنيَ في دهرٍ يشيبُ وليدُهُ [5]

وكقوله في موضع آخر :

لا غروَ أن أبصرتَ في صفحاتِها   صورَ الحوادث فهْي مرآة الغدِ [6]

---

[1] = انظر : مغني اللبيب – ابن هشام الأنصاري – مصدر سابق – ج1/ص102.

[2] = الديوان– ص 351. البلهنية : سعة العيش

[3] = الديوان – ص 338.

[4] = الديوان – ص 373.

[5] = الديوان– ص 146

[6] = الديوان – ص 121.

فالتركيب في البيتين متماثل تماما ، لأنه جاء بـــ " لا النافية " وجعل اسمها (غرو) ، وزاد على ذلك أن قدّر الخبر على المصدر المؤول في قوله : أنْ + الفعل الماضي ، لأن تقدير الكلام في البيت الأول هو : (لا غرو شيبي) ، وفي الثاني : (لا غرو إبصاري صور الحوادث) ؛ لأنّ " أنْ " إذا سبقت الفعل الماضي كان الأصل فيها أن تكون " أنّ " [1] . وقد يقع اسم " لا النافية " وخبرها بعد " إلا " في أسلوب الحصر ، ومن ذلك قوله :

لا عيشَ إلا للنفادِ فاحببْ حياتك أو فعادِ [2]

فاسم " لا " النافية في البيت السابق هو " عيش " مبني على الفتحة ، وخبرها شبه الجملة من الجار والمجرور " للنفاد " ، ومثل ذلك قوله :

لا عيبَ فيّ سوى حريّةٍ ملكتْ أعِنّتِي عن قَبول الذل بالمال [3]

فاسم " لا " النافية في قوله : " عيب " . والخبر هو الجار والمجرور الذي ولِيَ الاسم " فيّ " . أما قوله : سوى حرية . فـ " سوى " مستثنى منصوب بالفتحة المقدرة للتعذر ، ومعلوم أن " سوى ، وغير " أسماء تعرب حسب موقعها في الجملة ، ومثل ذلك التركيب الاسمي في البيت السابق قول البارودي :

لا عيبَ فيّ سوى أني عَتَبْتُ على دهْري فقدّم من دوني وأخّرني [4]

فقد وقع تركيب الجملة السابقة على نوع من أنواع البديع ، وهو (تأكيد مدح بما يشبه الذم)[5] ، كما يرى ابن المعتز في تعليقه على قول النابغة الذبياني :

(ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ)[6]

وأكثر مما سبق ذكره أن يرد الاسم النكرة بعد " لا النافية " المهملة مرفوعا بالتنوين ، وفي هذه الحال يكون الاسم مبتدأ لأن " لا النافية " لم تعمل عمل " ليس " ولا عمل " إنّ " . ومن ذلك في شعر البارودي قوله في وصف الخريف :

---

[1] = انظر : شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ص353.

[2] = الديوان– ص 190.

[3] = الديوان – ص447.

[4] = الديوان – ص659

[5] = عبد الله بن المعتز – البديع – تعليق إغناطيوس كراتشقوفسكي – ط3 – 1982م – دار المسيرة – بيروت – ص62.

[6] = شرح ديوان النابغة الذبياني – شرح دار مكتبة الحياة – بيروت – ص10.

فلا اصطحارٌ ولا اكتنانٌ ولا ابترادٌ ولا اصطلاءُ

حتى قال :

فلا ضبـــابٌ ولا غمـــامٌ ولا ظلامٌ ولا ضيـــاءُ [1]

فالخبر في البيتين السابقين محذوف تقديره (موجود في الخريف) ؛ لأن القصيدة وصف لأيام الخريف ، وقد ركّب الشطر الواحد على صورة متكررة ، فكل الأسماء الواقعة بعد " لا النافية " في البيتين السابقين هي مبتدأ ، في قوله : (لا اصطحار ، لا اكتنان ، لا ابتراد ، لا اصطلاء ، لا ضـــباب ، لا غمـــام ، لا ظلام، لا ضياء) . وقد فضل الشاعر أن يحذف خبرها المعلوم لغرض الاختــصار وعــدم الإطالـــة . وتقدير الخبر في هذه المواضع كلها هو : لا اصطحارٌ موجود في فصل الخريف . لأن البيتين يحمـــلان دلالات كثيرة في وصف أيام الخريف ، ولا يعقل أن يذكر الخبر المحذوف لكل تلك الأسماء ، لأن لغـــة الشعر تقتضي الاختصار والإفادة . وقد يذكر الخبر فيجعله جملة فعلية ، كقوله :

لا طائرٌ ينجو ولا ذو مخلبٍ يبقى وعاقبة الحياةِ حِمامُ [2]

فالخبر جملة فعلية في الموضعين من الفعل المضارع والضمير المستتر : (ينجو ، يبقى) . وأحيانا يجعل الخبر شبه جملة جارا ومجرورا كقوله :

فلا صديقَ على ودٍّ بمتّفِقٍ ولا خليلَ على ســـرٍّ بمُؤتَمَنِ [3]

فقوله : (صديق ، خليل) اسما " لا " النافية مبنيان على الفتحة الظاهرة على آخرهما ، وكلٌّ من الاسمين المجرورين لفظا (بمتفق ، بمؤتمن) في محل رفع خبر لـــ " لا النافية " .

ومما ذكرنا من الأمثلة وغيرها في ديوان البارودي نخلص إلـــى أن اســـم لا النافية نكـــرة ولـــم يكن لها خبر في الغالب ، مع أنه يجوز أن يكـــون اسمهـــا وخبرهـــا نكرتيـــن ، بحيث تعمل " لا " عمل " ليس " ، مثلما تعمل " ما الحجازية " ، ويجوز أن يهملها إهمال التميميين لـــ " ما " ، وهي على الوجهين كليهما مما يكثر استعمالها .

---

[1] = الديوان – ص 45.

[2] = الديوان – ص 538.

[3] = الديوان – ص 658.

تظهر الجملة الاسمية المنفية بـ " لا " سواء كانت عاملة أو مهملة في شعر البارودي بأشكال مختلفة ، مثلها مثل الجملة الاسمية المثبتة ، فحاجة الشاعر إلى النفي كحاجته إلى الإثبات، وقد تكون الجملة الاسمية مكونة من المبتدأ والخبر المفرد ، وقد يجعل الخبر جملة فعلية أو شبه جملة ، ومن أمثلة ذلك أن يجعل الاسم المعرف بالإضافة مرفوعا بالابتداء ، كقوله :

لا رحمةُ الله على والدٍ غَـمّ به الدنيا ولا والدهْ [1]

فقد بنى الجملة الاسمية كما لو لم تكن منفية ، فجعل المبتدأ " رحمة الله " مضافا إلى لفظ الجلالة ، والخبر " على والد " شبه جملة جارا ومجرورا ، وعطف على الاسم المجرور " والد " بقوله : والدة . كأنه أراد أن يقول : ولا رحمة الله على والدة . ليدل على معنى الدعاء . وقد يجعل المبتدأ معرفا بـ " أل " ، كقوله :

لا الوخدُ منه ولا الرسيمُ ولا يُرى يمشي العِرَضْنَة أو يسيرُ الهيدبى [2]

فقد عرّف المبتدأ " الوخد " والاسم المعطوف " الرسيم " بـ أل التعريف ، وإن لم تُحدث أداة النفي في الجملة تغييرا إعرابيا ، ومثل ذلك قوله :

لا البازُ ينجو من الحِمام ولا يخلصُ منه الحَمام والخَربُ [3]

ففي البيت الأول جعل خبر المبتدأ (الوخد) شبه جملة جارا ومجرورا في قوله : منه ، وعطف (الرسيم) عليه ليسوغ علة النفي ، فلو قال : لا الوخد منه . ثم سكت لاضطرب المعنى ، ومثله أيضا البيت الذي يليه ، غير أن الخبر (ينجو) جملة فعلية . وكقوله في الخبر المفرد :

فلا السيفُ مفلولٌ ولا الرأيُ عازبٌ ولا الزّنْدُ مغلولٌ ولا الساقُ ظالعُ [4]

وفي هذا البيت تكرار للبناء الاسمي الواحد أربع مرات ، فصورة المبتدأ والخبر المفرد فيه واحدة لم يتغير تركيبهما في قوله : لا السيف مفلول ، لا الرأي عازب ، لا الزند مغلول ، لا الساق ظالع . على نحو هذا التركيب : (" لا " النافية + مبتدأ معرف بـ " أل " + خبر نكرة) . ولا شك أن البارودي لجأ إلى

---

[1] = الديوان – ص 189
[2] = الديوان – ص 52
[3] = الديوان – ص 89
[4] = الديوان – ص 318

التكرار ليؤكد على النفي ، لأن نبرة القصيدة كانت عالية ، فهي من أشهر قصائده التي يروض فيها الشعر ويزخرفه ، وهذا التكلف هو ما دعا الشاعر إلى تكرار الأسلوب والتركيب ، فقد ظهر النفي في أكثر من موضع في القصيدة نفسها . وربما جعل المبتدأ ضميرا منفصلا ، كقوله :

وما الشعر من دأْبي ولا أنا شاعرٌ ولا عادتي نعتُ الصُّوى والمعالمِ [1]

وكذلك قوله :

فلا أنا منه أرى راحة ولا أنا عنه أرى مَنسِما [2]

وكذلك أيضا :

لا ذمتي رهنُ الفَكاكِ ولا يدي تلقي أزمَّة عفّتي وحَبائي [3]

ففي الأمثلة السابقة نماذج مختلفة لتكرار النفي في البيت الواحد ، ففي البيت الأول تكرر التركيب الاسمي المنفي ثلاث مرات ، في قوله : " ما الشعر من دأبي ، ولا أنا شاعر، ولا عادتي نعت الصوى " . وفي البيت الثاني تكرر مرتين في قوله : " لا أنا منه أرى راحة ، ولا أنا عنه أرى منسما " . وفي البيت الثالث كذلك في قوله : " لا ذمتي رهن الفكاك ، ولا يدي تلقي أزمة عفتي ". وهذا التركيب لم يكن ليقوم إلا لرغبة الشاعر في جعل الطابع العام لشعره طابعا تقليديا . وإنما يكون النفي عامة شاملا لكل أجزاء البيت الواحد ؛ لأنه يشتمل على نفي فكرة تضمنها البيت ، بحيث لا يجتمع النفي والإثبات معا في البيت الواحد ، بل يكون الإثبات والنفي منفصلين من حيث بناء البيت الواحد . ومن صور نفي الجملة الاسمية أن يكون المبتدأ والخبر محصورين بأسلوب الحصر " لا" و" إلا "، كقوله:

وبحرٍ من الهيجاء خضت عُبابهُ ولا عاصمٌ إلا الصفيحُ المشطبُ [4]

ومثله متكررا في شطري البيت :

فلا عينَ إلا وهي بالدمع ثَرَّةٌ ولا قلبَ إلا وهْو ذو خفَقانِ [5]

ففي قوله : " ولا عاصم إلا الصفيح المشطب " ، قدم المبتدأ النكرة " عاصم " على الخبر المعرفة " الصفيح " ، ومسوغ هذا التقديم هو " لا النافية " التي لم يعملها الشاعر . أما البيت الذي يليه ، فقد أعمل فيه " لا النافية " للجنس في قوله : " عين ، وقلب " ، وجعل خبرها الجملة الاسمية " وهي ثرة، وهو ذو

---

[1] = الديوان – ص 530

[2] = الديوان – ص 583

[3] = الديوان – ص 44

[4] = الديوان – ص 56

[5] = الديوان – ص 669

خفقان " ، وربما ذكر أسلوبي الحصر بـ " لا " النافية وبـ " ما " النافية في البيت نفسه وبناهما على التركيب نفسه أيضا :

فما أهلها إلا عبيدٌ لمن سطا ولا ريعُها إلا لمن شاء مَغنمُ [1]

ومن النماذج القليلة في شعر البارودي على إعمال " لا " النافية عمل " ليس " ، ورد هذا البيت على هذا النحو :

ولا وأبي ما النَّصل في الفعل كالعصا ولا القوسُ ملآنَ الحقيبة كالخِلْوِ [2]

فقوله : (ولا القوسُ ملآنَ الحقيبة) جاءت لفظة (القوس) مرفوعة باسم " لا " النافية ، وخبرها (ملآن) منصوبا ، بإعمال " لا " عمل (ليس) ، وقد اطّلعت على طبعة علي عبد المقصود عبد الرحيم بشرحه وتدقيقه ، فوجدتها مطابقة في ضبطها للكلمة لطبعة علي الجارم ومحمد شفيق معروف، ولعل البارودي يبدو في هذا البيت متأثرا بقول المتنبي :

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا [3]

وقد ذكر المحقق محمد محي الدين أن ابن هشام صاحب كتاب شذور الذهب اضطرب في مسألة نصب الخبر في (لا) النافية إذا كان المبتدأ معرفة ، فهو يجري على مذهب الشجري وابن جني وغيرهما ، كما فعل في كتابه شذور الذهب ، ويرى في بعض كتبه أنه شاذ كما فعل في كتابه قطر الندى [4] . أما تأثرُ البارودي بالمتنبي فلا مجال إلى دحضه أو إنكاره ؛ لما للمتنبي من مكانة رفيعة ومنزلة عالية بين الشعراء ؛ ولكون البارودي عُني كثيرا بالاطلاع على شعر الأقدمين متبعا خطاهم نظما وصياغة .

إن مواضع حذف المبتدأ قليلة بعد " لا " ، إلا إذا قدّم له في الكلام ، كأنْ يجعل المبتدأ مقدرا حسب سياق الكلام ، فيكون حذفه بلاغيا لإفادة الاختصار ، كقوله في مدح الصديق وذمّ المنافق الذي يدّعى عكس ما يخفي :

ليس الصديق الذي تعلو مناسبه بل الصديق الذي تزكو شمائلهُ
إن رابك الدهر لم تفشل عزائمه أو نابك الهمُّ لم تفتر وسائلهُ
يرعاك في حالتيْ بعدٍ ومقربةٍ ولا تُغِبُّك من خير فواضلهُ
لا كالذي يدَّعي ودّا وباطنهُ بجمر أحقاده تغلي مراجلهُ [5]

---

[1] = الديوان – ص 610

[2] = الديوان – ص 720

[3] = أبو البقاء العكبري – شرح ديوان المتنبي – دار المعرفة – بيروت – ج3/ص283

[4] = بتصرف من : ابن هشام الأنصاري – شرح شذور الذهب – مصدر سابق – ص 224

[5] = الديوان – ص 493

فقوله : لا كالذي يدعي . حذف للـمبتدأ لأنه ضمير مستتر تقدير " هـو " ، يعود علـى الصديـق الذي تقدم ذكره في البيت الأول من الأبيات السابقة ، فكأنه قال : (ليس الصديق كالعدو الذي يدعي ودا وباطنه غير ذلك) .

ثانيا : " ما " النافية : تعمل " ما النافية " عمل " ليس " ، (تقول : ما عبد الله أخاك ، وما زيـد منطلقا . وأما بنو تميم فيجرونها مُجرى " أمّا وهل " ، أي لا يعملونها في شيء . وهو القياس ؛ لأنه ليس بفعل ، وليس " ما " كـ " ليس " ، ولا يكون فيها إضمار)[1] ، ووجه الشبه بينهما أنها تنفي مـا فـي الحال كما تنفيه " ليس " ، وتدخل على المبتدأ والخبر، كما تدخل " ليس " عليهما ، فإذا انتقض معنى النفي رجع إلى الأصل ، ولم تعمل عمله ، لقيام جهة واحدة من الشبه ، وهي الدخول على الابتداء والخبر [2] ، و" ما النافية " تدخل على الجمل الاسمية (فيعملها الحجازيون والتهاميون والنجـديون عمـل " لـيس " بشروط معروفة ، نحو { ما هذا بشرا }[3] ، { ما هن أمهاتهم }[4])[5] ، وذكر ابن هشام أربعة شروط لعمل " ما " النافية عمل " ليس " ، وهي :

أحدها : أن يكون اسم " ما " مقدما وخبرها مؤخرا .

والثاني : أن لا يقترن الاسم بـ " إنْ " الزائدة.

والثالث : أن لا يقترن الخبر بـ " إلا " .

والرابع : ألا يليها معمول الخبر ، وليس ظرفا ولا جارا ومجرورا .

ويرى أنها إذا استوفت هذه الشروط الأربعة عملت هذا العمل ، سواء أكان اسمها وخبرهـا نكـرتين أم معرفتين ، أو كان الاسم معرفة والخبر نكرة ، أما إذا خالفت أحد هذه الشروط فلا تعمل عمل " لـيس" ، كذا الحال بلغة الحجازيين . وربما استوفت " ما " كل تلك الشروط ولم تعمل عمل " ليس " ، إذ لا يُعملها بنو تميم ولو استوفت كل الشروط الأربعة [6] ، ومن أمثلة ذلك :

وما هو إلا عِقدُ مدح نظمتُـهُ لجِيدِ عُلاه في صدور المواسمِ [7]

---

[1] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص57.

[2] = انظر : أبو علي الفارسي – المسائل المشكلة – مصدر سابق – ص 241 .

[3] = سورة يوسف ، 31

[4] = سورة المجادلة ، 2.

[5] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1 / ص333

[6] = انظر : شرح شذور الذهب – مصدر سابق – ص 219 ، ص 222

[7] = الديوان – ص 531

فقوله : " ما هو إلا عقد مدح نظمته " . الأصل أن يكون بنـــاء الجملـــة دون أدوات الحـــصر ، فيكـــون التركيب النحوي للجملة واحدا ، بدليل أنك لو قلت : هو عقد مدح نظمته ، لما اختلف إعراب كـــلّ مـــن المبتدأ والخبر. ومثله تركيب الجملة الاسمية في قوله :

وما هو إلا جوهرُ الفضلِ والنُّهى يُـــســـرّدُ في سِلك المقال ويُنظـــمُ [1]

لا شك أن حاجة الشاعر إلى هذا التركيب تشبه حاجته إلى التكرار ، فكثيرا ما يأتي هذا التركيب متوافرا في البيت الواحد أو القصيدة الواحدة كقوله :

وما مصرُ عمرَ الدهر إلا غنيمة لمن حلَّ مغناها ونهب مقسّـــمُ
تداولها المُلاّك مـــن كل أمـــةٍ ونـــال بها حظا فصيحٌ وأعجمُ
فما أهلها إلا عبيد لمن سطـــا ولا ريعُها إلا لمن شاء مَغـــنمُ [2]

فقد جعل حال مصر متداولا كالغنيمة بين أيدي من حلّ فيها من الحُكّام في البيت الأول ، وجعـــل أهلهـــا محصورين في كونهم عبيدا لمن نهب خيراتها من الحكام ، وفي الشطر الثاني من البيـــت نفـــسه جعـــل خيراتها محصورة لكل من أراد أن ينهبها . وقد يجعل الخبر ظرفا أو جارا ومجرورا فيقدمه على المبتدأ المنفي ، من ذلك :

فما بعد عصر الصبا لذّةٌ ولا مثلُ صفو الحُميّا غِـــذا [3]

فقوله : بعد عصر الصبا . خبر شبه جملة ظرفية متقدم على مبتدئه " لذة " ، وإن تكن الجملة الاسمية لـــم تتغير في إعرابها ولا محلها بوجود " ما النافية " ، إلا أنها تعد جملة منفية بحسب المعنى المؤدى ، وقـــد يأتي الخبر شبه الجملة جارا ومجرورا ، كقوله :

فما أنا ممّن تقبل الضيمَ نفسُهُ ويرضى بما يرضى بـــه كلّ مائقِ [4]

وله في موضع آخر :

وما أنا ممّن يرهَب الموت إن سطا إذا لم تكن نُجلَ العيون شهودُهُ [5]

---

[1] = الديوان – ص 607
[2] = الديوان – ص 610
[3] = الديوان – ص 194
[4] = الديوان – ص 387
[5] = الديوان – ص147

فالبيتان السابقان متماثلان في الصورة والتركيب ، وحتى في غرض الفخر ، فقد بنى الجملة الاسمية على المبتدأ الضمير المنفصل " أنا " ، وجعل خبره شبه الجملة جارا ومجرورا ، فكان تركيب الجملة الاسمية على النحو الآتي : (أداة نفي + ضمير منفصل + جار ومجرور) ، وقد تجده حينا آخر يغير في التركيب تغييرا خفيفا بحيث لا يكسر البناء العام للجملة ، وإنما يقدّم أو يؤخر بحسب الحاجة، كقوله :

وما أنا والأيام شتى صُروفها   بمهتضِمٍ جاري ولا خاذلٍ خِلّي [1]

فالشاهد في البيت هو التقديم للجملة الاسمية : (والأيام شتى صروفها) ، والأصل أن يكون تقدير الكلام: وما أنا بمهتضم جاري ، والأيام شتى صروفها . لأن الخبر المجرور لفظا " بمهتضم " فُصِل بينه وبين المبتدأ بالجملة الاسمية المعترضة . ومثله في التركيب نفسه دون أن يفصل بين المبتدأ المنفي وخبره بجملة اسمية قوله :

فما أنا بالمغمور إن عَنّ حادثٌ   ولا بالذي إن أشكل الأمرُ يَفحَمُ [2]

فالمبتدأ هو الضمير المنفصل " أنا " ، وخبره " بالمغمور " شبه جملة ، والجار حرف الباء الزائد والمجرور خبرمرفوع محلا . وهذه وغيرها من الأمثلة كثيرة في شعر البارودي ، بحيث تجده ينفي عن نفسه أن يقبل الظلم ويرضى بالذل ، أو يخاف الموت ويتمسك بأسباب الحياة ، أو يأكل حق جاره عنوة ، أو يخذل خليله ويكذبه ، وينفي عن نفسه أيضا – كما في البيت الأخير – أن يكون غير قادر على التصرف عند الحوادث والملمات . ويمكن أن نطلق حكما عاما من تلك النماذج وغيرها من شعر البارودي ، وهو أن البارودي إذا نفى أمرا ما ووصله بنفسه مستخدما الضمير المنفصل " أنا " ، فإنه يقصد من ذلك طرق باب الفخر بنفسه . وربما أورد الخبر جملة فعلية ، وهو كثير في شعر البارودي ، كقوله :

فما كلّ ما تهواه يأتيك بالمُنى   ولا كلّ ما تخشاه في الدهر يَطرُقُ [3]

فدليل ذلك هو : " يأتيك بالمنى " . فالجملة الفعلية في محل رفع خبر ، للمبتدأ المضاف إلى اسم موصول: كل ما تهواه . وفي موضع آخر من ديوانه تجده قد يورد " ما " النافية غير عاملة عمل " ليس " مع جواز أن تعمل عملها ، كقوله :

---

[1] = الديوان – ص 441

[2] = الديوان – ص 606

[3] = الديوان – ص385

فما كلّ مَن حاك القصائدَ شاعرٌ   ولا كلّ من قال النسيبَ متيّم [1]

فالخبر النكرة " شاعر " مرفوع بتنوين الضم ، ومثله الخبر " متيم " في الشطر الثاني من البيت .
أما مواضع ورود " ما " النافية العاملة عمل " ليس " فقليلة في شعره ، كقوله :

وما ذاك ضنّاً بالوِداد على امرئ   حباني بــه لكن تهيّــبْتُ مَــقدَمي [2]

وكقوله :

ما كل ذي مِنسَــرٍ فتخاءَ كاسرةً   كلا ولا كلّ ذي نابيْن ضِرغامُ [3]

كذا ورد البيتان في طبعة علي عبد المقصود عبد الرحيم ، وطبعة علي الجارم ، ومحمد شفيق معروف . باعتبار أن كلا من (ذاك ، وكل ذي منسر) صار اسم " ما " النافية ، وخبرهما قوله : (ضنّاً ، فتخاء). وفي البيت الذي يليه تركيب متماثل من حيث إعمالها عمل " ليس " ، فقد جعل المبتدأ " كل ذي منــسر " هو اسما لــ " ما " النافية ، وخبرها المنصوب هو " فتخاء " ، ومثله في الإعمال قوله أيضا :

وما عهدي به غِــرّا ولكنْ   تولّت أمــر فِطنتهِ الحُــميّا [4]

فقوله : غرّا . خبر منصوب لــ " ما " النافية ، وليست مفعولا به للمصدر "عهدي " ، وإلا لما كان لــــ " ما " النافية خبر .

<u>ثالثا :</u> الفعل الجامد " ليس " : يعدّ الفعل " ليس " فعلا دالا على نفــي الحــال ، وهــو فعــل لا يتصرف، وزنه (فعِل) بالكسر ، ثم التزِم تخفيفه [5] ، ولا يتصرف الفعل الجامد " ليس " تصرف " كان " وأخواتها ، إذ يرى سيبويه أن " ليس " لا يمكن أن يصاغ منه اسم الفاعل ولا اســم المفعــول ولا حتــى المصدر ، (لأنها وُضعت موضعا واحدا ، ومن ثَمّ لم تصرف تصرّف الفعل الآخر)[6] ، وتــلازم رفــع الاسم ونصب الخبر ، فترفع المبتدأ ويسمّى اسمها ، وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، إلا أنها تــدل علــى النفي في كافة الأحوال ، وتعمل " ليس " عملها في المبتدأ والخبر دائما ، ومن أمثلة " ليس " فــي شــعر

---

[1] = الديوان – ص 607
[2] = الديوان – ص 553
[3] = الديوان – ص 578
[4] = الديوان – ص 729
[5] = انظر : ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج 1/ص323
[6] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص46.

البارودي ما يدل على تنوع ترتيب المبتدأ والخبر فيها، واختلاف وجوه استدلال البارودي في شعره ، قوله:

فليس دونَ الحمام مبتعَدٌ   وليس نحوَ الحياةِ مقتربُ
كلّ امرئ سائر لمنزلةٍ   ليس لها عن فِنائها هربُ
وساكنٌ بين جِيرةٍ قذَفٌ   لا نسبٌ بينهم ولا قُـرَبُ [1]

فقد جاءت " ليس " أول البيت ، وخبرها شبه الجملة الظرفية " دون الحمام " متقدما على اسمها، ومثله في التركيب والبناء الشطر الثاني من البيت ، فقد جعل الخبر شبه الجملة الظرفية " نحو الحياة"، ثم جعله جارا ومجرورا في الشطر الثاني من البيت الثاني .

إن تعدد أدوات النفي يعني سيطرة نوع من الرغبة في تأكيد الحقائق ، ولكنه تأكيد استعمل معه النفي ؛ لأنه لا سبيل إلى إنكاره كما أنه لا سبيل إلى نفيه أو إثباته ، فهي مسلّمات لا يختلف عليها اثنان ، والدليل على ذلك أنه أتى بالنفي في البيت الثالث مسبوقا بـ " لا " النافية ، وكرّرها في الشطر نفسه ، فمجموع الأحكام المنفية في الأبيات الثلاثة السابقة هي خمسة أحكام . وقد يحلّ الفعل " ليس " في أيّ موضع في البيت الواحد ، كقوله :

سَلَتْ قلوبٌ فقرّت في مضاجعها   بعد الحنين وقلبي ليس بالسالي [2]

فقد جاءت " ليس " في آخر البيت ، وقَدّر لها اسمها العائد على المبتدأ " قلبي " ، وكان خبرها " بالسالي " مجرورا لفظا منصوبا محلا ؛ لأن حرف الجر في الجملة زائد ، والجملة الفعلية " ليس" واسمها المقدر وخبرها في محل رفع خبر للمبتدأ " قلبي " . وكذلك فإن الباروديّ كثيرا ما يستعمل أسلوب الحصر من " ليس " وأداة الاستثناء ، كقوله :

ليس للإنسان فيها   غيرَ تقوى الله قوتُ [3]

ويقول أيضا :

ليس لي غيرَ خالِك الحجر الأسـ   ـودِ في كَعبة المحاسنِ قِبلهْ [4]

---

[1] = الديوان – ص 88
[2] = الديوان – ص 445
[3] = الديوان – ص 96
[4] = الديوان – ص 494

فاسم " ليس " في البيت الأول هو " قوت " وخبرها الجار والمجرور في قوله : " للإنسان " ، وقد نصب "غير " في البيت لأنه اسم مستثنى تقدم على اسم " ليس " . أما " ليس " في البيت الثاني فقد جعل الشاعر اسمها المتأخر " قبلة " اسم " ليس " المرفوع ، وخبرها هو الجار والمجرور في قوله : " لي " . وجعل " غير " – كما ذكرنا – مستثنى منصوبا ؛ لأنه استثناء مقدم [1] . وقد تأخر اسم " ليس" في الموضعين السابقين على خبره الجار والمجرور " للإنسان ، ولي " .

لا شك أن أسلوب الحصر هو الأسلوب المحبّب لدى البارودي في النفي ، إذ نجد شواهد كثيرة على كل من : (إن ، ولا ، وما ، وليس). ولعل ذلك كله يعزى إلى أن أداة النفي و" إلا " أدوات زائدة[2]، وكذلك فإن لكل أسلوب من أساليب الحصر وجها بلاغيا عند البلاغيين ، فيرى الجرجاني أن قولك : ما جاءني إلا زيد ، احتمل أمرين ، أحدهما أن تريد اختصاص زيد بالمجيء وأن تنفيه عمن سواه ، وأن يكون كلاما تقوله ، لا لأن بالمخاطب حاجةً إلى أن يعلم أن زيدا قد جاءك ، ولكن لأن به حاجة إلى أن يعلم أنه لم يجيء إليك غيره . والثاني أن تريد كلاما تقوله ليعلم أن من جاء هو زيد لا غيره ، وأنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ماعدا القيام عنه ، فإنما تعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام نحو أن يكون جالسا أو مضطجعا أو متكئا أو ما شاكل ذلك ، ولم ترد أنك نفيت ما ليس من القيام سبيل ، إذ لسنا ننفي بقولنا : ما هو إلا قائم . أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيرا أو عالما أو جاهلا ، كما أننا إذا قلنا : ما قائم إلا زيد . لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما نعني ما قائم حيث نحن وبحضرتنا وما أشبه ذلك [3] . وأقول : لا شك أن كلام الجرجاني حجة في البلاغة، إذ إن النفي في أسلوب الحصر على نحو تركيب الجملة الاسمية : (ما هو إلا قائم) نفي لأن يكون المسند إليه قاعدا أو متكئا أو ما كان من جنس ذلك ، وهذا ما تجده في شعر البارودي حين قال :

وما أنا إن أدنانيَ الوَجدُ باسمٌ ولا أنا إن أقصانيَ العُدمُ باسرُ [4]

فقد نفى الشاعر أن يكون باسما أو فرِحا إذا اغتنى وغير هذه الأوصاف ، ثم عطف على الجملة نفيَه أن يكون عابسا أو مبتئسا إذا صار فقيرا أو معدَما .

---

[1] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص335. وانظر : ابن النحاس – شرح أبيات سيبويه – تحقيق زهير غازي – ط1 – عالم الكتب – ص148.

[2] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1/ص86

[3] = عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص 260، ص 266

[4] = الديوان – ص 242

المبحث السادس : الاستفهام في الجملة الاسمية :

يثير السؤال ردّ فعل عند المتلقي في محاولة الإجابة ، فالمرء يسأل في محاولة البحث عن الإجابة، أو ليقف وجها لوجه مصطدما بعدم معرفة ما هو مسؤول عنه ، أو ليقف مستسلما مبهورا أمام ما يحمله عليه السائل [1]. ولا شك أن السؤال يحفّز المتلقي ويدفعه إلى التفكير ، مما يجعل النص حيّا يعبق بروح الحركة وحرية التفكير ، وهو دأب الشعراء القدامى في مطالع قصائدهم .

ومعنى الاستفهام مشتق من الفعل استفهم إذا طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وهو (استعلام ما في ضمير المخاطب . وقيل : هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها ، فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور)[2] .

والاستفهام يأتي على صورة أدوات غير أن (أصله بالحروف ، نحو : الهمزة ، و"هل"، و" أم"، وتحمل عليها أسماء ، فالأسماء على ضربين : أسماء ظروف ، وأسماء غير ظروف)[3] . ويرد الاستفهام في الجملة الاسمية على نوعين : الأول : وهو ما كان أصله مبتدأ ، مثل : (من ، ما، كم ، أي، ماذا) ، ومنه ما كان خبرا مقدما ، مثل : (متى ، أيان ، أين ، أنى ، كيف) . وهي ما أطلق عليها النحويون أسماء الاستفهام ، وهي أسماء مبهمة يستعلم بها عن شيء بعينه . والثاني : حروف الاستفهام ، وهما حرفان (الهمزة ، وهل) ، ولا محل لهما من الإعراب، إذ يؤديان معنى الاستفهام فحسب ، و(حروف الاستفهام قد يستفهم بها وليس بعدها إلا الأسماء)[4].

وأيّا يكن نوع الاستفهام في شعر البارودي ، فهو لأغراض مجازية تفهم من سياق الكلام ، وقد قسمها البلاغيون إلى أقسام عدة ، ومنها : الأمر، النهي ، التشويق، التسوية ، النفي ، التقرير ، التهويل ، الاستبعاد [5]. وأدوات الاستفهام في شعر البارودي مقسمة إلى حروف وأسماء ، على نحو ما يأتي :

أولا : الحروف ، وهما حرفان :

أ- الهمزة : وتدخل الهمزة على الجملة الاسمية كدخولها على الجملة الفعلية ، وقد يستفهم بها عن المفرد ، غير أن ثمة فرقا بين دخولها على الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، فقد فرّق الجرجاني بين

---

[1] = عيد بلبع – أسلوبية السؤال – مرجع سابق ، ص 77.

[2] = علي الجرجاني – التعريفات – ط1 – 1983م – دار الكتب العلمية – بيروت – ص18.

[3] = سعيد بن الدهان – الفصول في النحو – تحقيق فائز فارس – مصدر سابق – ص107.

[4] = سيبويه – الكتاب – مكتبة الخانجي – مصدر سابق – ج1/ص137، ص138

[5] = انظر : عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص89/ص90. وانظر : الخطيب القزويني – الإيضاح – مصدر سابق – ص135، ص140.

دخولها على الاسم ودخولها على الفعل ، فقال : (إذا قلت : أفعلت ؟ . فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده . وإذا قلت : أأنت فعلت؟ . فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو ، وكان التردد فيه ... ، فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ، ولا يشكّ فيه شاكّ ، ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الأخر)[1] . ثم يشير الجرجاني إلى أنّ هذا مما كان للتقرير أو للإنكار . ومن أمثلة الاستفهام بالهمزة أن البارودي في كثير من المواضع يورد المبتدأ بعد الهمزة نكرة على نحو مألوف متكرر في صدر البيت ، جريا على عادة الشعراء الأوائل . إذ يقول :

أنسيمٌ سرى بنفحَةِ رَنْـدِ   أم رسولٌ أدّى تحيّة هِـنْـدِ [2]

فالهمزة سبقت المبتدأ النكرة " نسيم " ، وبذلك سوّغت تقديمه على الخبر الجملة الفعلية ، وقوله في صدر البيت ومطلع القصيدة الرائية التي يتشوق فيها إلى مصر بعد عودته إليها من منفاه :

أبابلُ رأيَ العينِ أم هذه مصرُ   فإنّي أرى فيها عيونا هيَ السِّحْرُ [3]

والمبتدأ في البيت هو العلم الأعجمي المعروف " بابل " ، ويشير فيه إلى تشبيه مصر بحدائق بابل المعلقة، وكذلك قوله في قصيدة أخرى :

أهلالُ أرضٍ أم هلالُ سماءِ   شمِلَ الزمانَ وأهلَه بضياءِ ؟ [4]

ومثله في المعنى قوله :

أهلالٌ بين هالَـهْ   أم غَزالٌ في غِلالِهْ ؟ [5]

فكل من المبتدأ المضاف إلى نكرة " هلال أرض " ، والمبتدأ النكرة " هلال " ، جاءا بعد همزة الاستفهام ، وتقدما أول البيتين .

إن الاستفهام في مطالع القصائد الطويلة هو الطابع الغالب لدى البارودي ، فقد بلغ في استعماله لأدوات الاستفهام حدّا لا يمكن تجاهله ، فذهب إلى تقديم الهمزة على سائر أدوات الاستفهام بحيث لا تجاريها أداة أخرى غير " هل " ، ولعل ذلك يعود إلى أن حروف الاستفهام أسهل مخرجا وأكثر حرية

[1] = عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص87 .
[2] = الديوان – ص 169
[3] = الديوان – ص 270
[4] = الديوان – ص 41
[5] = الديوان – ص 484

وأخفّ وزنا من غيرها ؛ ولأن القصدية الطويلة في الشعر العربي القديم تدل على قدرة الشاعر وتمكنه ، إذ يعد ذلك معيارا تقاس به موهبته [1] ، وقليلا ما تجد الهمزة في غير مطلع القصيدة أو صدر البيت ، مثل قوله :

أفي السويّـــة أن يبكي الحمامُ ولا يبكي على إلفِهِ ذو لوعَةٍ ضَمِـــنُ [2]

فقد ذكر الشاعر همزة الاستفهام في صدر البيت ، ثم أتبعها بالجار والمجرور الذي وقع في محـــل رفـــع خبر مقدّم ، وهو بمعنى : ألا يستويان [3] . ثم جاء بالمبتدأ المصدر المؤول في قوله : أن يبكي الحمـــام . وكان الأولى به نصب الياء في الفعل المضارع ؛ لأنه منصوب بـــ " أنْ " ، غير أن الضرورة الـــشعرية أتاحت له ذلك ، وتقدير المبتدأ هو : بكاء الحمام .

وأقل من ذلك التركيب أن تجد الهمزة في شعر البارودي تتوســط البيـــت الواحـــد أو تتـــأخر ، فمواضع الهمزة كلها جاءت في مطالع القصائد وصدور الأبيات .

ب- أداة الاستفهام " هل " : وهي حرف استفهام موضوع لطلـــب التـــصديق الإيجـــابي ، دون التصور ، ودون التصديق السلبي ولا يكون لتصديق المنفي ، فلا يستفهم بها إلا عن الجملة في الإثبات [4]، و(تكون للاستفهام غير عاملة ، لعدم اختصاصها بالأسماء والأفعال ، وما لم يختصّ لم يعمل)[5] ، ويليها الفعل أكثر من أن يليها الاسم ، مع جواز أن تكون على الحالين ، و(المعنى في إدخالك حرف الاستفهام على الجملة من الكلام هو أنك تطلب أن يقفك في معنى تلك الجملة ومؤداها على إثبات أو نفي)[6]. وقـــد جعل الفراهيدي الجملة الاستفهامية " هل أبوك خارج ؟ " . بمثابة أن تقول : أين أبوك ؟ لأنك إذا قلت : هل أبوك ؟ لم يجز لك السكوت ، حتى تقول : " خارج " ، فليس فيه إلا الرفع [7]. ويعني بذلك أن " هل " لا تتعدى أن تكون حرفا .

يبدو أن حرف الاستفهام " هل " في شعر البارودي يدخل على الأسماء أكثر مـــن دخولـــه علـــى الأفعال ، وإليك بعض الأمثلة التي وقفت عليها :

---

[1] = انظر مقالة : نزار بريك ، شعرية القصيدة القصيرة ، ص56 ، مجلة ثقافات ، العدد 5 ، شتاء 2003 م ، جامعة البحرين .

[2] = الديوان – ص 638

[3] = الديوان – انظر الحاشية – ص 638.

[4] = انظر : ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج2/ص403.

[5] = أحمد المالقي – رصف المباني – مصدر سابق – ص469.

[6] = انظر : عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص108.

[7] = انظر : الخليل الفراهيدي – الجمل في النحو – مصدر سابق – ص167.

وهل نحن إلا مثلُ من كان قبلنا   فسلْ عن جديسٍ أين ولّت وعن طسْمِ [1]

فالضمير المنفصل " نحن " هو في الأصل اسم ظاهر ، لذلك فإنه يعرب في محل رفع مبتدأ . وكقوله أيضا في موضع آخر يجعل " هل " من البيت في شطره الثاني :

إذا ما الردى أودى بآدمَ قبلنا   فهل أحدٌ من نسلِه غيرُ ذاهبِ [2]

فقوله : " أحد " . اسم نكرة في محل رفع مبتدأ ، ولِيَ " هل " ولم يسبقه فعل . وكذلك قوله :

يا هاجري ظلما بغير خطيئةٍ   هل لي إلى الصَّفْح الجميل سبيلُ [3]

والشاهد في البيت أن تأخر المبتدأ " سبيل " عن شبه الجملة الجار والمجرور ، لم ينفِ كونَ " هل " دخلت على الجملة الاسمية ، فما دام بناء الجملة الاستفهامية اسميا فليس من المهم تقدم المبتدأ فيه أو تأخر . كقوله أيضا :

هل بالحمى عن سرير الملك من يزَعُ   هيهات قد ذهب المتبوع والتبعُ [4]

فقد قدم شبه الجملة الاسمية " بالحمى " على الاسم الموصول " مَن " ، والاسم الموصول في شعر البارودي عادة ما يكون في محل رفع مبتدأ ، ومثال ذلك قوله :

نصحتُ وغشّوا واستقمتُ وراوغوا   وهل مَن هدى بين الأنام كمن أغوى [5]

فالجملة الاسمية : هل مَن هدى كمن أغوى ؟ . وقع فيها الاسم الموصول مرة في محل رفع مبتدأ في قوله: من هدى . ومرة في محل جر بحرف الجر في قوله : كمن أغوى . وجملتا الاسم الموصول لا محل لهما من الإعراب .

إن حروف الجر الزائدة تدخل على جملة الاستفهام الاسمية ، غير أن زيادتها في المعنى والإعراب زيادة لفظية ، ويكون محلها الرفع كما ذكرنا سابقا ، ومن ذلك قوله :

---

[1] = الديوان – ص 572

[2] = الديوان – ص 87

[3] = الديوان – ص 495

[4] = الديوان – ص 337

[5] = الديوان – ص 713

فهل مِن فتى في الدهر يجمع بيننا فليس كلانا عن أخيهِ بمستغنِ [1]

ومثله في التركيب :

فهل مِن فتى يسرو عن القلب همَّهُ بشيمةِ مطبوعٍ على المجد مسعِفِ [2]

فقوله : هل من فتى . في البيتين السابقين جعل المبتدأ " فتى " مجرورا لفظا مرفوعا محلا ، وهذا البناء المتكرر استعمله الشاعر لحاجته إلى استقرار الوزن الشعري ، والدلالة ، فلو قال : هل فتى. لم يؤدِّ المعنى المراد . والبارودي أحيانا يفصل بين هل والاسم بشبه الجملة الجار والمجرور كقوله:

فهل إلى صلة الآمال من سببٍ أم هل إلى ضِيقة الأحزان من فرَجِ [3]

فقد قدّم شبه الجملة " إلى صلة الآمال ، إلى ضيقة الأحزان " على المبتدأ المجرور لفظا " من سبب، من فرج " . وفي هذه الأمثلة وغيرها في شعر البارودي كفاية لما ذكرنا .

<u>– ثانيا : أسماء الاستفهام ، وهي قسمان :</u>

- الأول : أسماء الاستفهام التي تكون في محل رفع مبتدأ ، وهي : " مَنْ ، ما ، أيّ ، كم " .
- الثاني : أسماء الاستفهام التي تكون في محل رفع خبر مقدم ، وهي : " كيف ، أنّى ، أيان ، متى ، أين " .

<u>أسماء الاستفهام التي تكون في محل رفع مبتدأ :</u>

<u>اسم الاستفهام " مَنْ " :</u>

إن أكثر ما يستعمل اسم الاستفهام " من " للدلالة على العاقل ، ويكون في محل رفع مبتدأ ، إلا أنه (أشرِب معنى النفي)[4] ، وهو من الأسماء التي تلزم الصدارة إذا كان في محل رفع مبتدأ ، ويرد في شعر البارودي متفرّقا في شتى أطراف القصيدة الواحدة والبيت الواحد ، ومن أمثلة ذلك قوله :

فمن يُباريك في فضل ومكرُمةٍ ومَــن يُدانيك في حزمٍ وتدبيرِ [5]

---

[1] = الديوان – ص 626

[2] = الديوان – ص 343

[3] = الديوان – ص 101

[4] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1/ ص358

[5] = الديوان – ص 214

فقوله : فمن يباريك ، ومن يدانيك . جمل استفهامية مستقلة . المبتدأ فيها هو اسم الاستفهام المبهم المبني ، وخبره الجملة الفعلية ، وقد وقعت الجملتان في الموضع نفسه من البيتين ، ومثال ذلك مما يقع في البيت الواحد مرتين متتاليتين قوله :

يا بانة ! مَن لي بضمِّكْ   يا زهرة ! من لي بشمِّكْ [1]

فالتركيبان الاسميان في قوله : من لي بضمك ، ومن لي بشمك . متشابهان تماما في الإعراب ، والترتيب، وحتى في الوزن ، ويعرف هذا النمط من التركيب الشعري بالتشطير ؛ لأن قصد الشاعر من تكرار التركيبين هو إضافة جرس موسيقي على مطلع القصيدة ، وهذا التكرار مألوف في شعر البارودي ، وخاصة إذا استعمل أسماء الاستفهام ، وخاصة اسم الاستفهام " من " كقوله في بيتين مختلفين:

فمن لي به خلا كريما نِجارُهُ   فقد سئمتْ نفسي مُعاشرة الهجنِ [2]

ويقول في موضع آخر :

فمن لي برأي صادقٍ أقتفي بهِ   مدارجَ قومٍ أدركوا الأمرَ بالقَسْمِ [3]

فتركيب الجملة الاسمية : (مَن لي بـــ) . يغلب كثيرا على اسم الاستفهام " مَن " المبني في محل رفع مبتدأ ، فتارة يكون في الشطر الأول من البيت ، وتارة يكون في الشطر الثاني ، كقوله:

قليلٌ بآداب المودّة مَـــن يفي   فمن لي بخلٍّ أصطفيهِ وأكتفي [4]

فقوله : من لي بخلّ أصطفيه . جعل التركيب الاسمي مماثلا للبيتين السابقين ، ويبدو أن الشاعر قد وجد هذا التركيب متلائما وحاجته المتكررة إلى الاستفهام البلاغي .

يستخدم البارودي ضمير المتكلم عند بنائه جملة اسم الاستفهام " مَن " ، ليشدّ انتباه المتلقي إليه ، فهي ربما تجسد معاناة الشاعر في منفاه ، وأنه لا يجد أحدا يستعين به أو يقدّم له المعونة ، من ذلك قوله :

ألا من مُعيني على صاحبٍ   جرَعْــتُ بصحبتِه العَلقما [5]

---

[1] = الديوان – ص 598

[2] = الديوان – ص 634

[3] = الديوان –ص 573

[4] = الديوان – ص 343

[5] = الديوان – ص 583

فالجملة الاسمية " من معيني ؟ " . مكونة من اسم الاستفهام وهو المبتدأ المبهم ، وخبرٍ مضاف إلى ضمير المتكلم ، ويشبه البيت السابق ما قاله المتنبي متضجرا من الدنيا :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوّا له ما من صداقته بدٌّ [1]

<u>اسم الاستفهام " ما " :</u>

يستفهم بـــ " ما " عن غير العاقل من حيوان أو نبات أو غيره ، وعن حقيقة الـــشيء أو صـــفته عاقلا أو غير عاقل [2] ؛ لأنها اسم كبقية أسماء الاستفهام [3]. وقد ذكر ابن هشام أن " ما "

الاستفهامية التي ترد في محل رفع مبتدأ (معناها : أي شيء)[4] ، نحو قوله تعالى : { وما تلـــك بيمينك }[5] .

إن " ما " الاستفهامية أعمّ من " مَن " ؛ لشمولها علـــى الحيـــوان والنبـــات والجمـــاد والأعمـــال والصفات، وهي في شعر البارودي أقل بكثير من " مَن " الاستفهامية ، ومن أمثلة ذلك في شعر البارودي:

هو الصاحب المشكور في الودّ سعيُهُ وما خير ودّ ليس يلحقه شكرُ [6]

فقوله : " ما خير ودّ ليس يلحقه شكر " . استفهام بلاغي الغرضُ منه الاستنكار ، وقد جعل المبتدأ اسم الاستفهام في قوله : " ما " ، وخبره " خير ودّ " مضافا إلى نكرة ، والجملة الفعلية للفعل الجامد " لـــيس " واسمها " شكر " ، وخبرها الجملة الفعلية في محل جر نعت للاسم المجرور " ودّ ". ويقول أيضا :

وما خير دنيا لا بقاءَ لعهدها وما طِيب عيش ربُّه غير سالمِ [7]

فالجملة الاسمية (ما خير دنيا) ، ظهر تركيبها على نحو : (" مبتدأ " اسم الاستفهام + خبر مـــضاف+ مضاف إليه) ، وهذا التركيب تكرار لتركيب البيت الأول .

<u>اسم الاستفهام " أيّ " :</u>

وهو اسم من أسماء الاستفهام غير أنه معرب بحيث تظهر الحركة الإعرابية على آخره. وما عداه من أسماء الاستفهام فهو مبني ، ويطلب باستخدامه تعيين الشيء . وإعرابه مبتدأ ؛ لأن له الصدارةَ فـــي الكلام . ومواضع وروده في الشعر كثيرة ، وأكثر ما يكون في صدر البيت ، كقول البارودي :

---

[1] = أبو البقاء العكبري – شرح ديوان المتنبي – مصدر سابق – ج1/ص375.

[2] = انظر : ابن الدهان النحوي – الفصول في النحو – مصدر سابق – ص108.

[3] = الخليل الفراهيدي – الجمل في النحو – مصدر سابق – ص309.

[4] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1/ ص328

[5] = سورة طه ، 17 .

[6] = الديوان – ص 228

[7] = الديوان – ص 543

وأيُّ باقٍ على الأيام نطلبُهُ   وكلّ واردةٍ يوما إلى صدَرِ [1]

فالمبتدأ هو اسم الاستفهام المضاف إلى نكرة " أيّ باق " ، وخبره الجملة الفعلية " نطلبه " ، ومن الملاحظ في اسم الاستفهام " أيّ " أنه يأتي في شعر البارودي مضافا إلى نكرة ، متصدرا أول البيت أو أول الشطر الثاني ، كقوله :

وأيُّ حسام لم تصبه كلالةٌ   وأيُّ جوادٍ لم تخنه الحوافرُ [2]

فقد أضيف المبتدأ في هذا البيت إلى نكرة في قوله : " أي حسام " و" أي جواد " ، في صدر الشطرين، والخبر جملة فعلية في قوله : (لم تصبه كلالة ، ولم تخنه الحوافر) . ومثله أيضا قوله :

وأيُّ نعيم في حياة وراءَها   مصائبُ لو حلّت بنجْم لأظلما [3]

يكثر ورود اسم الاستفهام " أي " في التشكي والتضجر ، فقوله في البيت السابق : أي نعيم . تركيب يدل دلالة لا شك فيها بأن سؤال الشاعر بلاغي ، ومثله كذلك قوله :

وأي حياة لامرئ بين بلدةٍ   يظلُّ بها بين العواثن والدخْـن ِ [4]

فالمبتدأ اسم الاستفهام " أي حياة " ، وخبره هو شبه الجملة الجار والمجرور "لامرئ".

إن بناء الجملة الاسمية الاستفهامية في شعر البارودي يظهر فيه الخبر جملة فعلية ، ويكون فعلها مضارعا وفاعله ضميرا مستترا مقدرا ، كقوله :

أيّ فتى للعظيم نندبهُ   شاط على أنصُل الرماح دمُهْ [5]

فقوله : نندبه . فعل مضارع مرفوع ، فاعله ضمير مستتر تقديره " نحن " ، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به يعود إلى " فتى " ، والجملة الفعلية من فعل وفاعل ومفعول به في محل رفع خبر ، وكقوله أيضا :

فأيّ فؤاد لا يذوب صبابة   ومزنةِ عينٍ لا يصوبُ لها قَطْرُ [6]

---

[1] = الديوان – ص 245
[2] = الديوان – ص 243
[3] = الديوان – ص 555
[4] = الديوان – ص 631
[5] = الديوان – ص561
[6] = الديوان – ص271

وقس على هذا النمط كثيرا من الأبيات في شعر البارودي ، وردت فيها " أي " مضافة إلى نكرة، وقلما تجدها مضافة إلى اسم معرّف بـ " أل " ، أو بالضمير المتصل ، أو نكرة منونة ، أو واردة في غير صدر البيت أو شطره ، إلا في مواضع قليلة جدا كقوله :

فإن تكن الأيام أخنتْ بصرفِها   عليّ فأيّ الناس يبقى مسلَّما ؟ [1]

فقد ذكرها مضافة إلى معرفة ، وهي (الناس) ، كما أنها وردت آخر البيت ، وهذا يدل على البناء التكراري في تركيب الجملة في شعر البارودي .

<u>**اسم الاستفهام " كم " :**</u>

وهي بمعنى : أيّ عدد ؟ . وتشترك مع " كم " الخبرية في خمسة أمور ذكرها ابن هشام في كتابه: " مغني اللبيب " ، وهي : (الاسمية ، والإبهام ، والافتقار إلى التمييز ، والبناء ، ولزوم التصدير)[2].

إن استخدام " كم " في الإخبار أكثر منها في الاستفهام في الشعر عامة ، وكأن الشاعر يطلب الخبر ليعلم منه ويخبر عنه ، ولا يطلب الاستفهام ليجاب عنه ، كقوله :

فكم بها صورٌ كادت تخاطبنا   جهرا بغير لسانٍ ناطقٍ وفمِ [3]

فسياق الجملة يوحي بأنها تدل على الخبر لا الاستفهام ، فهو لا يسأل وإنما ليدل به على كثرة الصور.

<u>**اسم الاستفهام " ماذا " :**</u>

إن اسم الاستفهام " ماذا " من الأسماء التي اختلف عليها النحويون في تركيبها [4] ، فقد ذهبوا إلى أنها إذا دخلت على الجملة الاسمية احتملت أربعة أوجه :

أحدها : أن تكون " ما " استفهامية ، وتكون " ذا " اسم إشارة .

وثانيها : أن تكون " ما " استفهامية ، و" ذا " اسما موصولا .

وثالثها : أن يكون مجموع " ما " ، و" ذا " اسما واحدا للاستفهام .

ورابعها : أن يكون مجموعهما اسما واحدا بمعنى الذي . وإذا جعلت " ماذا " اسما واحدا ، فالذي عليه الجمهور من النحاة أنها تستحق التصدر [5] ، وقد وردت " ماذا " الاستفهامية متصدرة في محل رفع مبتدأ ،

---

[1] = الديوان – ص559

[2] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1/ ص207

[3] = الديوان – ص 513

[4] = انظر : شرح المكودي – مصدر سابق – ج1/ص151

[5] = عبد الرحمن محمود الشنقيطي – الصدارة في النحو – ط1 – 1998م – دار النهار – القاهرة – ص123. وانظر : ابن الدهان – الفصول في العربية – مصدر سابق – ص56.

مكونة من " ما " و" ذا " ليكون اسم استفهام واحدا مبنيا على التركيب نفسه في الجملة الاسمية ، من ذلك قوله :

إذا ما أقرّ المرء يوما بذنبهِ   فماذا الذي تغني لَجاجة خصمهِ [1]

فقوله : (ماذا الذي تغني لجاجة خصمه ؟) . جمله اسمية استفهامية ، مكونة من " ماذا " اسم استفهام المبني في محل رفع مبتدأ ، والخبر الاسم الموصول (الذي) وجملة الصلة الفعلية لا محل لها من الإعراب ، ومن ذلك أيضا قوله :

وماذا عليهم إن ترنَّم شاعرٌ   بقافيةٍ لا عيبَ فيها ولا نُكْرُ [2]

ففي قوله : ماذا عليهم . جعل اسم الاستفهام مبتدأ ، وخبره هو شبه الجملة الجار والمجرور ، لأن تقدير الكلام لا يقع إلا على اسم ، ومثله قول البارودي :

ماذا عليكم وأنتم أهلُ بادرةٍ   إذا ترنَّم فيكم شاعر فطِنُ [3]

والبارودي من لتكراره تركيب الجملة الاسمية (ماذا + حرف الجر " على " + ضمير الغائب المتصل) ، ومثله أيضا قوله :

ماذا عليهِ ولا أريد ملامة   لو جاد معْها بالتحية أو كنّى [4]

فقد جعل اسم الاستفهام " ماذا " في محل رفع مبتدأ ، والخبر هو الجار والمجرور ، ولا شك أن دلالة التركيب السابق تظهر نوعا من اللطف في العتاب والتودّد ، وتركيبُ الجملة الاستفهامية التي تكونت من (ماذا + على + الضمير المتصل + لو + الفعل الماضي) يشبه قولَ أبي تمام في مطلع قصيدة مدح طويلة :

نسائلها أيَّ المواطن حلّتِ   وأيَّ ديار أوطنتها وأيّتِ
وماذا عليها لو أشارت فودّعتْ   إلينا بأطراف البنان وأومتِ [5]

---

[1] = الديوان – ص 571.

[2] = الديوان – ص 272

[3] = الديوان – ص 638

[4] = الديوان – ص697

[5] = الخطيب التبريزي – شرح ديوان أبي تمام – تقديم راجي الأسمر – ط1 – 1992م – بيروت – دار الكتاب العربي – ج1/ص161.

– **أسماء الاستفهام التي تكون في محل رفع خبر ، وهي :**

أولا : اسم الاستفهام " كيف " :

وهي اسم مبهم يطلق لمعرفة حال الشيء ، والغالب في " كيف " أن تستعمل استفهاما حقيقيا أو غير حقيقي ، إذا دلّ على تعجب أو توبيخ ، وتعرب حسب موقعها من الجملة ، وغالبا ما تكون حالا إذا دخلت الجملة الفعلية . وما يهم هذه الدراسة من اسم الاستفهام " كيف " ، هو دخولها على الجملة الاسمية، إذ تكون في محل رفع خبر مقدم وجوبا لصدارة أسماء الاستفهام على غيرها .

لا شك أن معنى (كيف) هو الاستفهام عن الحال ، ولكن دخوله على الجمل هو الذي يغيّر إعرابها ، وبخاصة الجمل الاسمية ، وقليلا ما وردت في شعر البارودي داخلة على الجمل الاسمية ، وكأن البارودي لم يفضّل تركيبها وبنيتها في الجملة الاسمية ، فمال إلى استعمالها في الجمل الفعلية ، فجعلها في محل نصب حال في مواضع كثيرة لا مجال إلى ذكرها [1] ، فأظهر في ذلك ميله إلى الجملة الفعلية . ومن أمثلة دخول اسم الاستفهام (كيف) على الجمل الاسمية في شعر البارودي قوله :

فتلك حالي – لا رمتك النوى – فكيف أنتم بعدَنا يا هُمامْ [2]

فقوله : كيف أنتم . جملة اسمية ، المبتدأ فيها هو الضمير المنفصل " أنتم " ، والخبر اسم الاستفهام المقدم " كيف " ، وكذلك قوله في موضع آخر :

وكيف مقامي بين أرضٍ أرى بها من الظلم ما أخنى على الدار والسكْنِ [3]

وفي هذا البيت قدم البارودي الخبر اسم الاستفهام " كيف " على المبتدأ الاسم الظاهر المضاف إلى ضمير المتكلم " مقامي " ، ولا شك أن مسوغ تقديم الخير هو وجوب الصدارة .

ثانيا : اسم الاستفهام " أين " :

هي بمعنى" أي مكان " ، و" أين " اسم مبهم من أسماء الأمكنة ، يقع على الجهات الست ، وكل مكان يستفهم بها عنه [4] ، وهي ظرف يستفهم به عن المكان الذي حل فيه الشيء ، وهي في محل رفع خبر مقدم على المبتدأ وجوبا إذا دخلت على الجملة الاسمية ، وقد وردت في شعر البارودي مقترنة بالظرفية الزمانية والمكانية ، قوله :

أين اللوى وعهدُهُ أيهات عهد باللِّوى [5]

---

[1] = انظر : الديوان : ص306 ، ص328 ، ص338 ، ص372 ، ص386 .

[2] = الديوان – ص 546

[3] = الديوان – ص 628

[4] = انظر : ابن الدهان – الفصول في النحو – مصدر سابق – ص108

[5] = الديوان – ص 715

فالمبتدأ " اللوى " هو الاسم الظاهر المعرف بـــ " أل " ، وقد أخّر وجوبا عن الخبر " أين " اسم الاستفهام، وتقدير الكلام " اللوى وعهده في أي مكان ؟ " ، وقد يدل اسم الاستفهام أحيانا على المجاز، بحيث لا يدل على مكان ما ، وإنما يكون وجوده على سبيل التقدير كقوله :

وأين من المخلوق إدراكُ حكمةٍ بها يُنشِئ اللهُ القرونَ ويمحَـــقُ [1]

فالمبتدأ المؤخر " إدراك حكمة " مضاف إلى نكرة ، ولا يدل على محسوس بعينه ، وإنما يدل على صـــفة من شأنها أن تدل على تنويه الشاعر ورغبته في الاستفهام البلاغي الذي يحمـــل دلالات لا تتـــوفر فـــي الاستفهام الحقيقي ، وربما جعل الشاعر الاستفهام متمثلا في أهل المكان أي ساكنيه ، بحيث يكون معرفا ، كقوله :

أين أهلُ الدار فانـــظرْ هـــلْ ترى بالدار أهلا [2]

فهذا الاستفهام البلاغي يدلّ على وقوعه على أهل الدار وساكنيها ، ووجه التعريف فيه هو إضافة المبتدأ إلى معرفة في قوله : أهل الدار . واسم الاستفهام " أين " مبني في محل رفع خبر مقدم وجوبا. ومن أمثلة المبتدأ المعرف بـــ " أل " بعد " أين " قوله :

فأين الملوك الأقدمون تسنَّموا قِلالَ العُلا فالأرضُ منهم بلاقعُ [3]

فقوله : أين . اسم استفهام مبني على الفتحة في محل رفع خبر ، ومبتدؤه مؤخر وجوبـــا وهـــو الاســـم المعرف بـــ " أل " التعريف في قوله : الملوك . مرفوع بالضمة الظاهرة .

إن هذا التنويع في أشكال المبتدأ يدل على قدرة الشاعر على تغيير صورة المبتـــدأ وأشـــكاله ، وإلمامه وثقافته الواسعة واضطلاعه على نماذج شعرية مختلفة ، وربما أيضا يعكس نوعا مـــن اخـــتلاف الحالة والحكم في كل مثال يذكره البارودي . فمن صور المبتدأ الذي يكون خبره اسم الاستفهام " أيـــن " الأسماء الموصولة ، من ذلك قوله :

وأين مَن تملك الأحرارَ شيمتُهُ والغدرُ في الناس داءٌ غيرُ منحسمِ [4]

---

[1] = الديوان – ص 384
[2] = الديوان – ص 509
[3] = الديوان – ص 317
[4] = الديوان – ص 618

ومثله قوله :

أين من كان قبلنا منذ دارتْ   كُــرة الأرض وهْي ذاتُ دُخانِ [1]

ويقول أيضا :

فأين الألى شادوا وبادوا ألم نكن   نحُــلّ كما حلّوا ونرحلُ مثلما [2]

فقوله : مَن ، والألى . في الأبيات السابقة أسماء موصولة ، غير أن الألى جمع " الذي " [3]، وقد وقعت الأسماء الموصولة جميعها في محل رفع مبتدأ مؤخر وجوبا . وطبيعة السؤال بـ " أين " وغيرها من أدوات الاستفهام تحيل الفكر إلى البحث عن الزمان والمكان ، وتبعث نوعا من التأمل فيهما ، كما أنها تقودك إلى التسليم والإقرار بحتمية الجواب ، فمن الأسئلة السابقة ، في قوله : (أين من كان قبلنا ؟) . وقوله : (أين الألى ؟) . لا تجد جوابا غير التسليم والإقرار بقولك : (تحت الثرى) . ولا شك أن وقوع (أين) في صدر كل بيت من الأبيات السابقة لا يعني أنه لم يذكر لها مواضع متفرقة من البيت ، من ذلك قوله :

كل حيٍّ يظنُّ أمراً ولكنْ   أين منه مَحجّة البُرهانِ [4]

فقد جعل اسم الاستفهام صدر الشطر الثاني وفصل بينه وبين المبتدأ " محجة البرهان " بالجار والمجرور "منه " . وقوله :

لا صديقٌ يرثي لما بِتّ ألقا   هُ ولا مسعِدٌ فأين الكرامُ [5]

فقوله : أين الكرام . جملة اسمية استفهامية . تقدم الخبر " أين " على المبتدأ " الكرام " ؛ لأنه اسم استفهام له وجوب الصدارة في الكلام .

<u>ثالثا : اسم الاستفهام " متى " :</u>

" متى " بمعنى : أي حين ؟ أو أي زمان ؟ . وهي اسم مبني للسؤال عن الزمان [6] ، ويغني عن جميع أسماء الزمان . وتعرب " متى " حسب موقعها في الجملة ، إذ (يقع بعدها الاسم مرفوعا تارة ومجرورا أخرى ، ويقع بعدها الفعل مرفوعا أو مجزوما ومعناها مختلف باختلاف أحوالها)[7] . وقد جعل

---

[1] = الديوان – ص 673

[2] = الديوان – ص 556

[3] = شرح المكودي – مصدر سابق – ج1/ص147.

[4] = الديوان – ص 675

[5] = الديوان – ص 621

[6] = انظر : ابن الدهان – الفصول – مصدر سابق – ص108.

[7] = السيوطي – الألغاز النحوية في كتاب الأشباه والنظائر – تحقيق طه عبد الرؤوف سعد – 1979م – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – ص 52.

النحاة " متى " ظرفا للزمان [1] ، لأنهم وجدوها سؤالا يدل على الزمان ، ويستفهم بها عن الزمان الماضي والمستقبل ، وهي وإن كانت تدخل على الجملة الفعلية ، أكثر من دخولها على الجملة الاسمية في شعر البارودي إلا أنها وردت داخلة على جمل اسمية في مواضع متفرقة من شعره ، كقوله :

متى أنت عن أُحْموقة الغَيّ نازع وفي الشيبِ للنفس الأبيةِ وازعُ [2]

والأصل في الجملة أن يكون ترتيبها : متى أنت نازع عن أحموقة الغيّ . إذ يكون المبتدأ فيها هو الضمير المنفصل " أنت " ، والخبر هو الاسم الظاهر " نازع " ، ويكون اسم الاستفهام في محل نصب ظرف زمان، لدلالته على الظرفية الزمانية .

دخول حروف الجر على أسماء الاستفهام في الجمل الاسمية :

تدخل حروف الجر على الأسماء دون الحروف ، ودخولها على أسماء الاستفهام كدخولها على بقية الأسماء ، ودخولها على أسماء الاستفهام قرينة يفهم منها الاسمية ، وتدخل حروف الجر على أسماء الاستفهام الآتية : (ما ، كم ، أين ، من ، أي) .

وأكثر دخول حروف الجر على " ما " الاستفهامية لكثرة استعمالها ، فقد ذهب النحاة إلى أن ألف "ما " الاستفهامية تحذف إذا اتصل بها حرف الجر، وذلك تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، أو دليلا على التركيب، حيث رُكّب حرف الجر مع " ما " الاستفهامية ، حتى صار مجموع الكلام كلمة واحدة موضوعة للاستفهام أو فرقا بين الاستفهامية والموصولة [3] ، (وعلة حذف الألف الفرق بين الاستفهام والخبر)[4] ، لذا فقد حُذفت ألف " ما " الاستفهامية . ومن ذلك في شعر البارودي قوله :

كلٌّ مسوق لما أريد به ففيمَ هذا الخصامُ و اللّددُ [5]

والشاهد في البيت السابق هو قوله " فيمَ " ، فهي مجموعة من حرف الجر " في " ، الذي اتصل بـ " ما " الاستفهامية ، ثم دخلت على الجملة الاسمية " هذا الخصام " ، و" ما " الاستفهامية في البيت السابق اسم استفهام مبنيّ على السكون في محل جر بحرف الجر . ومن أمثلة دخول حرف الجر على اسم الاستفهام قول البارودي :

فإلى من أشتكي ما شفّني من غرام وإليك المشتكى [6]

---

[1] = انظر : ابن أبي علي الإشبيلي – البسيط – مصدر سابق – ج1/ص240

[2] = الديوان – ص 315

[3] = قيس إسماعيل الأزدي – أساليب الطلب عن النحويين والبلاغيين – المكتبة الوطنية – بغداد – 1988م – ص 381 .

[4] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1/ ص 328

[5] = الديوان – ص 185

[6] = الديوان – ص 293 . شفه الهم : أضناه وأضعفه .

ففي قوله : إلى مَن . دخول لحرف الجر على اسم الاستفهام ، ودخول حرف الجر على أسماء الاستفهام لا ينفي عملها ودلالتها الاستفهامية ، أو يخرجها من نطاق الجملة الاسمية إلى غيرها ، وإنما يزيد على اسم الاستفهام معنى يتلاءم وطبيعة الدلالة التي يحملها الحرف . ومثل ذلك في دخول حرف الجر أيضا قوله :

ففيم اقتناءُ الدرع والسهم نافذ وفيم ادخار المال والعمر ضائعُ [1]

أدخل الشاعر حرف الجر " في " على اسم الاستفهام " ما " فحذفت منه الألف وجوبا .

المبحث السابع : الشرط في الجملة الاسمية :

الشرط هو تعليق شيء على شيء ، باستعمال أدوات وأسماء تدخل على الجملة الاسمية أو الفعلية، ولكن بشروط تختص فيها الجملة الشرطية عما سواها ، وهي أن يلزمهما جملتان جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط ، وتربط بينهما أداة الشرط ، وأدوات الشرط نوعان :

– النوع الأول : أدوات تجزم فعلين ، مثل : مَن ، ما ، مهما ، كيفما .

– النوع الثاني : أدوات غير جازمة ، مثل : لو ، لولا ، لوما ، إذا ، لما ، كلما ، أما .

أدوات الشرط في شعر البارودي :

اسم الشرط " مَنْ " :

إن اسم الشرط " مَن " من أكثر أسماء الشرط في شعر البارودي ، وهو دائما في محل رفع مبتدأ، بحيث تكون لها الصدارة . ومن أمثلة اسم الشرط " من " في شعر البارودي :

ومن حدثتهُ النفسُ بالغَيّ بعدَما تناهى إليه الرشدُ سار على بُطلِ [2]

فقوله : من . اسم شرط مبني في محل رفع مبتدأ . وقوله : حدّثته النفس . جملة فعل الشرط . وجواب الشرط هو جملة الفعل الماضي : سار على بُطل . والجملة الفعلية من الفعل الماضي "سار". والفاعل الضمير المستتر في محل رفع خبر للمبتدأ اسم الشرط . ومثله قوله :

ومن أطاع رُواة السوء نفّرَهُ عن الصديق سماعُ القيل والقالِ [3]

[1] = الديوان – ص 316

[2] = الديوان – ص 443

[3] = الديوان – ص 446

وهو في المثالين السابقين يضع " من " الشرطية في صدر البيت ، وهذا النموذج مألوف في اللغة؛ لأن "من " الشرطية لها حق الصدارة في الكلام ، ولا يتقدم عليها شيء ، وقد يترتب على استعمال " مَن " الشرطية الإطالة ، كقوله :

فمن يكُ بالبِيض الكواعبِ مُغرماً   فإنيَ بالبيض القواضبِ مغرمُ [1]

فاسم الشرط في صدر البيت هو " من " ، وفعل الشرط هو الفعل المضارع " يكن " مع اسمه المقدر وخبره شبه الجملة الجار والمجرور ، وجواب اسم الشرط وقع في الشطر الثاني كله بعد الفاء التي تعرف بفاء جواب المجازاة [2] ، وهذه الإطالة استدعتها الضرورة لما يتطلبه أسلوب الشرط ، ومن ذلك أيضا قوله:

ومن عَرفَ الدنيا رأى ما يسرّهُ   من العيش هماً يترك الشهدَ علقما [3]

فجواب الشرط " رأى ما يسره " وقع في الشطر الأول من البيت ، إلا أن البارودي لم يكتف بالجواب وحده ، بل زاد عليه أن جعل الجملة بعد الجواب فضلة متعلقة به في قوله : (رأى ما يسره ...) إلى آخر البيت ، وقوله :

من ظنّني مَوضِعا يوما لحاجتهِ   كنت الحَرِيّ بأنْ أعطيهِ ما سألا [4]

فالجواب " كنت الحريّ بأن أعطيه ما سألا " أخذ الحيز نفسه الذي أخذه فعل الشرط " ظنني موضعا يوما لحاجته " من حيث الطول .

أداة الشرط " لولا " :

وأما " لولا " فيمتنع بها الشيء لثبوت غيره ، وتقتضيان حينئذ مبتدأ ملتزما حذف خبره وجوبا ، وجوابا مصدّرا بفعل ماض أو مضارع مجزوم بـ " لم " . فإذا كان الماضي مثبتا قرن باللام ، وإن كان منفيا تجرد منها غالبا ، وإذا دل على الجواب دليل جاز حذفه ، كقوله تعالى : { ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله توّاب رحيم }[5] ، وهي أداة مركبة من " لو " الشرطية الامتناعية و" لا " النافية ، وتصير " لو " بالتركيب مع " لا " لتدل على معنى جديد هو امتناع لوجود .

---

[1] = الديوان – ص 605 . قواضب : جمع قاضب وهو الحادّ .
[2] = انظر : الفراهيدي – الجمل – مصدر سابق – ص312.
[3] = الديوان – ص 555
[4] = الديوان – ص 495
[5] = سورة النور ، 22 . وانظر : شرح ابن الناظم – مصدر سابق – ص510 ، ص511

لاشك أن " لولا " من أكثر أدوات الشرط الداخلة على الجمل الاسمية ، وهي أيضا مـــن أكثرهـــا ورودا في شعر البارودي ، لحاجة الشاعر إلى دلالتها . وهي ليست الأداة الأكثر استعمالا عنده فحسب ، بل هي المفضلة لديه لامتناع حدوث الشيء بها لوجود ما يمنعه ، ولعل الأمور الممتنعة عنـــد البـــارودي كثيرة جدا ، فتراه يمتنع عن الندم والبكاء لاعتقاده بالقضاء ، ليدل على رباطة جأشه ، فيقول :

فلولا اعتقادي بالقضاء وحكمه   لقطّعت نفسي لَهفةً وتندُّما [1]

فقد أدخل " لولا " على الجملة الاسمية ، فالمبتدأ هو " اعتقادي " والخبر محذوف وجوبا لدلالـــة المعنـــى عليه، وتقديره : موجود . وقوله : " لقطعت نفسي لهفة وتندما " جملة جواب امتناع وجـــود الاعتقـــاد ، والبارودي يستعمل أسلوب الشرط المقترن بـــ " لولا " بغية إثبات حكم انتفى لعلة وجود أمر مـــا ، مـــع حاجته إليه ، من ذلك قوله :

ولولا أليم الخطب لم أمرِ مُقلة   بدمع ولم أفـــغَـــر بقافية فما [2]

فالمبتدأ المضاف في البيت السابق " أليم الخطب " ، ويقول أيضا :

لولا صفاتُك – وهْي الدرُّ – ما بهرتْ   أبياتها الغرُّ من حسن وتحبيرِ[3]

وقس عليه كثيرا من الأمور التي يُمتنع عنها لعلة ما . أما بقية أدوات الشرط فلا تجد لها ذكرا في شـــعر البارودي أو لقلة دخولها على الجمل الاسمية وصعوبتها ، بحيث لا يتسنى له إدخالها على الجملة الاسمية كما لو كانت الجملة فعلية دون أن يتكلف مشقة التركيب .

المبحث الثامن : نواسخ الجملة الاسمية :

قد تسبق الجملة الاسمية أدوات وأفعال تنسخ المبتدأ أو الخبر ، فتجعلهما تابعين لهـــا ، وذلـــك لأنها تستعمل للتعبير عن دلالات مختلفة ، وتسمى هذه الأدوات والأفعال نواسخ للجملة الاسمية ، بحيث لا يسمى المبتدأ مبتدأ لها ، لالتغاء حكم الابتداء ، وتقدمُ الناسخ عليه ، ولا يكون العامل فيه عامل الابتداء ، وإنما العامل لحاقه بما قبله من أدوات وأفعال ، وكذلك فإن الخبر يصبح خبرا لهذه النواسخ ، وتسمى هذه

[1]= الديوان – ص 557
[2] = الديوان – ص 560
[3] = الديوان –ص 215

الجملة بالجملة التي أصلها مبتدأ وخبر ؛ لأنك لو نزعت النواسخ عنهما لارتدت الجملة الاسمية إلى ما كانت عليه . وتقسم نواسخ الجملة الاسمية إلى قسمين ، وهما :

أولا : الأدوات : وهي : (إن ، وأن ، وليت ، ولعلّ ، ولكنّ ، وكأنّ) .

ثانيا : الأفعال : وهي أربعة أقسام :

- الأفعال الناقصة : مثل : كان وأخواتها .
- الأفعال الجامدة : مثل : ليس .
- أفعال القلوب : وهي : رأى ، علم ، درى ، وجد ، وألفى ، وتعلم ، وظن ، خال ، حسب ، جعل ، حجا ، وعد ، زعم ، و هب .
- أفعال التحويل : وهي : صيّر ، ورد ، ترك ، تخذ ، اتخذ ، جعل ، ووهب . وسيأتي ذكر الأفعال الناسخة في الفصول المتقدمة .

إن دخول الحروف الناسخة في شعر البارودي طبيعي تسوغه الحاجة إلى الحرف الناسخ ، ولا شك أنه لا يمكن أن يخلو منها شعر أو نثر ، لأهمية دلالتها ومعانيها ، وقد استعمل البارودي هذه الأدوات كاملة ، غير أنه غلب عليه الميل إلى الإكثار من بعضها على حساب بعضها الآخر ، وإن كان كل حرف منها يؤدي معنى يختلف في دلالته عن الآخر ، إذ لا يمكن أن تحل أداة محل أخرى ، وذلك لاختلاف المؤدّى الذي تؤديه كل دلالة ، ومن النماذج في شعر البارودي على استعمال " إنّ " ما يأتي :

إنّ طرفي غــرّ قلبي فمضى   في سبيل الشوق حتى هلكا [1]

وكقوله :

فإياك أنْ تغترّ يا صاحِ بالهوى   فإن الرّدى حِلفُ الهوى وعقيدُهُ [2]

فابتداء " إن " صدر الشطر الأول والثاني هو تركيب مألوف ، يكثر في شعر البارودي ، ومن مواضع دخول " أنّ " في شعره قوله :

وما ذكريَ الأيامَ إلا لأنها   ذمامٌ لعِــرفان الصِّبا وعهودُ [3]

فقد اتصل حرف الجر اللام بـــ أن ، في قوله : لأنها . وجعل اسمها الضمير المتصل وخبرها " ذمام ". وتكون الجملة الاسمية من (أنّ ، واسمها وخبرها) في محل جر بحرف الجر . ومثل ذلك قوله أيضا :

واعلم بأنّ المرء ليس بخالدٍ   والدهر فيهِ صحةٌ وسَقامُ [4]

---

[1] = الديوان : ص 392

[2] = الديوان : ص 147

[3] = الديوان : ص 144

[4] = الديوان : ص 538

فالباء من حروف الجر المتصلة بــ " أن " ، والتي لا يخلو منها شعر البارودي ، وتقدير الجملة : اعلم بعدم خلود المرء ، وخاصة عند اتصالها بــ " أن " ، كقوله في تركيب مماثل :

ألم تعلم وخير العلم أبقى بأنّ الصمت منجاةُ الأريبِ [1]

وقد تكون " أن " وجملتها في محل رفع فاعل ، أو نصب مفعول به ، كقوله :

أتاني أنّ عبد الله أصغى إلى واشٍ فغيّره عليّا [2]

فقوله : " أن عبد الله أصغى إلى واش " في محل رفع فاعل ، لأن اسم " أن " هو عبدالله ، وخبرها هو الجملة الفعلية " أصغى " والفاعل الضمير المستتر تقديره " هو " ، وتقدير الجملة هو : أتاني إصغاء عبد الله إلى واش .

ومن أمثلة استعمال البارودي لحرف الاستدراك " لكنّ " ، كقوله :

ولكنه الخَصْمُ الذي خضعتْ له رقابُ أناس أخضعوا كلَّ غالبِ [3]

فــ " لكنّ " المضعفة العاملة في الجملة الاسمية تأتي بعد " إنّ ، وأنّ " . ومن أمثلة اتصالها في ضمير المؤنث الغائب قوله :

ولكنها نــزَغــاتُ الوشاةِ أصابتْ هوى فلوتْ أخدَعا [4]

فالضمير المتصل " ــها " في محل نصب اسم " لكنّ " وخبرها الاسم المفرد " نزعات " ، وربما اتصلت " لكنّ " بضمير المتكلم ، وأكثر مواضع ورودها على هذا النحو ، كقوله :

ولكنني في جحفل ليس دونه براحٌ لذي عذر ولا عنه بارحُ [5]

وقوله أيضا :

لكنني بين قوم لا خَلاقَ لهم إن عاقدوا غدروا أو عاشروا دَهَنوا [6]

---

[1] = الديوان : ص 82

[2] = الديوان : ص 728

[3] = الديوان : ص 72

[4] = الديوان : ص 326

[5] = الديوان : ص 104

[6] = الديوان : ص 640

ففي المثالين السابقين وقع الخبر شبه جملة " في جحفل ، وبين قوم " ، وكأن الشاعر في استعماله "لكنّ " أراد أن يستدرك شيئا فاته ، فجعل قوله : " لكنّ " بمثابة قوله : غير أنني . وفي الشواهد الشعرية السابقة نجد البارودي مال إلى اتصال الضمير المتكلم بـ " لكن ّ"، كأنه أراد منه أن يجعل حكمه مستدركا لما يتعلق به .

إن من شروط عمل حرف الاستدراك " لكنّ " أن يكون مضعّفَ النون حتى يعمل عمل "إنّ"، فلو انتهى بالسكون لم يعمل عملها بالجملة الاسمية ، وإنما يؤدي معنى الاستدراك فحسب . وإذا اتصلت فيها "ما " الكافة الزائدة فإنها تبطل عملها [1] ، ومثل ذلك بقية الحروف كـ (إنما ، أنما ، كأنما ، لكنما) . والتي تتصل بـ " ما " الكافة لعملها ، وهي كثيرة الاستعمال في شعر البارودي .

مما يلاحظ على شعر البارودي أنه يكثِر من استعمال الأدوات الناسخة التي تتصل بـ " ما " الكافة وخاصة " كأنّ " ، وذلك لأن معناها التشبيه ، ولأنها لا تؤثر في الحركة الإعرابية للجملة الاسمية بعدها ، وهذا ما دعا البارودي إلى استعمالها ، رغبة منه في إشباع حاجته إلى التشبيه ؛ لأن من صفات التشبيه أنه يزيد المعنى جمالا والصورة توضيحا ، والنفس تعلقا ومشاركة [2] . ومن أمثلة استعمالها في شعر البارودي ما ورد متكررا في قصيدة صغيرة ، يهجو فيها هجاء مقذعا ، فيقول فيها :

كأنما أظفورُه مِنجَلٌ ... وبين فكّيه رحىً راعدهْ
كأنما البطة في حلقهِ ... نعامة في سَبسَب شاردهْ
تسمع للبلع نقيقا كما ... نقّت ضفادي ليلة راكدهْ
كأنما أنفاسه حَرجَف ... وبين جنبيه لظىً واقدهْ [3]

ولم يكن ليتأتّى له هذا الهجاء العنيف لولا تكرار أداة التشبيه ثلاث مرات في أربعة أبيات ، فغرض الهجاء لا يخلو من التشبيه للانتقاص من قدر المهجو وذمه بصور فنية تنفّر المتلقي من صورة المهجوّ ، دون أن يلجأ في هجائه إلى الألفاظ البذيئة أو مفردات الشتم ، وقد أجاد البارودي في هذا الغرض . فقد روّض فيها القول لينتهي به الأمر إلى أن يكرر " كأنّ " المكفوفة و" ما " الكافة عن العمل ، في القصيدة نفسها في تسعة مواضع ، بالإضافة إلى استعماله الكاف أداة للتشبيه ، والملاحظ على القصيدة أنها خلت في أول سبعة عشر بيتا من أي أداة للتشبيه ، وجاءت الأبيات بعد البيت الثامن عشر تعج بكثير من أدوات التشبيه، بالإضافة إلى أنك تجد البارودي حين يروض القول ويسوسه يكثر من استعمال أدوات التشبيه فيه ، كقصيدته الطائية التي يروّض فيها القول ، إذ يقول :

[1] = أحمد المالقي – رصف المباني – مصدر سابق – ص382
[2] = محمد ربيع – علوم البلاغة العربية – مصدر سابق – ص50 .
[3] = الديوان : ص188، ص189

كأنما الوحشُ من تَلهاب جمرتهِ مبدّدا تحت أشجار الغضى خبَطُ [1]

وقوله : خبط . خبر للمبتدأ " الوحش " ، أما قوله : " مبدّدا " . فقد أراد أن يجعلها حالا وصاحبها المبتدأ " الوحش " .

ومن مواضع ورود " كأن " العاملة فيما بعدها قول البارودي في الوصف :

كأن اطّراد الموج فوق سَـــراتِهِ نعائمُ في عُـــرض السماوة جُفّلُ [2]

فتركيب البيت السابق جعل الشاعر يبنيه بناء كاملا على جملة " كأنّ " واسمها النكرة " اطّراد المـــوج " ، وخبرها الجملة الاسمية في قوله : " نعائم جفل " . ويشبه هذا البيت في تركيب شطره الأول إلى حد كبير التركيب النحوي لبيت بشار بن برد ، والذي يقول فيه :

كأنّ مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبهْ [3]

وهو ما يدل على تأثر البارودي بالتركيب النحوي القديم ، وسيره خلف ركب الأولين ، واقتفائه أثـــرهم، وهذا التأثر يكثر عند استعماله الألفاظ التي يكثر تداولها في شعر الأقدمين ، من ذلك قوله فـــي وصـــف البحر :

كأنا على أرجوحة كلّما ونَتْ أحالَ عليها قائمٌ ليس يغفُلُ

إلى أن قال :

كأنّ أعالي الموج عِهْنٌ مشعّثٌ به وانحدارَ السَّيح شعر مفلفلُ [4]

فاسم " كأنّ " المنصوب هو الضمير المتصل " نا " في البيت الأول ، و" أعالي الموج " في البيت الثاني ، غير أن الفتحة لم تظهر على آخر كلمة " أعالي " للضرورة الشعرية ، والخبر هو شبه الجملـــة " علـــى أرجوحة " ، و" عهن مشعث " . وجملة : كأن . في البيت السابق اكتملت في الشطر الأول مـــن البيتـــين دون أن تمتد إلى الشطر الثاني . ولا شك أن وجود " كأن " في الشعر يضفي عليه صورة فنية ، فهي أداة تشبيه تدل على حاجة الشاعر إلى إحياء القصيدة بالصور الفنية ، ففي البيت الأول شبه الشاعر ركـــوبهم البحر كركوبهم الأرجوحة التي تتمايل بصاحبها ، فوقع التشبيه في البيت الثاني على قوله : أعالى الموج

---

[1] = الديوان : ص 306، ص307

[2] = الديوان : ص 481. السماوة : صحراء بين الشام والعراق .

[3] = ديوان بشار بن برد – جمعه محمد الطاهر ابن عاشور – وزارة الثقافة الجزائرية – 2007م – ج1/ص335.

[4] = الديوان : ص482 – 483

. حين شبّهه بالصوف المشعث ، وهي صورة تأثر فيها الشاعر بالقرآن الكريم ، في قوله تعالى { وتكون الجبال كالعهن المنفوش }[1] .

وقد يجعل البارودي صورة التشبيه متكررة في البيت الواحد والقصيدة الواحدة ، ليشير إلى مدى اقتراب حالة التشبيه من الواقع المشبه به ، وهذا النمط تجده متوافرا بكثرة في غرض الوصف، كقوله في القصيدة اللامية التي يصف فيها الربيع :

للبُسْر فيها قانئ وناصلُ مخضّب كــأنــه الأنــاملُ
كــأنــه من ذهب قنادلُ من العراجين لها سناســلُ [2]

فقد كرّر " كأنّ " مرتين متتاليتين في قوله : كأنه الأنامل ، كأنه قنادل . فقد شبه البلح بأنامــل الإنــسان المخضّبتين ، ولم يكتفِ بذلك بل أضاف على الصورة الفنية أن جعل هذا البلح يُشبِه المصابيحَ المتوهجة ، وفي هذا التكرار تكثيف للصورة الفنية التي تنقل ذهن المتلقي من مشهد إلى مشهد ، ثم قال :

لها دموع ذرّف هواملُ كأنــها أم بــنــيــن ثــاكــلُ [3]

إلى أن قال :

كــأنــهــا حــوائــمٌ نواهلُ والــطــيــرُ في أفنانِها هوادلُ [4]

فقد نوّع في استعمال " كأن " في مواضع مختلفة من البيت . فقد ذكرها في الشطر الثاني من البيت الأول، ثم عاد ليستعملها في الشطر الأول من البيت الذي يليه .

من الملاحظ على جملة " كأنّ " الاسمية ، أن تركيبها يمتاز بالجزالة والتعقيد ووعورة الألفــاظ المعجمية ، إلى حد يمكن أن يكون التركيب فيه وثيق الصلة بالنصوص الشعرية القديمة ، والدليل علــى ذلك ميل البارودي وتفضيله للتشبيه ، إذ تجد المقطعات الصغيرة لا تخلو من أداة تشبيه، كقوله :

يا رُبّ ليل بتّ أُسقــى بهِ مشمولة صفراءَ كالــورسِ
كأنهــا فــي كأسِها شعلة مقبوسة من كوكب الشمسِ [5]

---

[1] = سورة القارعة ، 5 .

[2] = الديوان : ص 479

[3] = المصدر السابق نفسه .

[4] = الديوان : ص480

[5] = الديوان : ص 288

فقد استعمل البارودي أداتي التشبيه (الكاف) في قوله : كالورس . والورس هو الزعفران [1] ، وقيل : هو صبِغ . وفعله التوريس . والوارس : نبت أصفر إذا أصاب الثوب لوّنه [2]. واستعمل في البيت الثاني الحرفَ الناسخ (كأنها) .

أما " ليت ، ولعلّ " فهما يأتيان على قلة في شعر البارودي ، مع أن لمعنييهما عذوبةً ورقة، تتمثل في التمني والرجاء ، وهما منية كل شاعر ، غير أن " ليت " في شعر البارودي أكثر من " لعلّ " ، ولعل ذلك لكثرة ما يتمنى الشاعر في الدنيا من أمور يصعب تحقيقها ، ومن أمثلة ذلك قول البارودي :

فيا ليتنا كنّا تـرابـا ولـم نكنْ خُلقنا ولم نقدَم إلى الدهر مَقدَما [3]

وكذلك قوله :

ليت بريدَ الحَمام يُخبرني عن أهل ودي فلي بهم شجنُ [4]

فقد غيّرت " ليت " معنى الابتداء إلى التمني [5] ، واستعملها الشاعر في البيتين السابقين استعمالا متقاربا ، بحيث كان تركيب جملة " ليت " في البيت الأول مكونا من اسم ليت الضمير المتصل " نـا " ، والخبر الجملة الفعلية من الفعل الماضي الناقص وجملته الاسمية . أما البيت الثاني فقد كان اسم " ليت " وخبرها هما : " بريد الحمام " . والخبر الجملة الفعلية " يخبرني " .

إن استعمال " ليت " في شعر البارودي قد يسبقها حرف " يا " كما في الأبيات السابقة ، وهذا الحرف يفيد التنبيه لا النداء ، و(قيل : هي للنداء والمنادى محذوف)[6] ؛ ولا يكون نداء لأن من شرط النداء أن يكون المنادى اسما لا فعلا . ومثل ذلك قوله :

قد طالما زجرتُهُ يا ليته كان ارعوَى [7]

وكذلك يجري استعمال " ليت " مجرى التراكيب القديمة ، بحيث يتبعها بقوله : شعري . وهذا التركيب مألوف في الشعر القديم . كقوله :

---

[1] = الزمخشري – أساس البلاغة – تعليق محمد قاسم – ط1 – 2003م – المكتبة العصرية – ص898.
[2] = انظر : الخليل الفراهيدي – كتاب العين – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ص1045.
[3] = الديوان : ص559
[4] = الديوان : ص653
[5] = انظر : أحمد المالقي – رصف المباني – مصدر سابق – ص367.
[6] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج2/ص430.
[7] = الديوان : ص715

ليت شعري أهُمودٌ   ما أراه أم قُنوتُ [1]

فقد جعل اسم " ليت " هو قوله : شعري . وخبرها محذوف لعلم المتلقي به ، وتقديره هو : ليت شعري مفيد أو نافع . وهي عبارة تقليدية في الشعر القديم بدليل قول امرئ القيس :

ألا ليت شعري كيف حادث وصلها   وكيف تُراعي وصلة المتغيّبِ [2]

وقد حذف خبر " ليت " في بيت امرئ القيس ، لأن التركيب كثر على ألسنة الناس ، فحُذِف للعلم به كما حُذف الخبر في قول الشاعر :

* يا ليت أيامَ الصبا رواجعا *

إذ يرى المالقي أنه يحتمل أن يكون " رواجعا " حالا من أيام الصبا ، والأحوال تعمل فيها المعاني التي في الحروف . والصحيح أن خبر " ليت " محذوف للعلم به ، تقديره : " لنا " [3].

أما " لعل " في شعر البارودي فهي أقل النواسخ استعمالا ، وغالبا ما ترد دون أن يصحبها ضمير متصل ، كقوله :

لعلّ هواها أن يعودَ كما بدا   رَخِيّ الحواشي قبل أن يَنْشَبَ الهجْرُ [4]

فقوله : " هواها " اسم " لعلّ " مضاف إلى ضمير الغائبة ، وخبرها هو المصدر المؤول " أن يعود"، وتقديره : عائد . وقد أجرى البارودي تركيب هذا البيت مجرى فعل المقاربة " كاد " ؛ لأنه (لمّا كانت " لعلّ ، وعسى " بمعنى واحد جاز أن يقال : لعلك أن تفعلَ ، كأنه إذا نطق بـ " لعل " نطق بـ " عسى " ، ولو نطق بـ " عسى " لقال : أن أفعل ، فقال ذلك مع " لعل ")[5] .

---

[1] = الديوان : ص95

[2] = ديوان امرئ القيس – محمد أبو الفضل إبراهيم – ط 5 – دار المعارف – ص42.

[3] = انظر : أحمد المالقي – رصف المباني – مصدر سابق – ص366.

[4] = الديوان : ص227

[5] = ابن أبي الربيع – البسيط – مصدر سابق – ج2/ص767.

الفصل الثاني :

الجملة الفعلية في شعر البارودي وبناؤها :

عند الحديث عن الجملة الفعلية تتبادر إلى أذهاننا صورة الفعل والفاعل ، إذ لا يتم بناء الجملة الفعلية إذا فقد أحدهما الآخر ، ولا يقوم الفاعل دون حاجته إلى الحدث الذي يمثل الزمن الذي وقع فيه ، وهو ما يعرف بالفعل ، وكذلك فإنه لا يمكن أن يقوم الفعل دون أن يكون له فاعل قام به ، لذا كان لزاماً أن يستند عنصرا الجملة الفعلية إلى بعضهما بعضا لإتمام المعنى وحصول الفائدة ، فاحتكموا إلى جعل الفاعل عمدة الجملة الفعلية ، فهو (أصل المرفوعات عند الجمهور ، لأنه جزء الجملة الفعلية التي هي أصل الجمل ، ولأن عامله أقوى من عامل المبتدأ)[1].

لاشك أن الفعل يحمل في معناه المعجمي معنى من الحركة والتجدد المقترنين بزمان وقوعهما ، لذا فقد سُمّي الفعل بهذا الاسم ، وما دام كذلك فلا بدَّ أن يكون للفعل بناء خاص محكم، وخصائص ، ومميزات ، ودعائم يرتكز عليها ؛ لينماز عن الاسم والحرف ، وهو أمر – ولا شكّ – تجده في كل لغة ، للحاجة إلى نظام زمني ، أو تركيب يتم فيه بناء الجملة على زمن معين ، وإن اختلفت اللغات في توظيف استخدام الأزمان المتجددة للحدث وصفا واستعمالا ، إلا أنها تقف كلها عند منعطف هام ، وهو ضرورة بناء الجملة الفعلية على زمن معين ، وهو الطابع المميز لها عن سواها من الجمل ، إذ لا يشمل الفعل الزمن فحسب ، بل يشمل الحياة والحركة في الفاعل الذي يقوم به ؛ لأنها تعزى إليه مهمة الحركة والحياة، فهو يمثل الديمومة والاستمرار في وقوع الحدث وصاحبه . فمن أبرز سمات الفعل وخصائصه الحدث والزمن والتجدد والتغير ، وقد اتُّخذت هذه السمات معياراً واضحا للتفريق بين الجملة الاسمية والفعلية ، لأن صفة الجملة الاسمية أن تدل على الثبات والاستقرار [2].

إن شعر البارودي نابض بكل أنواع الحياة وأشكال الحركة ، وإن كان بناؤه تقليديا متكررا – كما سيظهر في هذا الباب – إلا أن حركة الفعل شاعت في كافة أجزاء شعره ، في القصيدة وحتى في البيت الواحد . لأن بناء الجملة الفعلية في شعر البارودي وتركيبها يخدم غرض الشاعر لكونه يريد أن يُنشئ في البيت الواحد صورا وحياة متغيرة ، فكثيرا ما تجده في القصيدة الواحدة يبني الأفعال فيها بناء متكررا يجعل منها صورا شتى ، وقليلا ما يبعثر الأفعال في القصيدة الواحدة ، وأقل منه أن يخفيها حتى تظهر

---

[1] = نور الدين عبد الرحمن الجامي – شرح كافية ابن الحاجب – تحقيق أسامة طه الرفاعي – دار الآفاق العربية – ط1 – القاهرة – 1423هـ / 2003 م – ج1/ص253.

[2] = انظر : حفيظة أرسلان – الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيبا ودلالة – ط1 – 2004م – إربد – عالم الكتب الحديث – ص 118.

القصيدة الواحدة خالية من فعل واحد ، ومن صور تعاقب عامل الزمن وتتابعه في شعر البـــارودي قـــول البارودي :

كيف لا أندُبُ الشبابَ وقدْ أصبـــ ـــحـــتُ كهلا في محنةٍ واغــترابِ
أخلقَ الشـــيبُ جِدّتـــي وكساني خِــلْعة مــنـــه رَثَّـــةَ الجِــلــبـــابِ
ولوى شعرَ حاجبيّ على عـيـــ ـــنيّ حتـــــى أطـــلّ كالـــــهُــــدّابِ
لا أرى الشيءَ حين يسنَـــحُ إلا كـــخــــيــــــالٍ كــأنـــني في ضبابِ
وإذا مـــا دُعِــيتُ حِــرتُ كأني أسمعُ الصـــوتَ مـــن وراء حجـــابِ
كلّما رُمْتُ نهضةً أقعــدتْــني وَنْــيَةٌ لا تُــقِلّها أعــصـــــابـــــي
لم تـــدعْ صولةُ الحوادث منّـــي غيــــرَ أشــــــلاءِ هِــمةٍ في ثِيـــابِ
فجَعــتْــنـــي بوالديّ وأهــلي ثـــمّ أنحـــت تكُـــرّ فـــي أتـــرابـــي
كـــلَّ يـــوم يـــزولُ عني حبيبٌ يا لِقلبي مِن فـــرقـــة الأحبـــــــابِ [1]

إن المتمعن في أبيات هذه القصيدة يجد أن كل بيت من أبياتها لا يخلو من فعل واحـــد ، وهـــذه الأبيات هي من قصيدة واحدة للبارودي يتشوق فيها إلى مصر ويرثي بها أهله وصـــديقيه ، ولا شـــك أن عامل الزمن في هذه القصيدة مرتبط بغرضي الرثاء والشوق ، فتجد الصورة متتابعة . ففـــي الأبيـــات السابقة تسعة عشر فعلا ماضيا ومضارعا في تسعة أبيات ، منها أحد عشر فعلا ماضيا ، اتـــصلت كـــل الأفعال الماضية بضمائر الرفع ما عدا اثنين وهما : أخلق . الذي لم يتصل فيه ضمير ، والفعل " كساني " فقد اتصل فيه ضمير النصب ، بالإضافة إلى استعماله الفعل المبني للمجهول " دُعِيت " . وكـــذلك فـــإن الأفعال المضارعة أقل عددا من الأفعال الماضية في الأبيات السابقة ، فهي ثمانية أفعال ، منها فعل واحد دلّ على صيغة الماضي ، لوجود أداة قلب الزمن المضارع " لم " ، وهو قوله : " لم تدع " . وكـــل تلـــك الأفعال المضارعة لم تتصل بها الضمائر ما عدا فعلا واحدا وهو " تقلها " فقد اتصل فيه ضمير النصب . ولا شك أن الرثاء هو مدح الميت ، والموت هو نهاية الزمن الحاضر والمستقبل عند من يحبهم ، وهو ما دعاه إلى الإكثار من الأفعال الماضية ، إذ يكمل القصيدة نفسها فيقول :

مضيا غيـــرَ ذُكْرةٍ وبقاءُ الذكـــ ـــــرِ فـــخرٌ يدوم للأعقابِ
لمْ أجدْ منهما بديلا لنفســـــي غيرَ حُزني عليهما واكتئابي
قـــدْ لعمري عرفت دهري فأنكر تُ أمورا ما كُنّ لي في حِسابِ
وتجنّبت صُحْبَة الـــناسِ حـــتى كان عونا على التّقاة اجتنابي
لا أبـــــالي بما يـــقالُ وإن كنـــ ـــتُ مـــليئاً بردّ كلّ جـــوابِ [2]

---

[1] = الديوان : ص68 .

[2] = الديوان : ص 68، ص 69

قد كفاني بُعدي عــن الناس أنّي في أمانٍ من غِـيبة المغتــابِ
فليقلْ حاسِــدي علــيّ كــما شا ءَ فسمعي عن الخنا في احتجابِ
ليس يخفى عليَّ شيءٌ ولــكــنْ أتغابى والحزمُ إلْــفُ التغــابي
وكفى بالمشيبِ وهْو أخو الحــز مِ دليلا إلى طــريــقِ الصوابِ
إنما المرءُ صورةٌ سوفَ تبلــى وانتهاء العُمْران بَــدْءُ الخَرابِ [1]

ففي الأبيات العشرة السابقة نلاحظ أن للفعل الماضي نصيبا وافرا منها ، فقد كانت تــضم أحــد عشر فعلا ماضيا ، اتصل ستة أفعال منها بضمير الرفع ، ما عدا ثلاثة أفعال ، وهي : كــان ، وشــاء ، وكفى . وفعل واحد اتصل بضمير النصب وهو : كفاني . أما الأفعال المضارعة فهي أقــلّ مــن عــدد الأفعال الماضية في الأبيات العشرة السابقة بفعلين اثنين ، وقد ورد فيها فعل دلّ بصيغته علــى الــزمن الماضي وهو: " لم أجد " . وفعل واحد دلّ بصيغته على الأمر في قوله : فليقل . لاتصاله بــلام الأمــر الجازمة ، وفعل واحد دل على الاستقبال في قوله : سوف تبلى . بالإضافة إلى أن كــل تلــك الأفعــال المضارعة لم يتصل بها أي ضمير .

إن دلالة الزمان في الأفعال كلها وردت في القصيدة متعاقبة ، غير أن (أسبق الأفعال في التقدم الفعل المستقبل ؛ لأن الشيء لم يكن ثم كان ، والعدَم سابق للوجود ، فهو في التقدم منتظر ، ثم يصير في الحال ماضيا ، فيخبر عنه بالمضيّ . فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ، ثم فعل الحال ، ثم الماضــي)[2]. ولعل البارودي أراد أن يبني القصيدة كلها على عامل الزمن ، لتدل على التغير والتطور من حيــث زمن الماضي ، فأكثرَ من استعماله على حساب الفعل المضارع وفعل الأمر .

يكثر البارودي من التنويع في الأزمنة التي ينقل أحداثها أو يعبر عنها ، وهذا التنويع هــو فــي طبيعة الحال دمج بين الأفعال ، لأن كل فعل يضع المتلقي في زمنه ، فإذا اختلفت الأزمان باختلاف أنواع الأفعال اختلفت معها الصور الزمانية وتنوعت ، لتشكل لوحة تجمع كل الألوان ، وهو أمر يحيل المتلقــي إلى الخوض والتأمل في العمل الأدبي ، من ذلك قوله في مطلع قصيدة دالية :

ترحّل من وادي الأراكةِ بالوْجدِ فبات سقيما لا يُعيــدُ ولا يُبــْدي
سقيــما تظــلُّ العائــداتُ حوانيا عليه بإشفاقٍ وإن كــان لا يُجدي
يخَــلــنَ بـــه مسّا أصاب فؤادَه وليس به مسٌّ سوى حُرَقِ الوَجْدِ
به علّةٌ إن لــــم تُصبْها سلامةٌ من اللهِ كادت نفسَ حاملِها تُردي [3]

---

[1] = الديوان : ص 68، ص 69

[2] = أبو القاسم الزجاجي – الإيضاح في علل النحو – تحقيق مازن المبارك – دار النفائس – ط3– 1979م – بيروت – ص85 .

[3] = الديوان – ص163

ففي الأبيات السابقة نجد الفعلين الماضيين : ترحّل ، وبات . قابلهما الفعلان المضارعان : يعيد ، ويبدي . وفي البيت الثاني الفعل المضارع الناقص : تظل . تبعه الفعل الماضي الناقص : كان . والمضارع: يجدي . وفي البيت الثالث الفعل المضارع : يخلن . تبعه الماضي : أصاب . وفي الرابع وقع الفعل المضارع : تصبها . في الشطر الأول . والفعل الماضي : كادت. في الشطر الثاني ، ثم أنهى البيت بالفعل المضارع : تردي ، الذي قدّم عليه المفعول به (نفس حاملها) . ولا شك أن غرض القصيدة ، وهو الحنين والتشوق إلى الديار ، هو ما نوّع من عامل الزمن فيها ، فالشاعر أراد من التنويع في عامل الزمن أن يشير إلى مدى حنينه وشوقه إلى أن يعود إلى ذاك الزمن الماضي ، وهو يعيش حاضره المؤلم في منفاه ، ولو أمعنت إلى دلالات الأفعال المضارعة التي اختارها الشاعر لوجدتها مليئة بالتوجع والتشكي ؛ لأنه لم يرغب في أن ينوع في الأزمان المتعاقبة بقدر رغبته في التركيز على الدلالة التي تحملها الأزمان ، ومصدر كل فعل منها ، وعلة كونه ماضيا أو مضارعا . ومثله أيضا قوله في القصيدة الدالية نفسها :

إذا ذكرتها النفسُ سالتْ مِن الأسى ... مع الدمعِ حتى لا تُنَهنَه بالردِّ
فيا منزلا رَقْرَقْتُ ماءَ شبيبتي ... بأفنائهِ بينَ الأراكةِ والرَّنْدِ
سَرَتْ سحَرا فاستقبلَتْكَ يدُ الصَّبا ... بأنفاسِها وانشقّ فجرُكَ بالحمْدِ [1]

وهي قصيدة طويلة مليئة بالأفعال والصور ، إذ يكملها الشاعر إلى أن يقول :

فلو قلتِ قمْ فاصعدْ إلى رأسِ شاهِقٍ ... وألقِ إذا أشرفتَ نفسَكَ للوَهْدِ [2]
لألقيتُها طوعا لعلكِ بعدَها ... تقولينَ حيّا اللهُ عهدَكَ مِنْ عَهْدِ [3]

ففي الأبيات السابقة ارتباط وثيق ، يظهر واضحا بين الأفعال اللازمة والمتعدية ، من حيث نجد أنهما يتشاركان معا في تأدية المعنى الذي قصده الشاعر ، فقوله في الجملة الشرطية : إذا ذكرتها النفس سالت . جعل الفعل الماضي " ذكرتها النفس " متعديا إلى المفعول وهو الضمير المتصل به. أما الفعل الماضي اللازم فهو " سالت " وفاعله ضمير مستتر تقديره " هي " ، وإن كانت الغلبة للأفعال اللازمة ، فهي في الأبيات الخمسة السابقة سبعة أفعال ، والأفعال المتعدية خمسة، وقوله في موضع آخر :

سحَرَ العقولَ بيانُهُ فكأنّما ... يَسقي الجليسَ سلافةَ العُنْقودِ [4]

---

[1] = الديوان – ص165
[2] = الوهد : الأرض المنخفضة .
[3] = الديوان – ص166
[4] = الديوان – ص184

إن الزمن في الجملة الفعلية يتجدد ويتطور حسب نــوع الفعــل ؛ لأن (الفعــل علــى الحقيقــة ضربان... ماض ومستقبل ؛ فالمستقبل ، ما لم يقع بعد ، ولا أتى عليه زمان ، ولا خرج من العدم إلــى الوجود . والفعل الماضي ما تقضّى ، وأتى عليه زمانان لا أقل من ذلك ؛ زمان وجد فيه ، وزمان خُبّر فيه عنه ، فأما فعل الحال فهو المتكون في حال خطاب المتكلم ، لم يخرج إلى حيّز المضيّ والانقطــاع ، ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأت وقته ، فهو المتكون في الوقت الماضي وأول الوقــت المــستقبل ، ففعل الحال في الحقيقة مستقبل)[1]. فالماضي مقترن في بنائه على زمن حدوث شيء ما وقــع وانتهــى ، والفعل المضارع هو أكثر الأفعال تجددا وتقلبا ؛ لأنه ربما دلّ على الماضي كأن تقول : لم أفعل . فيصير التركيب مساويا لقولك : ما فعلت. في المعنى فحسب ، وربما دل في زمنه على المستقبل بأن يسبقه " لن" في حالة النفي ، وفي حالة الإثبات كالسين وسوف ، وقد يدل بناء الفعل المضارع على دلالة متجددة فــي زمن وقوعها ، وذلك لكون الفعل المضارع أكثر الأفعال مرونة ، من حيث دخول حــروف المــضارعة عليه، وتقدم الحروف الناصبة التي تعمل في الأفعال دون الأسماء ، وهي : أن ، وكي ، ولن ، والحروف التي تضمر فيها " أن " ، وهي : (اللام التي في قولك : جئتك لتفعل . وحتى ، وذلك قولك : حتى تفعل ذاك . فإنما انتصب هذا بــ " أنْ " ، و " أنْ " ههنا مضمرة ، ولو لم تضمرها لكان الكلام محــالا ؛ لأن "اللام ، وحتى " إنما يعملان في الأسماء فيجران ، وليستا من الحروف التي تضاف إلى الأفعال)[2] . ومن أمثلة ذلك في شعر البارودي قوله :

عاتبتُه لا لأمر فيه مَعْتبةٌ   عليه لكنْ لأرعى وردةَ الخجلِ [3]

فقد نصب الفعل المضارع المعتل الآخر " أرعى " بــ " أن " المضمرة بعد الــلام ، والفعــل المــضارع منصوب بها ، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة منع من ظهورها التعذر .

لعل الغرض المهم من كل تلك الأبيات السابقة وغيرها في ديوان البارودي هو ما جعلــه يبنــي أغلب الأفعال في الجملة الفعلية على الفعل المتعدي ، ويظهر في الأبيات السابقة تصدرَ الأفعال ، وبنــاءَ الجملة الفعلية على حساب الجملة الاسمية الغائبة في كثير من المواضع السابقة . ويبدو الــسمت الغالــب فيها هو بناء الأفعال على الزمن الماضي والمضارع . وكذا فلعل البارودي قــد فــضّل أن يكــون بنــاء القصيدة بناء متجددا يتمثل في عنصر الحركة المستمرة بين الزمنين الماضي والمضارع ، لذا فإن أفعــال الأمر أقل حظا من غيرها من الأفعال وذلك إذا ما قورنت بالفعلين الماضي والمضارع ، فغالبا ما يكــون فعل الأمر مبنيا بعضه على بعض في شعر البارودي . كما سيظهر معنا في المباحث المتقدمة .

---

[1] = الزجاجي – الإيضاح – ط3 – مصدر سابق – ص86 ، ص87 .

[2] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج3/ص5، ص6

[3] = الديوان – ص495

لا شك أن دلالة الفعل المضارع ليست مقتصرة على الاستمرار والتجدد فحسب ، بل تحتمل معاني أخرى ، فالفعل المضارع هو الفعل الذي يمكنه أن يدل بمعناه على المضي والحال والاستقبال من جهة ، وعلى الأمر والنهي من جهة أخرى ، وذلك يتأتى له من اتصال الأدوات به ، بحيث يدل على المضي إذا سبقتْ الفعلَ المضارع إحدى الأداتين الجازمتين والنافيتين ، وهما : (لم ، ولما) ، لأن من معاني " لم " أنها أداة قلب ، أي تقلب الزمن من الحال إلى الماضي ، وينتقل إلى زمن الاستقبال في حالة الإثبات والنفي ، ففي حالة الإثبات من اتصاله بالسين وسوف ، وفي حالة النفي للمستقبل من لحاقه بـ" لن " النافية . ويكون المضارع دالا على الاستقبال إذا سبقته لام الأمر والتي تجعله في المعنى والإعراب نظير فعل الأمر ، وإذا سبقته " لا " الناهية دلّ المضارع على النهي .

لا يخلو استعمال " لم " في شعر ولا في نثر ، وقد استعملها البارودي كغيره من الشعراء، وإن كانت تظهر في شعره متتابعة في كثير من الأحيان ، كقوله :

وجاوزَ في بعض الأمورِ حدَّهُ　　　فلم أحاولْ رَدْعَه وردَّهُ
ولم أكدِّرْ بالعتابِ وِرْدَهُ　　　ولو أردتُ أن أَفُلَّ حَدَّهُ [1]

فقد أورد استعمال " لم " الجازمة مرتين ، في قوله : لم أحاول ، ولم أكدر . وقد جاء ورودهما على استمرارية حدث ماض . ومن الصيغ التي تدل على الفعل الماضي ورود الفعل المضارع مسبوقا بـ " لم" النافية والجازمة ، والتي إذا اتصلت بالفعل المضارع دلّ على حدث كان وانتهى ، ومن أمثلة ذلك في شعر البارودي نماذج لا حصر لها ، كقوله :

صَبَرتُ على رَيْبِ هذا الزمانِ　　　ولولا المعاذرُ لمْ أصبرِ
فلا تحسبنّي جَهِلتُ الصوابَ　　　ولكنْ هَمَمْتُ فلم أقدرِ [2]

فعجز كلا البيتين مجزوم بـ " لم " ، وفاعلهما ضمير مستتر تقديره " أنا " ، وقوله : " لم أصبر ، ولم أقدر" هو بمنزلة قولك : ما صبرت ، وما قدرت ، لدلالة " لم " على المضيّ .
تلزم " قد " الفعلين الماضي والمضارع وتختص بهما ، فتكون مع الماضي حرف تحقيق، وتكون مع المضارع حرف توقّع تارة ، وهو الكثير فيها كقولك : قد يقوم زيد . وقد تكون للتحقيق معه ، وهو قليل ، والإخبار في جميع ذلك لا يخالفها فهو الخاص بها الذي تبقى به [3] ، ومن الأمثلة على ذلك في شعر البارودي قوله :

قد يظفرُ الفاتِكُ الألوى بحاجتهِ　　　وليس يُدركها الهيّابةُ الخَلِطُ [4]

---

[1] = الديوان – ص175
[2] = الديوان : ص 252
[3] = انظر : أحمد المالقي – رصف المباني– مصدر سابق – ص455 ، ص456.
[4] = الديوان – ص307

ومن أمثلة دخول " قد " أيضا على الفعل الماضي قول البارودي :

لقد فجعـتنا أمُّ دَفْـرٍ ومـا دَرتْ بأروعَ من نسل النبيِّ هِجانِ [1]

أما مواضع حرفي التنفيس " السين ، وسوف " فمحصورة في شعر البارودي ، ولعل ذلك يعود إلى أنهما يدلان على التقريرية والحتمية ، وأن الفعل فيهما واقع لا محالة ، وإن تأخر إلى حين [2] ، من ذلك قول البارودي :

فسوف يبين الحقُّ يوما لناظـر وتنزو بعوراءِ الحُقودِ السرائرُ [3]

والشاهد قوله : سوف يبين . وغالب ذكر " سوف " عند البارودي لا يكون إلا للكلام على القضايا العامة ، أو الحِكم التي تجري مجرى الأمثال ، كقوله أيضا :

إن الحياة لثوبٌ سوف تخلعـهُ وكلّ ثوبٍ إذا مـا رَثَّ ينخلـعُ [4]

فقوله : إن الحياة لثوب سوف تخلعه . جعل الجملة الفعلية " سوف تخلعه " في محل رفع صـفة لخبـر "إن"، وأراد من بنائه على هذه الصيغة أن يدل على الحتمية والتقريرية ، إذ يقول أيضا :

سوف يلقى كلُّ امرئ ما جناهُ وإلـى الله تُـرجَـعُ الأحـكـامُ [5]

فقوله : سوف يلقى . حتمية لا مفر منها ، وهي حقيقة لا ينكرها عاقل ، وهـي الحـساب . وقـد أراد البارودي أن يجعل الجملة الفعلية في صدر البيت ليلفت الأسماع إليها .

أما دلالة الفعل المضارع على معنى الأمر ، فتتمثل في دخول لام الأمر عليه ، وقد أفرد سيبويه بابا سماه : " بـاب الأمـر والنهي " ، وقد جعـل فيه صيغتـي الأمـر " افعل ، وليفعـل " تتعلقـان بمعنى الأمر ، والأمر والنهي لا يقعان إلا بالفعل ، مظهرا أو مضمرا [6] ، كقول البارودي :

لتهنَ بكَ الدنيا فأنتَ جَمالُها فلولاكَ أمسى جيدُها وهْو عاطِلُ [7]

---

[1] = الديوان – ص 670 . الهجان من كل شيء : خياره وخالصه .

[2] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1/ص159

[3] = الديوان – ص243

[4] = الديوان – ص339

[5] = الديوان – ص622

[6] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ ص137.

[7] = الديوان – ص462

فصيغة الأمر في البيت السابق تتمثل في دخول لام الأمر على الفعل المضارع المجزوم بها ، وإن لم تعمل اللام في الفعل المضارع " تهون " جزما لظُن أنه منصوب بـــ " أنْ " المضمرة . ومثل ذلك قوله :

فليشغَبِ الدهر أو تسكنْ نوافرُهُ   فلست منه على ما فات أحتزنُ [1]

يستعمل البارودي فعل الأمر ، إلا إذا اضطر إليه كأن يكون الكلام في معــرض الحكمـــة أو المـــديح أو الغزل، ويكون بذلك بناؤها مكثفا ومتكررا في بيت أو أكثر ، كقوله في الغزل :

فانعَمْ وطِبْ والْهُ واطربْ واسعَ واعْلُ وسُدْ
واشربْ وغنِّ وتِهْ والعبْ وهِمْ وطِرِ [2]

فقد عجّ البيت السابق بجملة من أفعال الأمر بلغت ثلاثة عشر فعلا ، سبعة منها في الشطر الأول والبقيـــة في الثاني ، فقد بنى البيت السابق كله على تكرار فعل الأمر . وفاعل أفعال الأمر السابقة كلها عائد وجوبا على الضمير المستتر " أنت " ، ومثل ذلك أيضا قوله :

فاسعدْ ودُم واغنمْ وجُدْ وانعمْ وسُدْ   وابدأ وعُدْ وتهنَّ واسلمْ وازددِ [3]

وتركيب الأبيات السابقة يشبه تماما تركيب البيت الذي قاله المتنبي في حضرة الخليفة سيف الدولة :

أقلْ أنلْ أقطِعْ احملْ علِّ سلِّ أعدْ   زدْ هشِّ بشِّ تفضّلْ أدنِ سرَّ صِلِ

فلما رآهم يعدّون ألفاظه ويستكثرون الحروف قال :

عشِ ، ابقَ ، اسمُ ، سُدْ ، قُدْ ، جُدْ ، مُر ، انهَ ، رِ ، فـِ ، اسرِ ، نِلِ
عِظِ ، ارمِ ، صِبِ ، احمِ ، اغزُ ، اسبِ رُع ، زَغْ ، دِلِ ، اثنِ ، نلْ [4]

فقد جعل المتنبي البيتين السابقين مكونين من أفعال الأمر وحدها ، دون أن يضيف عليها أو يغيّــر مـــن بنائها، ولا شك أن كثرة الأفعال تعود إلى أن حروفها في الغالب حروف علة إما وسط الكلمة أو آخرَها .

[1] = الديوان – ص640
[2] = الديوان – ص246
[3] = الديوان – ص122.
[4] = انظر : ديوان المتنبي – مصدر سابق – ج3/ص89.

المبحث الأول : أجزاء الجملة الفعلية :

تتكون الجملة الفعلية من عنصرين أساسيين لا بديل عنهما ، وهما : الفعل والفاعل . وربما احتاج الفعل إلى مفعول به ، ويكون بذلك فعلا متعديا . وسيأتي الكلام عليه في الفصول المتقدمة . أما أقسام الفعل فهي كما أجمع عليها النحاة ثلاثة أقسام : الفعل الماضي ، والفعل المضارع ، وفعل الأمر .

يتميز الفعل الماضي بدخول (التاء) على آخره ، والمراد بالتاء تاء الفاعل المتحركة ، وتاء التأنيث الساكنة ، وكل منهما لا يدخل إلا على ماضي اللفظ [1] . أما الفعل المضارع فيتميز بدخول أداة الجزم " لم " عليه ، ولا بدّ أن يكون أوله حرفا من حروف المضارعة المجموعة في قولك : " نأيت " ، وهي النون والألف والياء والتاء . وعلامة فعل الأمر المميزة له عن غيره من الأفعال مركبة من مجموع شيئين ، وهما دلالته على الطلب وقبوله ياء المخاطبة [2] .

إن ورود الفعل الماضي في شعر البارودي أكثر من غيره من الأفعال ، بدليل ما سنورده من نماذج للبارودي . والفعل الماضي مقترن بدلالات مختلفة ، منها أن يرد بمعناه وصيغته ، وهذا كثير في شعر البارودي ؛ لأن الزمن الماضي بدلالته ومعناه هو الذي عاشه الشاعر ، وخاصة ما تعلق فيه بتجربة شخصية مرّ بها الشاعر ، ومن ثَمَّ أطلق حكمه ورأيه عليها ، من ذلك قوله يرثي ولده :

كيف طوتكَ المنونُ يا ولدي وكيفَ أوْدعتُكَ الثّرى بيدي [3]

فالفعلان الماضيان " طوتك ، وأودعتك " جريَا على التركيب نفسه والدلالة نفسها ، إلا أن الشاعر جعل الفاعل في الشطر الأول اسما ظاهرا في قوله : " المنون " . كأنه يقصد من ذلك أن يجعله في حكم ما قدّر ولم يكن للشاعر فيه يد ، وجعل فاعل الفعل الثاني ضميرا متصلا يعود على الشاعر نفسه ، وكأنه يلوم نفسه على دفنه لولده ، ويدل على ذلك قوله : بيدي . ومثله أيضا قوله يجري حوارا :

شكوتُ لها ضَنى جسدي فقالتْ : بطَرْفي ما بجسمكَ من سَقامِ
فقلتُ : عِدي بوصلٍ منكِ صبّا بَرَتْهُ يدُ الصَّبابةِ والغرامِ
فقالت : سوفَ تلقاني قريبا فقلتُ : متى فقالتْ في المنامِ [4]

---

[1] = انظر : شرح ابن عقيل – ج1/ ص29.
[2] = انظر : شرح قطر الندى – مصدر سابق – ص 33، ص 34
[3] = الديوان : ص 160
[4] = الديوان : ص 569

فطرفا الحوار هما الشاعر ومحبوبته ، وزمن هذا الحوار وقع في الماضي ، فالأفعال كلها وردت بصيغة الماضي ، ما عدا فعلا واحدا دلّ على الاستقبال ، وهو قوله : سوف تلقاني . وقد اختار الشاعر الزمن الماضي الذي وقع فيه ، ليوحي للمتلقي أنه يمنّي نفسه برؤيتها في المنام . ويقول في ثلاثة أبيات يستعمل فيها الفعل الماضي عشرين مرة في قوله :

حتى إذا علِمت ما حلّ بي ورأتْ سُقمي وخافتْ على نفسي بها افتضحتْ
حنَّتْ رثتْ عطفتْ مالتْ صبَتْ عزَمَتْ همّتْ سرَتْ وصَلَتْ عادتْ دنتْ منحتْ
فبتُّ مِن وصلها في نعمةٍ عَظُمتْ ما شئتُ أو جَنّةٍ أبوابُها فُتحتْ [1]

ففي البيت الأول خمسة أفعال ماضية ، اتصلت في أربعة منها تاء التأنيث التي لا محل لها من الإعراب ، وفي الثاني أحد عشر فعلا اتصلت فيها كلها تاء التأنيث ، وفي الثالث أربعة أفعال اتصلت فيها كذلك تاء التأنيث ، ولا شك أن في الأبيات السابقة مبالغة في استعمال الأفعال تفرضها طبيعة الغزل الذي اختاره الشاعر ، إذ لا يمكن لأحد أن يجمع كل هذه الأفعال ملتزما اتصال تاء التأنيث فيها دون أن يتكلف هذا الجمع . وربما استعمل الفعل الماضي ليدل على الدعاء ، كقوله :

فيا قاتلَ اللهُ الهوى ما أشدّهُ على المرءِ إذ يخلو به فيُغيرُ [2]

فقوله : يا قاتل الله . دعاء بالهلاك على صيغة الفعل الماضي ، فتركيب جملة الفعل الماضي في البيت لم تدل البتة على المضي ، بالرغم من كونه استعمل الفعل الماضي . ويقول مستعملا الماضي في الدعاء على مثل ما استعمل التركيب السابق :

يا سامحَ اللهُ عيونَ المها فهنَّ عونُ الدهر في حربِهِ [3]

فقوله : يا سامح الله عيون المها . دعاء بالمسامحة ، وربما جعل البارودي يُغير في صيغة الفعل الماضي لتكون اسما لفعل ماض في المبنى ، غير أنها تدل على الزمن الماضي في المعنى ، كقوله :

هيهاتَ بعدَكَ أنْ تقَرَّ جَوانحِي أسفاً لبُعدِكَ أو يَلينَ مِهادي [4]

---

[1] = الديوان : ص 110
[2] = الديوان : ص 209
[3] = الديوان : ص 78
[4] = الديوان : ص 155

فــ " هيهات " اسم فعل ماض بمعنى بعُدَ [1]، وفاعله هو المصدر المؤول " أن تقــرّ جوانحي " . ويقول أيضا :

هيهات ولّى الشباب واقتربتْ ساعة وِرد دنا بها القرَبُ [2]

أما فاعل " هيهات " في البيت السابق فهو ضمير مستتر تقديره " هو " يعود على الــشباب ؛ لأن تقــدير الكلام : بعُد الشبابُ .

تعدي الفعل ولزومه :

يقسم الفعل من حيث العمل إلى قسمين :

أولا : الفعل اللازم .

ثانيا : الفعل المتعدي .

أما الفعل اللازم فهو ما اقتصر في تركيبه على من قام بالفعل ، دون أن يتعدى إلى ما وقع عليه الفعل ، بمعنى أن الجملة الفعلية يتكون تركيبها من (فعل + فاعل) ، بحيث يلزم الفعل فاعله ولا يتعــداه إلى مفعول به ، نحو : (قام زيد) . ويلزم الفعل فاعله إذا كان مما يندرج تحت إطار العادات والطبــائع والغرائز والسجايا [3] ، لأن تعديَ الفعل لا يكون إلا لاعتبارات دلالية لا يمكن أن يتجاوزها الفعــل ، لأن التلاحم بين النحو وبين علم الدلالة في هذه الحال يكون وثيقا ، فلا يمكن للفعل أن يتعدى الفاعل مــا دام معناه مكتملا ، لانعدام حاجته إلى ما يقع عليه . والفعل اللازم في شعر البارودي يقتصر على ما هو في باب الطبائع والأخلاق ، بمعنى آخر يكثر استعماله في أغراض الحكمة أو المدح أو الهجاء أو الغــزل ، ولا يعني ذلك أن الفعل المتعدي ليس له استعمال في الأغراض السابقة . كقوله في الحكمة :

إن ابــن آدم ذو طبائع أربع جموعة الأجزاء في أخلاقهِ
تبدو فواعلها عــلى حركاته ي بطشه وسكونه ونــزِاقِهِ
فــإذا تغلّب واحد منها على قرانه أدّى إلـــى إقـــلاقـــهِ
بينـــا تـــراه كالزلال لطافة لفيته كالنـــار في إحـــراقهِ
أو كالتراب يهيل من عَقَداته أو كـــالهواء يجول في آفاقهِ
فإذا تعادل جمعها وتوازنت حـــركاتها كانت دليل وِفاقهِ
والمرء مهما كان في أفعاله لا ينتـــهـــي إلا إلى أعراقهِ [4]

---

[1] = انظر : ابن أبي الربيع الإشبيلي – البسيط – مصدر سابق – ج1/ص167.

[2] = الديوان : ص 88

[3] = انظر : مصطفى الغلاييني – جامع الدروس العربية – ضبطه عبد المنعم إبراهيم – ط1 – 2000م – دار الكتب العلمية – بيروت – ج1/ص34.

[4] = الديوان : ص 379– ص380

فقد بنى البارودي المقطوعة السابقة من سبعة أبيات ، وجعل فيها بناء الجملة الفعلية في عشرة مواضع ، موضعان لفعلين متعديين وثمانية لأفعال لازمة ، وبالرغم من تداخل الجمل الاسمية بالفعلية في الأبيات السابقة إلا أن صورة الفعل اللازم غالبة على غيرها .

استخدم البارودي الأفعال اللازمة في القصائد القصيرة ، فتجده يبني الفعل اللازم في البيت الواحد حتى يشمل أفعالا لازمة متعددة ، وذلك لكونها لا تستوعب الإطالة في التركيب ، لاقتصارها على عنصرين أساسيين ، وربما يجعل فاعله ضميرا مستترا ، فيكون الفعل اللازم وحده في البيت ، كقوله :

قدْ كان لي قلبٌ أصاب سوادَهُ   سهمٌ لطَـرْفٍ فـاتـرٍ فتفتّتا
تبِعَ الهوى قلبي فهامَ وليتهُ   قبلَ التوغّلِ فـي البـلاءِ تثبّتا
ألقتْهُ في شَرَكِ المحبّة غادةٌ   هيهاتَ ليس بصاحبي إن أفلتا [1]

فتجد الأفعال الماضية في أواخر الأبيات السابقة (تفتّت ، تثبّت ، أفلت) أفعال لازمة ، استتر فاعلها ، وقد تعمّد الشاعر تأخير الفعل اللازم في الأبيات الثلاثة لمجاراة الوزن والقافية ، وهذا النمط من التركيب مألوف في الشعر العامودي القديم ، من ذلك أيضا قوله في الغزل :

غلبَ الوجدُ علـيـه فبكى   وتولى الصبـرُعـنهُ فشكا
وتمنى نـظـرةً يشفي بها   علّةَ الشوقِ فكانت مَهْلَكا
يا لها من نظرةٍ ما قاربتْ   مَهبطَ الحكـمةِ حتى انتَهَكا
نـظـرةٌ ضمَّ عليها هُدْبه   ثمَّ أغراها فكانت شـركـا
غرستْ في القلب منّي حبّه   وسقتْهُ أدمعي حتّى زَكا
آهِ من بَرْحِ الهـوى إنّ له   بـيـن جنبيَّ من النار ذَكا
كان أبقى الوجدُ مني رَمَقا   فاحتوى البين على ما تركا
إن طرفي غرّ قلبي فمضى   في سبيل الشوق حتى هلكا
قد تولى إثرَ غِزلانِ النَّقا   ليت شعري أيَّ واد سلكـا
لم يعُدْ بعدُ وظـنّي أنّـه   لجّ في نيل المُنى فارتبكـا
ويحَ قلبي مِن غريمٍ ماطلٍ   كلّما جدّد وعدا أفَـكَـا
ظنّ بي سوءا وقد ساومتُهُ   قُـبلةً فـازورّ حتى فرِكا
فاغتفرْها زلَةً من خاطئٍ   لم يكنْ بالله يوما أشركـا [2]

---

[1] = الديوان : ص 94

[2] = الديوان : ص392 ، ص393

إن القصيدة السابقة مثال يدل على ما ذكرنا من استعمال الأفعال اللازمة أواخر الأبيات للحاجة إلى الوزن والقافية ، فالمتمعن للأبيات السابقة يجد أنها قد ضمت أحد عشر بيتا ، ختم فيها سبعة أبيات بأفعال لازمة استتر فاعلها على ضمير الغائب " هو " ، وقد جاءت مرتبة على النحو الآتي : (شكا ، ترك، سلك ، ارتبك ، أفك ، فرك ، أشرك) وهي كلها أفعال ماضية ، والتزم في الأبيات السابقة بنصب ثلاثة أسماء وهي : (مهلكا ، شرَكا ، ذكا) . وأبقى فعلا ماضيا واحدا مبنيا للمجهول في قوله عجز البيت الثالث : حتى انتهكا . ونائب فاعله ضمير مستتر تقديره " هو " . غير أن ذلك لا يعني أن البارودي لم يفد كثيرا من الفاعل الضمير المستتر في مواضع أخرى من البيت ، من ذلك قوله :

مرّتْ علينا تهادى في صواحبِها كالبدرِ في هالةٍ حفّتْ به الشُهُبُ [1]

فلو ذكر الفاعلين لكل من الأفعال الماضية " مرت ، تهادى ، حفت " لأطال في البيت بما لا يفيد ، فالفاعل مقدر في الأذهان ، ولا حاجة إلى ذكره ، وفاعل تلك الأفعال هو ضمير مستتر ، تقديره " هي " . ولا شك أن تقدير الفاعل في البيت أسهل من ذكره .

وسواء كان الفعل لازما أم متعديا لزمه الفاعل أو ما ينوب عنه ، لأنه يكون في حكم الحدث الذي لم يكتمل . ويلزم الفاعل الرفع في كل الأحوال (لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب . فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر ، إذا قلت : قام زيد . فهو بمنزلة قولك : القائم زيد)[2] ، ويكون الفاعل على هذه الحال اسما ظاهرا ، أو ضميرا، أو مصدرا مؤولا .

ينقسم الفعل المتعدي إلى قسمين : فعل متعد بنفسه ، وفعل متعد بغيره . أما الفعل المتعدي بغيره فهو ما كان أصله اللزوم لا التعدي ، ولكنه تعدى إلى غيره بالهمزة والتضعيف وحروف الجر [3] ، وقد ذكر ابن عقيل أن الفعل المتعدي هو الذي يصل إلى مفعوله بغير حرف الجر ، وأن اللازم ما ليس كذلك بحيث لا يصل الفعل اللازم إلى مفعوله إلا بحرف الجر ، أو ربما لم يكن محتاجا إلى مفعول به أصلا ، ويسمى ما يصل إلى مفعوله بنفسه فعلا متعديا وواقعا ومجاوزا ، وما ليس كذلك يسمى فعلا لازما وقاصرا وغير متعد ، ويسمى الفعل المتعدي بحرف الجر متعديا بحرف الجر [4].

---

[1] = الديوان : ص 73

[2] = المبرد – المقتضب – ج1/ص146.

[3] = انظر : أبو البركات الأنباري – أسرار العربية – مصدر سابق – ص83

[4] = انظر : شرح ألفية ابن مالك – مصدر سابق – ص 483 ، ص 484

وقد ذكر سيبويه في باب الفعل الفرقَ بين الفعلين اللازم والمتعدي ، فقال في معرض حديثه عنهما : (واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحَدَثان الذي أخذ منه ، لأنه إنما يذكر ليدل على الحدث ، ألا ترى أن قولك : قد ذهب بمنزلة قولك : قد كان منه ذهاب . وإذا قلت : ضرب عبد الله . لم يتسنّ أن المفعول زيد أو عمرو ، ولا يدل على صنف كما أن " ذهب " قد دل على صنف، وهو الذهاب ، وذلك قولك : ذهب عبد الله الذهاب الشديد ، وقعد قعدة سوء ، وقعد قعدتين ، لمّا عمل في الحدث عمل في المرة منه والمرتين وما يكون ضربا منه ...)[1].

إن الفعل المتعدي ترتبط به علامة مميزة له عن الفعل اللازم ، فتتصل به الهاء لكنها غير هاء المصدر . ويظهر الفرق جليا بين الفعل اللازم والفعل المتعدي ، فالفعل المتعدي يصلح أن يبنى منه اسم مفعول ، ويصلح السؤال عنه بأي شيء وقع ، وغير ذلك مما لا يصلح فيه فهو اللازم [2] ، وقد جعل بعض النحويين الفعل المتعدي بحرف الجر من الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد .

وخلاصة القول هي أن الفعل اللازم هو ما اقتصر تركيبه على هذا النحو : (فعل + فاعل) ، والفعل المتعدي هو ما كان تركيبه (فعل + فاعل + مفعول به) ، فإذا تعدى إلى مفعول واحد فقد يتعدى إلى مفعولين ، وإذا تعدى إلى مفعولين فقد يتعدى إلى ثلاثة مفعولات ، أما تعديه بحرف الجر فالأفعال في هذه الحال تكون قاصرة عن التخلص من الحرف ، فتضعف عن تجاوز الفعل إلى المفعول ، فتحتاج إلى ما يرفدها من حروف الجر ، التي أعملت في الأسماء .

تطغى صورة الأفعال المتعدية في شعر البارودي على الأفعال اللازمة ، من حيث التركيب والتكرار في القصيدة الواحدة ، فتكون جملة الفعل المتعدي أشمل من حيث البناء ، وكثيرا ما يبنى البيت الواحد على جملة الفعل المتعدي ، وحتى إن ظهر الفعل اللازم في القصيدة فإن أثره يكون محدودا ومقتصرا على عرض بسيط أو حدث سريع ، من ذلك قول البارودي :

لا أحفِلُ الطيرَ إنْ غنّتْ وإن نعَبَتْ سيانِ عندي صفّارٌ وشحّاجُ [3]
يستعظمون من الحجاج صولتَهُ وكلُّ قومٍ بهم للظلم حجّاجُ [4]

فالفعلان الماضيان : غنت ، ونعبت . اقتصرا على زيادة المعنى ، فحذفهما لا يخل كثيرا بمراد الشاعر لأنه لا يحفل بالطير عامة ، وقد ذكرهما الشاعر لغاية تتعلق بالحفاظ على الوزن الشعري ، ومع أن

---

[1] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص34 ، ص35.
[2] = انظر : ابن عصفور – المقرب – مصدر سابق – ص175.
[3] = صفار : كثير الصفير . شحاج : كثير الشحيج ، وهو صوت الغراب .
[4] = الديوان – ص 102

استعمال اسم الفعل الماضي " سيان " دلّ على حاجة الشاعر إليه ، بالرغم من كونه اسما لا فعلا . أما الفعلان المضارعان : أحفل ، ويستعظمون . فهما مما لا سبيل إلى الاستغناء عنهما أو عدم ذكرهما . فجملة الفعل اللازم أكثر ورودها تتعدى بحرف الجر ، حتى يشتمل الفعل الواحد على شطر كامل من حيث بناء الجملة فيه ، من ذلك قوله :

تُغني الإشارةُ منه عن تصريحهِ وتــدلّ لــفظته علــى المقصودِ [1]

فقوله : عن تصريحه . تعدية للفعل بحرف الجر ، لأن الفعل لا يتعدى بغيره ، ولو لم يزد حرف الجر والاسم المجرور لما فهم منه أنه يرمي إلى ذلك ، بقدر ما تكون أدلّ عند الذكر ، ومثلها قوله في الشطر الثاني : على المقصود . فقد وقعت دلالة " لفظته " على الجار والمجرور في قوله : على المقصود . ومما سبق نجد أن البيت السابق قائم على فعلين كل فعل استقل بشطر واحد وتعلقت به حروف الجر . ومثل ذلك أيضا قوله :

أسير على نهج يرى الناسُ غيرَه لكل امرئ في ما يحاولُ مذهبُ [2]

فحرف الجر " على " تعلق بالفعل اللازم " أسرّ " ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو . ومثل ذلك أن يجمع الفعل اللازم والفعل المتعدي ليشكلا نسيجا واحدا في القصيدة ، وكقوله أيضا :

أهيمُ بالبِيض في الأغماد باسمةً عن غُرّة النصر لا بالبيض في الكَلَلِ
لم تُلهني عن طلاب المجد غانية في لــذة الصحْوِ ما يُغني عن الثَّمَلِ [3]

فقوله : أهيم . فعل مضارع لا يتعدى إلا بحرف الجر ، فتعلق الفعل بحرف الجر الباء في قوله : بالبيض، ولا يجوز أن يقال : أهيم البيضَ . لأنه مما اتفق عليه عند المعجميين أنها لم ترد هذه اللفظة متعدية بغير حرف الجر ، ومثل ذلك الفعل : لم تلهني . فقد تعدى إلى مفعول ، وهو ضمير المتكلم المنصل ، ثم تعلّق بحرف الجر " عن " في قوله : عن طلاب المجد .

أقسام الفعل المتعدي :

يتعدى الفعل إلى مفعول واحد كما يحتمل أن يتعدى إلى مفعولين ، وإذا احتمل أن يتعدى إلى مفعولين فقد يتعدى إلى ثلاثة ، لأنه صلح بداية أن يتعدى ، وبذلك فقد احتمل الفعل معنى التعدية ، فجاز

[1] = الديوان – ص184
[2] = الديوان – ص56
[3] = الديوان – ص397

فيه حكم التعدية . ويرى أبو البركات الأنباري أن الهمزة والتضعيف وحرف الجر تنقل الفعل اللازم من اللزوم إلى التعدية ، فكذلك إذا دخلت على الفعل المتعدي فإنها تزيده مفعولا ، نحو قولنا : (فهم عليّ الدرسَ ، وأفهمت عليا الدرسَ) ، فإن كان الفعل يتعدى إلى مفعول واحد ، صار يتعدى إلى مفعولين ، فإن كان متعديا إلى مفعولين صار متعديا إلى ثلاثة مفاعيل [1] ، نحو قولنا : (رأى زيد القمرَ بدرا ، وأريْت زيدا القمرَ بدرا) . لذا فإن أقسام الفعل المتعدي هي :

الفعل المتعدي إلى مفعول :

إن الأفعال التي تندرج تحت هذا الباب أكثر من غيرها من أبواب التعدية ، ولابد في الفعل المتعدي (أن يكون في جميع مسائله اسمان في كل مسألة ، فاعل ومفعول)[2] . ومن أمثلة تلك الأفعال : أكرم ، غفر ، عظم ، كتب ، أخذ ، وأفعال الحواس ، ويسمى هذا النوع بالفعل المتعدي بنفسه [3] ، ومثله في الكلام أن تقول : (ضرب عبد الله زيدا ، فـ " عبد الله " ارتفع ههنا كما ارتفع في " ذهب " ، وشغلت " ضرب " به كما شغلت به " ذهب " ، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل فاعل)[4] .

إن الأفعال المتعدية إلى مفعول كثيرة بحكم دلالتها ، ولأنها في الغالب قد تكون أفعالا لازمة في الأصل ، وإنما زيدت عليها الحروف كالهمزة ، والتضعيف ، والألف حتى تتعدى بها ، ومن أمثلة ذلك قول البارودي :

يأبى لي الغَيَّ قلبٌ لا يميل بهِ عن شرْعةِ المجْدِ سحرُ الأعين النجُلِ [5]

فالفعل المضارع : يأبى . تعدى إلى المفعول المتقدم الغيّ على فاعله ، وتأخر فاعله : قلب . وترتيب الجملة على هذا النحو : يأبى قلب لي الغيّ ، وإنما كان تأخيره لكونه نكرة لا معرفة ومفعوله معرف بـ " أل " التعريف ، فكان الأصح عند الشاعر أن يقدم ما هو معلوم ، وقد أخّرَ الفاعل ليجعل الجملة الفعلية " لا يميل به " في محل رفع صفة للفاعل ، فاكتسب الفاعل بذلك شيئا من التعريف . ويقول أيضا :

نزّهت نفسي عمّا يدنَسون به ونحلة الروض تأبى شِيمة الجُعَل [6]

---

[1] = انظر : أبو البركات الأنباري – أسرار العربية – مصدر سابق – ص84

[2] = ابن السراج – الأصول – تحقيق عبد الحسين الفتلي – ط3 – 1996م – مؤسسة الرسالة – ج2/ص280.

[3] = انظر : شرح شذور الذهب – مصدر سابق – ص368

[4] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص34.

[5] = الديوان : ص396

[6] = الديوان : ص403. الجعل : حشرة كالخنفساء .

فورد الفعل المتعدي إلى مفعول واحد في البيت السابق مرتين في قوله : " نزهت نفسي " ، " تأبى شـيمة الجعل " . ويقول كذلك :

بسطّتَ يدا بالخير فينا كريمةً   هي الغيثُ أو في الغيث منها شمائلُ
أيقظت ألبابَ الرجال فسارعوا   إلى الجدّ حتى ليس في الناس خاملُ [1]

فقد توالى ذكر الفعل المتعدي إلى مفعول في البيتين بقوله : " بسطت يدا " ، و " أيقظت ألباب الرجال " .

الفعل المتعدي إلى مفعولين :

تقسم الأفعال المتعدية إلى مفعولين إلى قسمين :

الأول : الفعل المتعدي إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا .

الثاني : الفعل المتعدي إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر .

القسم الأول : الأفعال المتعدية إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا :

وهي مثل : أعطى ، وسأل ، وعلم ، ومنح ، وألبس ، ووهب ، وكسا ... وغيرها من الأفعـال ، وتكثر في الكلام لأنها تدل على معان كثيرة ، ولأن الأفعال التي تعدت إلى مفعول به في الأصل يمكنهـا أن تتعدى إلى مفعولين ، من ذلك الفعل : سأل . الذي يكثر تعدِيَته في شعر البارودي إلى مفعولين كقول البارودي :

أتسألنا لِبسَ الجديدِ سفاهةً   وأثوابُنا ما قد علمتَ حديدُ [2]

فالفعل " تسأل " تعدى إلى مفعولين ، الأول هو الضمير المتصل " نا " في محل نصب ، والمفعول الثاني هو " لبس الجديد " ، وقوله أيضا :

واسألْه مغفرة لمن حلّ الثرى   بالأمس فهْو مجيبُ كلِّ منادي [3]

فقوله : اسأله مغفرة . يشبه تركيب الجملة الفعلية السابقة ، فالضمير المتصل هو المفعول الأول ، والاسم الظاهر " مغفرة " مفعول ثان . وصورة هذا التركيب هي السائدة على صورة الفعل المتعدي إلى مفعولين.

---

[1] = الديوان – ص459

[2] = الديوان – ص144

[3] = الديوان – ص159

وكذلك فإن البارودي قد يورد الأفعال المتعدية إلى مفعولين على وزن الفعل المزيد " استفعل " ؛ لأنه يكون بمثابة طلب الشيء ، كأن تقول : (استعطيت أي طلبت العَطيّة ، واستعتبته أي طلبت إليه العتبى ، ومثل ذلك استفهمت واستخبرت ، أي طلبت إليه أن يخبرني)[1]، كقوله في موضع آخر :

وإذا أرابكما الزمانُ بوَحشةٍ فاستمْخِضاه اليُسرَ بالإيناسِ [2]

فالفعل الذي تعدى إلى مفعولين هو قوله : " استمخض " وأصل الكلمة هو " مخضَ " ، و(أمخض اللبن : حان له أن يُمخض ، واستمخض لبنك إذا أبطأ رُؤوبه ، وإذا كان كذلك لم يكد يخرج زُبده)[3] . وقد تعدى الفعل " استمخض " إلى الضمير المتصل " الهاء " ، وتعدى أيضا إلى الاسم الظاهر " اليسرَ " . وهناك جملة من الأفعال المتعدية ، استخدمت في أغراض كثيرة ومعان مختلفة ، منها قوله :

أوليته خيرا فقام بشكرهِ والشكر للإحسان خيرُ ضريبِ [4]

إن الفعل " أولى " هو بمعنى " أعطى " على وزن " أفعل " ، وهذا الفعل يتعدى إلى مفعولين ، لأن معناه يطلب مفعولين ، أولهما الاسم الذي يقع عليه الفعل والثاني هو المفعول الذي جاوزه ، وكذلك قوله :

أذكرتني ما مضى والشمل مجتمِعٌ بمصرَ والحرب لم تنهضْ على ساقِ [5]

فالفعل " أذكر " مزيد بالهمزة ، وهي من حروف الزيادة التي تحمل الفعل إلى التعدية ، وما دام الفعل المجرد هو أصلا متعديا إلى مفعول ، فإن زِيد حرف من حروف الزيادة عليه تعدى إلى مفعولين ، وللبارودي أبيات كثيرة مختلفة يذكر فيها الفعل " سام " الذي يتعدى بنفسه إلى مفعولين ، كقوله :

فلو سامني ما يُورد النفس حتفَها لأوردتها والحبُّ للنفس قاتلُ [6]

ويغلب هذا التركيب على الفعل " سام " ، إذ يتعدى بداية بضمير المتكلم ، ثم يزيد عليه البارودي مفعولا ثانيا ، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة معنى الفعل في ذهن الشاعر كقوله :

---

[1] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج4/ص70

[2] = الديوان – ص285

[3] = الزمخشري – أساس البلاغة – مصدر سابق – ص785.

[4] = الديوان – ص62

[5] = الديوان – ص372

[6] = الديوان – ص436

لقد سامني طيَّ الغرامِ وما درى   بأن الهوى العُذْريَّ يكبُرُ أن يطوى [1]

يسمى الفعل " كسا و أعطى " وما شابههما بالفعل الذي أول مفعوليه فاعل ، كقوله : كسوته جبة، وأعطيته دينارا . فإن المفعول الأول لابس وآخذ ، فيه معنى الفاعلية المعنوية [2] ، إذ يجب تقديم ما ليس فاعلا في المعنى ، وتأخير ما هو فاعل في المعنى ، نحو : أعطيت الدرهم صاحبه . فلا يجوز تقديم صاحبه وإن كان فاعلا في المعنى ، لأنه لا يجوز أن تقول : أعطيت صاحبه الدرهم ، لئلا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة [3] . ويقصد بالفاعلية المعنوية أن وقوع دلالة الفعل عليه بمثابة الفاعل ، لكنه في المعنى فحسب لا الإعراب ، فإعرابه مفعول به . ومن أمثلة ذلك في شعر البارودي أن يكون الضمير المتصل في المفعول الأول عائدا إلي شيء تقدم ذكره ، كقوله :

دعاني إلى غَيّ الصِّبا بعدما مضى   مكانٌ كفردوس الجنان أنيقُ
فسيحُ مجالِ العينِ أما غديرُهُ   فطامٍ وأما غصُنه فرشيقُ
كسا أرضَهُ ثوبا من الظلِّ باسقٌ   من الأيك فَيْنانُ السُّراة وريقُ [4]

فالفعل المتعدي : كسا . من شأنه أن يتعدى إلى مفعولين ، وهما : أرضه ، وثوبا . وقد اتصل في المفعول الأول " أرضه " ضميرٌ في محل جر بالإضافة ، ويعود الضمير المتصل إلى الفاعل " مكان " في مطلع القصيدة التي وصف فيها جزيرة سرنديب وجمال الطبيعة فيها ، ولعل شعره المتعلق بوصف طبيعة تلك الجزيرة الجميلة أكثر عفوية وسليقة ، فهو لا يتكلف وصف شيء لا يراه ، وإنما يبهره المنظر الجميل فلا يلتفت كثيرا إلى تكلف ما هو من الطبيعة ، فيكون شعره متناغما مع جداول مائها ورياضها . وربما جعل البارودي المفعول الثاني مكانَ المفعول الأول ، كقوله :

فلا تعطينَّ الحزنَ قلبَك واستعنْ   عليهِ بصبرٍ فهْو في الحزن أنجعُ [5]

وربما أراد الشاعر أن يقول : لا تعطين قلبك الحزن . لأن هذا هو المؤدى الذي يرمي إليه المعنى ، والغالب أن يكون الفعل نفسه متصلا بضمير النصب ، كقوله في فعل الإعطاء (منح) :

---

[1] = الديوان – ص711
[2] = ابن هشام الأنصاري – شرح شذور الذهب – مصدر سابق – ص369
[3] = شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ ص491
[4] = الديوان – ص373
[5] = الديوان – ص330

أضِنّ بصاحبي وأذودُ عنهُ   وأمنحهُ السّويَّة في الحقوقِ [1]

وقوله أيضا في الفعل " وهب " :

فقلت له تثبّت تلقَ رشدا   فكم من سرعة وهبتك غَيّا [2]

فقد أخذ الفعل الماضي " وهب " مفعولين ، أحدهما الكاف وهو ضمير متصل ، والأخر هو قوله : غيّا . ومما شاكل أفعال المنح والإعطاء بعض الأفعال التي وردت في شعر البارودي ، مثل : (سلب ، وناول، وبايع ، وشاطر) وقد استعملها لتدل على نوع من الاتساع في الاستعمال ، من ذلك قوله :

فكيف تسلبني قلبي بلا تِرَةٍ   فتاةُ خِدْر لها في الحيِّ مُنتسبُ [3]

وليس في هذا البيت فعل سوى الفعل المضارع " تسلبني " ، الذي تعدى على صورة الأفعال السابقة ، فجعل الضمير المتصل ياء المتكلم مفعولا أولا ، والمفعول الثاني في قوله : قلبي . ومثل ذلك قوله في التعدية بالفعل المزيد على وزن " فاعل " :

وناولته كأسا فمدّ بَنانَهُ   إليها على كُرْهٍ به وهو آيسُ [4]

وكذلك قوله :

بايعتُها القلبَ إيجابا بما وعدتْ   فيا لها صفقةً في الحبِّ ما ربِحَتْ [5]

ويقول أيضا :

أشاطرُهُ ودّي وأُفضي لسمعِهِ   بسرّي وأمليهِ المُنى وهْو رابعُ [6]

فالأفعال المتعدية إلى مفعولين : ناول ، بايع ، أشاطر . بالإضافة إلى الفعل " أملى " في البيت الأخير . والأفعال الثلاثة الأولى على وزن ماضي الفعل المزيد بالألف " فاعَل " ، ومعلوم أن من معاني هذا الوزن المشاركة ، إذ لم يكن له أن يكتسب صفة التعدية إلى مفعولين لولا زيادته بحرف ، لأن قاعدة الصرفيين تنص على أن كل زيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى ، وقد جعل البارودي مفعولي كلٍّ من تلك الأفعال ، هو الضمير المتصل بالفعل ليكون المفعول الأول ، والمفعول الثاني يتلو الفعل مباشرة بحيث لم

---

[1] = الديوان – ص380

[2] = الديوان – ص729

[3] = الديوان – ص73

[4] = الديوان – ص287

[5] = الديوان – ص108

[6] = الديوان – ص317

يفصل بينهما بشيء ، في قوله : " كأسا " للفعل : ناول . و" القلب " للفعل : بـــايع . و" ودي " للفعـــل : أشاطر . وقد ورد هذا البناء بشكل عام في شعر البارودي متشابها في التركيب نفسه وفي مواضع وأفعال مختلفة كقوله أيضا :

ظنّ بي سوءا وقد ساومتُهُ قُبلة فازورَّ حتى فرِكـــا [1]

فالفعل " ساوم " المزيد بحرف على وزن " فاعَل " تعدى إلى المفعولين نفسهما من حيث التركيب فـــالأول ضمير متصل ، والثاني جاء بعده دون أن يفصل بينهما في قوله : قبلة . ومثله في التركيب نفسه أيـــضا قول البارودي :

وكم ليلةٍ ساورتُها نابِغيّةً سقتْني بها مجّت شِفاهُ الأراقمِ [2]

فتركيب الجملة الفعلية " ساورتها نابغيةً " في هذا البيت ، يشبه تماما التركيب نفسه في البيت السابق فـــي جملة : " ساومتها قبلة " . ومن الأوزان الأخرى وزن " أفعل " بزيادة الهمزة أول الكلمة ، كقوله :

آهِ من غُربةٍ وفَقْدِ حبيبٍ أورثا مُهجتي عذابا مَكيثا [3]

ويقول أيضا :

تريك جمان القطر في أقحوانةٍ مفلّجةِ الأطرافِ قيلَ لها ثغْــرُ [4]

فالفعل المضارع " تري " مزيد ، لأن ماضيه " أرى " مزيد بالهمزة ، وقد تعدى إلى مفعولين ، لا لأنه من أفعال القلوب ، فليس أصل المفعولين فيه مبتدأ وخبرا ، وإنما تعدى الفعل لزيادة حرف الهمـــزة عليـــه ، فمعنى الفعل ليس الرؤية القلبية ، وإنما حقيقة الرؤية والإبصار بالعينين ، والأصل فيه أن يتعـــدى إلـــى مفعول واحد ، ثم لمّا زيدت الهمزة قبلَ التعدية إلى اثنين ، ومن أمثلة ذلك أيضا قول البارودي :

فلو كان هذا الحبُّ شخصا مُحاربا لأوجَرْتُه فـــوهـــاءَ ريّـــا الجـــوانبِ [5]

---

[1] = الديوان – ص393

[2] = الديوان – ص520 . نابغية : طويلة .

[3] = الديوان – ص97

[4] = الديوان – ص271

[5] = الديوان – ص72

ومعنى قوله : أوجرته فوهاء . من المجاز [1] ، أي طعنته طعنة واسعة . وعنصر التعدية فيه هو المفعول الأول الضمير المتصل ، والمفعول الثاني الاسم الممدود " فوهاء " . ومن أنواع التعدية إلى مفعولين أيضا أن يكون الفعل مضعّفا على وزن فعّل ، بحيث يزيد معناه من اللزوم إلى التعدية ، كقول البارودي :

هي مِن أهازيجِ الحمام وإنّما ضمّنتها مدحَ الهُمامِ الأروعِ [2]

فالشاهد في البيت السابق هو قوله : ضمنتها مدح الهمام . كأنه أراد أن يقول : أودعت القصيدة مدح الهمام . ويقصد بالهمام الأمير شكيب أرسلان . وقد يجمع الفعلين المتعديين بشكل متوال ، كقوله :

فلا هو إن رُعناه بالمجد يرعوي ولا إن سألناه الـهوادةَ يحفِلُ
عرَوْنا فأبخلناه فضلَ حِبائـه ومن عجب إمساكه وهْو نوفلُ [3]

فقوله : (أبخلناه) أي وجدناه بخيلا ، لأنك إذا أتيت فلانا فأبخلته ، بمعنى : وجدته بخيلا [4]. وقد بنى الفعلين الماضيين " سألناه ، وأبخلناه " ، بناء مماثلا ، فظهر تركيب الجملة الفعلية المتعدية على نحو : (فعل ماض متعدٍّ + " الهاء " ضمير نصب متهصل + اسم ظاهر منصوب بالفتحة) .

<u>القسم الثاني : الأفعال المتعدية إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر :</u>

ويكون على قسمين ، وهما : أفعال القلوب ، وأفعال التحويل ، بحيث تدخل هذه الأفعال على الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر فينصب المبتدأ والخبر ، فيجعل المبتدأ المفعول الأول ، والخبر المفعول الثاني ، فإذا انتزع الفعل فأصل المفعولين فيه المبتدأ والخبر . وقيل : إن (هذه الأفعال تدخل بعد استيفاء فاعلها على المبتدأ والخبر ، فتنصبهما مفعولين ، وهو على نوعين : أفعال قلوب ، وسميت بذلك لقيام معانيها بالقلب ، وأفعال تصيير)[5] ، وهي كما يأتي :

---

[1] = انظر : الزمخشري – أساس البلاغة – مصدر سابق – ص891

[2] = الديوان – ص334

[3] = الديوان – ص482

[4] = انظر : ابن قتيبة – أدب الكاتب – تحقيق محمد محيي الدين – ط4 – 1963م – مطبعة السعادة – مصر – ص343.

[5] = نور الدين الجامي – شرح كافية ابن الحاجب – مصدر سابق – ج1/ص271.

أولا : أفعال القلوب :

وقد سميت بذلك لأن إدراكها يكون بالحس والشعور ، ولا يكون بالمعاينة والنظر ، وليس كل فعل يدرك بالقلب ينصب مفعولين . وأفعال القلوب كثيرة من أهمها وأكثرها تداولا : رأى ، وزعم ، وظن ، وخال ، واتخذ ، ودرى ، وعدّ ، وجد ، وعلم ، وألفى ، وتعلم ، وحسب ، وسمع ... ، وغيرها من الأفعال التي تدل على المعنى المحسوس بالقلب ، وتقسم حسب دلالتها إلى نوعين ، وهما : أفعال اليقين ، وأفعال الشك أو الرجحان . ومما ذكرنا من الأفعال ما يدل على اليقين مثل هذه الأفعال : رأى ، وعلم ، ودرى ، ووجد ، وألفى ، وتعلم ... وغيرها . ومن أمثلة استعمال البارودي لها في شعره قوله :

أرى السهل مقرونا بصعبٍ ولا أرى   بغير اقتحام الصّعب مُدّركَ السهلِ [1]

فقد تعدى الفعل المضارع " أرى " إلى المفعولين : " السهل ، مقرونا " ، ثم كرره مرة أخرى منفيا بـ "لا" النافية وغيّر في تركيب جملته ، فجعل التعدية مرة إلى مفعول واحد وهو " مُدّرك السهل " ومرة أخرى بحرف الجر الباء في قوله : " بغير اقتحام الصعب " .

إن الفعل " رأى " من أكثر أفعال القلوب استعمالا في الكلام ، فيكثر دخوله على الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر ، وربما كثر استعماله لأنه يدل أصل معاني أفعال القلوب ، فمعناه إدراك القلب لا رؤية العين . ويظهر في ديوان البارودي متصلا بضميرَي النصب والرفع ، كقوله :

تراه ذا أهْبةٍ في كلّ نائبةٍ   كالليثِ مُرتقبا صيدا بمرصادِ [2]

فالضمير المتصل في الفعل الضارع " تراه " في محل نصب مفعول أول ، وقوله : " ذا أهبة " ، فـ " ذا" مفعول به منصوب بالألف لأنه من الأسماء الخمسة ، وهو مضاف وما بعده مضاف إليه . وكذلك أيضا فإنه يرد متصلا بضمير النصب ياء المتكلم كقول البارودي :

رآني به مولَعا   فعاتبني وانحرفْ [3]

فياء المتكلم هي التي وقعت عليها المفعولية ، والاسم الظاهر " مولعا " مفعول ثان ، وقد تعلق فيه الجار والمجرور " به " . وهذه الضمائر المتصلة بالفعل القلبي تدل على سعة هذا الفعل في شعر البارودي ، وأقل من ذلك أن يتصل الفعل " رأى " بضمير الرفع دون ضمير النصب ، كقوله :

---

[1] = الديوان – ص444

[2] = الديوان – ص163

[3] = الديوان – ص348

كيف صادقتَ الأماني هل رأيت الصعبَ سهلا [1]

فالتاء المتصلة بالفعل " رأى " هي تاء الفاعل المتحركة ، ولا تتصل إلا بالأفعال ، وعند اتصالها فيه تكون في محل رفع فاعل .

لا شك أن معنى اليقين في الفعل لا يعني بالضرورة وجوب اعتقاد صاحبه فيه أو تصديقه ، وإنما ليكون دالا على نوع من الاقتناع عند الشاعر ، ولكن البارودي أراد من فعل اليقين أن يكون دالا على الاعتقاد الجازم والإيمان المطلق ، وبخاصة الفعل " رأى " ، إذ يدل على الاعتقاد الجازم ، والإيمان بحقيقة التجارب الشخصية ، كقوله :

أرى كلّ حيّ ذاهبا بيدِ الردى فهل أحدٌ ممن ترحّل راجعُ [2]

فمجال رؤية الشاعر في البيت قلبية لا محالة ، لاستحالة أن يكون الشاعر قد رأى كل حيّ ، وإنما ليشير بها إلى حكمة أفاد منها في حياته الشخصية ، ودليل ذلك في الشطر الثاني من البيت . ومن أمثلة استعمال الشاعر للفعل أن يأتي به ليدل على الاعتقاد الذاتي الذي لا يشك هو فيه ، كقوله متحدثا عن أبيه :

أبي ومن كأبي في الحيّ نعلمُهُ أوفى وأكرمَ في وعدٍ وإيعادِ [3]

والشاعر أعلم بأبيه من المتلقي ، ولكنه أراد أن يجعل وفاء أبيه وكرمه أمرا معلوما للجميع لا سبيل إلى إنكاره ، فاستعمل الفعل المبني للمعلوم " نعلمه " ولم يكتف بالمفعول الأول بل زاد عليه أن قال : أوفى . وقد وردت حركة " أكرم " مرفوعة في طبعة علي الجارم ومحمد معروف ، وهي ولا شك منصوبة لوقوع المفعولية عليها ، ولأن حركة الألف المقصورة مقدرة عليها الفتحة فقد ظهرت على الاسم المعطوف عليه . وربما رفعوا الاسم لكونه خبرا لمبتدأ محذوف لإفادة المدح تقديره " هو " ، وأيا يكن إعرابه فورود هذا الفعل يكون في صورة المتعدي إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، يكون من حروف الجر التي تسبق الجملة الاسمية ، كقوله :

واعلم بأن المرءَ ليس بخالدٍ والدهرُ فيه صحّة وسَقامُ [4]

---

[1] = الديوان – ص509
[2] = الديوان – ص317
[3] = الديوان – ص162
[4] = الديوان – ص538

فالجملة الاسمية في البيت السابق هي : بأن المرء ليس بخالد . وقد اتصل حرف الجر بالحرف الناسخ "أنّ" الداخل على الجملة الاسمية . وجملة " أن " واسمها وخبرها مصدر مؤول تقديره " اعلم بعدم خلود المرء " وقد أشرنا إلى ذلك سابقا . ومن أمثلة بعض الأفعال القلبية في شعر البارودي فعل " وجد " ، كقوله :

فانظرْ لقولي تجدْ نفسي مصوّرةً   في صفحتيهِ فقولي خطّ تِمثالي [1]

فللفعل المضارع المجزوم " تجد " مفعولان ، الأول هو قوله : " نفسي " ، والمفعول الثاني هو " مصورة".

ثانيا : أفعال الرجحان والظن :

وهي مثل : ظن ، وخال ، وحسب ، وزعم ، وعد ، وهبْ وغيرها من الأفعال ، وهي كلها تفيد معنى الشك لا الاعتقاد ، والظن لا اليقين . وأكثر هذه الأفعال ورودا في شعر البارودي هو الفعل " ظن " في قوله :

صريعٌ يظنّ الشُّهب منه قريبة   فيسدو بكفيهِ إلى مطلع النسرِ [2]

فالفعل " ظن " فاعله ضمير مستتر ، وقوله : الشهب . المفعول الأول . و" قريبة " المفعول الثاني. وهما في الأصل مبتدأ وخبر ، باعتبار أن ظن وأخواتها من نواسخ الابتداء [3]. وقد يجعل الفعل متصلا بالضمير، في قوله :

يظنني مَن رآني ضاحكا جذِلا   أنّي خَلِيّ وهمّي بين أضلاعي [4]

فقد حوت جملة الفعل " ظن " مفعوليْن بينهما فاعل ، فالفاعل هو الاسم الموصول " مَن " وجملة الصلة : " رآني ضاحكا جذلا " المكونة من (الفعل والفاعل الضمير المستتر والمفعولين " الياء وضاحكا " والحال "جذلا " لا محل لها من الإعراب . والمفعول الأول هو ضمير المتكلم المتصل بالفعل ، وهو ما جعله يتقدم على فاعله . أما المفعول الثاني فهو المصدر المؤول من قوله : أني خليٌّ . وتقديره في سياق الجملة هو : يظنني الرائي خليا . ثم جاء بالجملة الاسمية المسبوقة بالواو الحالية . أما استعمال الفعل " حسب " ، فمن ذلك قول البارودي :

---

[1] = الديوان – ص454

[2] = الديوان – ص199 . يسدو : يمدّ .

[3] = شرح المكودي – مصدر سابق – ج1/ص250

[4] = الديوان – ص341

يحسبون الحياةَ في الذلِّ عيشا   وهْــو موتٌ يعيش فيهِ الــلئامُ [1]

وقد ورد الفعل على صيغة الأفعال الخمسة ، ففاعله هو " واو الجماعة " الضمير المتصل فــي الفعــل ، والمفعول الأول والثاني هما : الحياة عيشا . ويأتي الفعل " حسب " متصلا بضمير الرفع أو النصب فــي أغلب المواضع ، كياء المخاطبة في قوله :

فلا تحسبي شوقي فُــكاهةَ مازحٍ   فما هــو إلا الجمرُ أو دونه الجمْرُ [2]

حيث اتصل بالفعل " تحسب " ضميرُ الرفع المتصل " ياء المخاطبة " ؛ لأنه في محــل رفــع فاعــل ، وقوله : " شوقي " مفعول به أول ، و " فكاهة مازح " هو المفعول الثاني . وقوله في تركيب ومعنى مشابه للبيت :

فلا يحسبنّ الناس قولي فكاهة   فإنّ الهوى بحرٌ كثيرُ العجائبِ [3]

فالنون في الفعل " يحسب " هي نون التوكيد الثقيلة لا محل لها من الإعراب ، وجعل الاسم الظاهر "الناس" هو الفاعل ، و" قولي " المفعول الأول ، و" فكاهة " المفعول الثاني . وقد يجمع بين الفعلين " ظن وحسب " في قصيدة واحدة كقوله :

تحسبه مِن نُضج أشداقهِ   ركيّة تجري دما أو تموهْ

إلى أن قال :

تظن بعض القوم علاّمةً   وهْو إذا ينطق هامٌ ينوهْ [4]

فقد جعل البارودي فعلين من أفعال الشك في القصيدة نفسها ، وفي ذلك دليل على أن البارودي أراد منهما أن يدلا على التشكيك في مجال الذم والهجاء ، ففي البيت الأول يقول : تحسبه ركية . وفي الثاني يقول : تظن بعض القوم علامة . وهو يرمي من قوله : بعض القوم . أن يشير إلى الشخص نفسه الذي أضــمر ذكره في البيت الأول وهو المهجوّ . ومن ذلك أيضا قوله :

حسب النجوم تخلّفتْ عن أمرهِ   فوحى لهنّ من الهلال بإصبعٍ [5]

---

[1] = الديوان – ص623

[2] = الديوان – ص272

[3] = الديوان – ص72

[4] = الديوان – ص707، ص708

[5] = الديوان – ص335

ثم يلي الفعل " حسب " في الاستعمال عند البارودي الفعل " خال " ، من ذلك قول البارودي :

يتلهّبُ النوّارُ في أطرافها فتخالهُ قبسا من الأقباسِ [1]

فقد جاء به على صيغة الفعل المضارع ، متصلا فيه ضمير النصب ليكون في محل نصب مفعول أول ، ومتعديا إلى المفعول الثاني وهو الاسم النكرة : قبسا . وكذلك قوله :

فلو تراني وبُرْدي بالندى لثِقٌ لخلتني فرخَ طيرٍ بين أدغالِ [2]

فالشاهد في البيت هو " خلتني " ، وهو على التركيب نفسه الذي يعتمد البارودي عليه كثيرا عند التعدية إلى مفعولين . ومثل ذلك أيضا قوله :

قالت : دخلتَ وما إخالُك بارحا إلا وقد أبقيتَ عار المسنَدِ [3]

فقد نصب المفعولين (الكاف ، وبارحا) بالفعل المضارع (إخال) . أما الفعل " زعم " فيأتي متفرقا في ديوان البارودي ، كقوله :

زعموكِ شمسا لا تلوح بظلمة ولقولهم عندي يدٌ بيضاءُ [4]

فقد تعدى الفعل " زعم " إلى مفعولين ، وتجاورا بعد الفعل بحيث لم يفصل الشاعر بينهما بشيء ، وهذه هي الصورة المثلى للفعل المتعدي إلى مفعولين عند البارودي . وأقلّ من هذا الفعل بكثير فعل الأمر "هبْ" في قوله :

هبكَ لم تسمعْ شَكاة فمِي أوَ لم تُبصر ضَنَى بدني [5]

وصورة هذا الفعل في الشعر نادرة ، فقوله : هبك . فعل أمر اتصل به ضمير النصب الكاف ليكون المفعول الأول ، وجعل الجملة الفعلية " لم تسمع شكاة فمي " في محل نصب المفعول الثاني ، لأن الجملة الفعلية في الأصل إنما هي في محل رفع خبر قبل دخول فعل الأمر عليها .

[1] = الديوان – ص282

[2] = الديوان – ص451 . لثق :مبتلّ .

[3] = الديوان – ص134 . والمسند : الدهر .

[4] = الديوان – ص40

[5] = الديوان – ص664

إن مجال الحديث واسع في باب الأفعال المتعدية إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، وذلك لأن هذا الباب نفسه يضمّ جملة من الأفعال التي لا غنى عنها ليتم بها المعنى المراد ، ولِما لهذا الفعل من قدرة على الدخول في الجملة الاسمية وتغيير إعراب المبتدأ والخبر ، ومما يلاحظ على الجملة الفعلية المتعدية إلى مفعولين أنْ يكون مفعولها الأول ضميرا متصلا بالفعل ، وفي الغالب يكون الضمير المتصل هو هاء المفرد الغائب ، أو ياء المتكلم ، ويكثر على هذه الصورة بشكل لا يدع مجالا للشك أمام القارئ لشعره ، أن البارودي يألف طبيعة التكرار ونسج الصورة المتشابهة .

ثالثا : أفعال التحويل :

وهو كل فعل دلّ على التحويل من صورة وهيئة إلى أخرى تختلف عنها ، بحيث يدل المعنى على الصيرورة والتحويل ، ومن تلك الأفعال : صيّر ، وأحال ، وردّ ، وترك ، وجعل ، واتخذ ، وغيرها من الأفعال ، وهي في شعر البارودي قليلة الاستعمال ، ومن أمثلة تلك الأفعال التي استخدمها البارودي قوله :

أحال السيْر جِرَّتها رمادا فراحتْ وهْي خاوية الوِفاضِ [1]

فقوله : أحال . فعل ماض من أفعال التحويل بمعنى " صيّر " ، وفاعله هو " السير " والمفعول الأول : جرّتها ، والمفعول الثاني هو : رمادا . ومثله في المعنى والعمل الفعل " ترك " في قوله :

فلا تتركي نفسي تذوب ومهجتي تسيلُ دما بين الدموع السواجمِ [2]

فالفعل المضارع " تتركي " مجزوم بـ " لا " الناهية والجازمة ، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة ، وفاعله الضمير المتكلم ، وقد تعدى الفعل إلى مفعولين أولهما المضاف إلى ضمير المتكلم " نفسي " ، والثاني هو الجملة الفعلية " تذوب " من فعل مضارع وفاعل مستتر . ومثله قوله :

فقد تركتني ساهيَ القلب سادرا إلى الغَيّ لا عقدٌ لديّ ولا حَلُّ [3]

[1] = الديوان – ص303 . الجرة : ما يجتره البعير .
[2] = الديوان – ص522
[3] = الديوان – ص420

فقد بنى تركيب الفعل " ترك " ليجعل المفعول الأول ضميرا متصلا ، والمفعول الثاني هو " ساهي القلب"، وقوله : " سادرا " نعت . ومعنى الفعل " ترك " في البيت السابق التحويل ، كأنــه أراد أن يقــول : لقــد صيّرتني أو حولتني ساهيَ القلب سادرا . ومثل ذلك قوله في الفعل " جعل " :

جعلناه تاريخا لأيام صبوة   إذا ذُكرت مسّ القلوبَ حريقُ [1]

فقد تعدى الفعل " جعل " إلى مفعولين هما : الضمير المتصل ، والاسم الظاهر في قوله : " تاريخا " ، وقد ظهرت صورة الجملة الفعلية المتعدية إلى مفعولين في الشطر الأول من البيت السابق على نحو سريع .

إن جملة الأفعال المتعدية التي تدخل الجملة الاسمية تتعدد صورها وأشكالها بتعدد صور الجملــة الاسمية وأشكالها ، حتى من حيث التقديم والتأخير ، وهي بذلك تحتم جملة من الشروط والقواعــد التــي يجوز التقديم فيها أو لا يجوز ، وذلك اعتمادا على القواعد العامة للتقديم والتأخير في الجملة الاسمية .

<u>القسم الثالث : الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفعولات :</u>

وهي في الأصل أفعال تعدت إلى مفعولين ثم زيد على وزنها أو معناها لتتعدى إلى ثلاثة مفعولات ، وهي قليلة لكونها تتطلب الإطالة والتعقيد في تركيب البيت من ذلك قوله :

أراك الحمى شوقي إليك شديدُ   وصبري ونومي في هــواك شريدُ [2]

فقوله : أراك الحمى شوقي شديد . تعدى الفعل الماضي المزيد " أرى " في الجملة الفعلية السابقة إلـــى ثلاثــة مفعولات ، وهي : الكاف ضمير النصب المتصل ، وشوقي ، وشديد . وقد رفع البارودي المفعول الثالث ليوافق قافية البيت ، وهو ما يعرف بالتصريع ، ويكون بــ (استواء آخر جزء في صــدر البيــت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروِيّ والإعراب)[3] ، بحيث تتفق قافية الــشطر الأول مــن البيــت الأول مع قافية القصيدة . فجعل حرف الرويّ – وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة – مضموما ، ولا يقع الإقواء في عجز الشطر الأول ، لأن الإقواء هو اختلاف حركة الروِيّ في قصيدة واحــدة [4] ، ولــو نصب البارودي المفعول به " شديد " لم يُقوِ ، والأصل أن ينصب المفعول الثالث ، ولا مــسوغ لرفعــه ، فإن قيل : ربما أراد الشاعر أن يجعل من قوله : شوقي إليك شديد . جملة اسمية من المبتدأ والخبر ، قلت

---

[1] = الديوان : ص375.

[2] = الديوان – ص143

[3] = صفي الدين الحلبي – شرح الكافية البديعية – مصدر سابق – ص188.

[4] = الخطيب التبريزي – الوافي – مصدر سابق – ص239.

: إذا فكــيف يمكــن أن يكون معنى الفعل المتعدي " أرى " ؟ ، إذ إنّ المعنى في ذلك يضطرب ويختل ، وقد وقعت الفاعلية فيه على قوله : الحمى .

المبحث الثاني : الأفعال الجامدة غير المتصرفة :

الأفعال الجامدة هي الأفعال التي لا تتصرف ، وهي : عسى ، ونعم ، وبئس ، وفعــلا التعجــب "أفعل به " ، و" ما أفعله " ، وحبذا ، وليس . لتضمنها ما ليس لهن فــي الأصــل [1] ، ومعنــى كونــه لا يتصرف أن يكون جامدا ، والفعل الجامد يشبه الحرف ، لأن الحرف لا يمكن أن تتغيــر صــورته ، أو تنتقل من حالة إلى أخرى . والأفعال الجامدة برغم كونها لا تتصرف ولا تتغير حركتها ، إلا أنها ممــا لا يستغنى عنها ، لأن جمودها في التركيب وحده لا في الدلالة والوظيفة ، فمن حيث الاستعمال والوظيفــة نجد هذه الأفعال متوافرة بكثرة في شعر البارودي ، وترد على النحو الآتي :

أولا : فعلا المدح والذم " نعم وبئس " :

وهما فعلان ماضيان جامدان ، لا مضارع لهمــا ، ولا يمكن تثنيتهما ولا جمعهما ، ويدلان على المفرد أو المثنى أو الجمع ، وعلى التذكير والتأنيث بصيغة واحدة ، ولا يجوز أن يقدم عليها شيء ممــا عملتْ فيه [2] ، ويجوز أن تلحقهما تاء التأنيث الساكنة التي لا محل لها من الإعراب لزيادة معنى التأنيــث فحسب ، وقبولها لتاء التأنيث هو الدليل على أن صيغة الفعل بالماضي ، ليدلا على إنشاء المدح أو الــذم دون أن يتعلق بزمن وقوعه ، ويجيئان في الكلام على ضربين : فضرب توضع فيه للأســماء الظــاهرة المعرفة بالألف واللام على معنى الجنس ، ثم يذكر بعد ذلك الاسم المحمود أو المذموم والثاني أن يضمر فيه المرفوع وتفسره بنكرة منصوبة [3] . وتفيــد " نعمَ " إنشاء المــدح ، ويرى العكبري أن فعل " نعــم " (لا يكون فيه مستقبل ، وأصله " نَعِمَ " كــ "عَلِمَ " وقد جاء على ذلك في الشعر إلا أنهم سكّنوا العــين ، ونقلوا حركتها إلى النون ليكون دليلا على الأصل)[4] ، والفعل " بئس " لإنشاء الذم ، وكلاهما يخــضعان للتركيب نفسه ، مع تقابل المعنى واختلافه.

وخلاصة القول هي أن التركيب النحوي لجملة الفعل الجامد " نعم " مماثل لتركيب جملــة "بئس"، وغالب ورود الصيغتين يكون بأن يتبعهما اسم ظاهر ، على نحو التركيب في قولك : (الفعل بئس أو نعم + الفاعل) ، وهي وإن كانت قليلة الاستعمال في شعر البارودي إلا أنها وردت بصيغة التأنيث في قوله :

---

[1] = ابن الدهان – الفصول في العربية – ط1 – مصدر سابق – ص 54.

[2] = انظر : ابن السراج – الأصول – مؤسسة الرسالة – مصدر سابق – ج2/ص228

[3] = السيد يعقوب بكر – نصوص في النحو العربي – مصدر سابق – ص 403

[4] = أبو البقاء العكبري – التبيان في إعراب القرآن – تحقيق علي البجاوي – دار الجيل – بيروت – ط 2 – 1987م – ج1/ص221.

فبئستِ الخمرُ من مخادعةٍ   لسَلْمها في القلوب مُحترَبُ [1]

فالفعل الجامد " بئست " اتصلت فيه تاء التأنيث ، ليدل على تأنيث الاسم الذي أسند إليه الفعل [2] ، وفاعله هو الاسم الظاهر " الخمر " ، وهي لفظة تدل على التأنيث ، وكذلك قوله أيضا :

بئسَ العشيرُ وبئستْ مصرُ من بلدٍ   أضحتْ مُناخا لأهل الزور والخطلِ [3]

فقد جاء بالفعل الجامد " بئست " متصلا بتاء التأنيث مرة وغير متصل بها في صدر البيت ، وإن لم يكن لتاء التأنيث محل من الإعراب إلا أنها دلت على أن " بئس " فعل كغيرها من الأفعال لقبولها تاء التأنيث .

أما استخدام الشاعر للفعل " نِعمَ " ، فقد ورد في مواضع متفرقة في ديوان البارودي ، وردت في أغراض الثناء أو المديح ، كقوله :

نِعم العتادُ إذا الشفاه تقلّصتْ   يومَ الكريهة في العَجَاج الأربدِ [4]

ولا شك أن اسم " نعم ، وبئس " يجب أن يكون ظاهرا لا مستترا ، إذ لا يجوز البتة أن يقول الشاعر : نعمَ. دون أن يسند الفاعل إلى الفعل . فقوله : العتاد . فاعل الفعل الجامد " نعم " مرفوع بالضمة . ويكمل البارودي البيت السابق ، ليقول :

فلنعمَ ذاك العيشُ لو لم ينقضِ   ولنعمَ هذا العيشُ إن لم ينفَدِ [5]

فهذا البيت بنى فيه الشاعر الشطريين على التركيب نفسه ، فقد جعل اسم الإشارة في محل رفع فاعل للفعل الجامد ، ويكون إعراب الاسم الذي يلي اسم الإشارة بدلا . وقد ورد استعمال " نِعمَ " وفاعلها في قوله :

لا جاهَ لي إلا بطاعته   ولنعِمَ عقبى الطاعة الجاهُ [6]

---

[1] = الديوان – ص90

[2] = أبو البركات الأنباري – الإنصاف في مسائل الخلاف – مصدر سابق – ج1/ص107.

[3] = الديوان – ص404

[4] = الديوان – ص132

[5] = الديوان – ص133

[6] = الديوان – ص705

فقد اكتمل تركيب الجملة الاسمية : نعم عقبى الطاعة الجاهُ . فجعل الاسم المرفوع في قوله : " الطاعـة " فاعلا للفعل الجامد ، وأخّر المبتدأ " الجاه " ، والجملة الفعلية من الفعل الجامد والفاعل في محل رفع خبر مقدّم .

ثانيا : حبذا ولا حبذا :

وهما يتناسبان في التركيب والدلالة مع الفعلين " بئس ونعم " ، مع شيء من المبالغة في المـدح أو الذم ، فـ " حبذا " تزيد على " نعم " في المبالغة في تقريب الممدوح من القلـب [1] ، ولا تلحـق تـاء التأنيث بهما ، وإن كانا في الأصل فعلين ماضيين ، إذ تلازمهما هذه الحالة في المفرد والمثنى والجمع ، وعلى التذكير والتأنيث ، لذلك امتنع زيادة تاء التأنيث عليهما لشمولهما في الاستعمال .

تردُ " حبذا " في الشعر عامة في أغراض المدح والتشوق ، كأن يتقرب الشاعر من ممدوحه ، أو يتودد في التقرب إلى أمر ما . وقد استعمل البارودي هذا الفعل في غرض التشوق أو الحنين إلى الديار ، أكثر من أن يستعمله في المديح ، إذ يقول وهو بسرنديب متشوقا إلى موطنه :

يا حبذا نسَمٌ من جوّها عَـبِـقٌ   يسري على جدول بالماء دفّاقِ
بل حبذا دوحة تدعو الهديل بها   عند الصباح قَمَاريّ بأطواقِ [2]

وتعرب " حبذا " بأن يكون الفعل الماضي هو " حَبّ " ، وفـاعله هـو اسـم الإشـارة " ذا " ، والاسمان المرفوعان : نسَمٌ ، ودوحة . مبتدأ مؤخر ، وخبره الجملة الفعلية من فعل وفاعل . ويـغـلـب ورود "حبذا " مسبوقة بأداة النداء ، كقوله أيضا :

يا حبذا مصرُ لو دامت مودّتها   وهل يدوم لحيٍّ في الورى سكنُ [3]

إذ يغلب على استعمال " حبذا " أن يسبقها حرف النداء ، لتدل بذلك على عموم التمني ، فالشاعر يتمنـى أن تدوم المودة على مصر وأهلها ، وهو عند الشاعر أمر محال ، لأنه أكمل الشطر الثاني قائلا : وهـل يدوم لحي سكن ؟ . فكأنه جعل ديمومة المودة من المحال ، ومثله أيضا قوله :

يا حبذا عصرُ الشباب وحبذا   روضٌ جنيت الوردَ من أكمامهِ [4]

---

[1] = أبو البركات الأنباري – أسرار العربية– مصدر سابق – ص 98
[2] = الديوان – ص371
[3] = الديوان – ص638
[4] = الديوان – ص616 .

فالجملة الفعلية " حبذا " من فعل وفاعل في محل رفع خبر مقدم للمبتدأين : عصر الشباب ، وروض . ولا يخفي الشاعر شوقه إلى عصر الشباب ، وتمنيه أن يرجع به العمر ليعيش شبابه ، ويدل على ذلك قوله آخر القصيدة متلهفا على شبابه :

عَمْري لقد رحلَ الشبابُ وعادني   شيبٌ تحيّفَ لِمّتي بثَغامهِ [1]

أما " لا حبذا " في شعر البارودي فهي أقل استعمالا من " حبذا " ، وقد وردا معا في بيت واحد بقوله :

فلا حبذا الدنيا إذا هي أدبرتْ   وإن أقبلتْ يوما فيا حبذا هِيَا [2]

إن الفعل " لا حبذا " وإن عمِل عمَل " حبذا " ، إلا أنه على العكس تماما من معناه ، فهو يدل على إفادة الذم ، فقد ذم الشاعر الدنيا في حال ، ومدحها في حال آخر ، فهي ذميمة إذا أدبرت من صاحبها وتمنعت عنه ، وجميلة إن أقبلت بملذاتها ومحاسنها . وإعرابهما في الحالين المذموم والممدوح هو الإعراب نفسه ، فـ " لا " حرف نفي لا محلّ له من الإعراب .

ثالثا : فعل التعجب :

وهو ما سماه المبرد باب (الفعل الذي يتعدى إلى مفعول وفاعله مبهم ولا يتصرف تصرف غيره من الأفعال ويلزم طريقة واحدة ؛ لأن المعنى لزمه على ذلك وهو باب التعجب)[3] ، وبناء جملة فعل التعجب في قولك : ما أحسن عبد الله . لا يجوز فيها تقديم الفاعل أو تأخير " ما " ، فلا تزيل شيئا عن موضعه ، ولا تقول فيه : ما يُحسِن ، ولا شيئا مما يكون في الأفعال سوى هذا [4].

وللتعجب صيغتان ، وهما : أفعِلْ به ، وما أفعلَه ! . وقد زيدت الهمزة على الفعل للتعدية ، وضمّت معنى التعجب ، فصار التركيب مختصا بأسلوب التعجب ، ليستغنى عن سواه من تراكيب التعجب، وزيد حرف الجر في صيغة " أفعل به " لأنه لولاها ما دلّ الفعل على التعجب ، فيكون الأسلوب بذلك معرفا لإفادة معنى التعجب ، وتعلقت " ما " التعجبية بأسلوب " ما أفعله " لأنها لا تدخل على الأسماء، فاختيرت الأفعال لتحمل معنى التعجب بدلا منها ، ويرى سيبويه أنه لا يجوز في صيغة " ما أفعله ، وأفعل به " (ما كان أفعل وكان لونا أو خِلقة . ألا ترى أنك لا تقول : ما أحمره ولا ما أبيضه . ولا تقول في الأعرج : ما أعرجه ، ولا في الأعشى : ما أعشاه ... ، وإنما دعاهم إلى ذلك أن هذا البناء داخل في الفعل . ألا ترى قلّته في الأسماء وكثرتها في الصفة لمضارعتها الفعل . فلما كان مضارعا

---

[1] = الديوان – ص616 . الثغام : البياض .

[2] = الديوان – ص728

[3] = المبرد – المقتضب – مصدر سابق – ج4/ص173 .

[4] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص73.

للفعل موافقا له في البناء كُرِه فيه ما لا يكون في فعله أبدا . وزعم الخليل أنهم إنما منعهم من أن يقولــوا في هذه ما أفعله ؛ لأن هذا صار عندهم بمنزلة اليد والرجل وما ليس فيه فعل من هذا النحو)[1] .

إن صيغة التعجب " مــا أفعله ! " أكثر ورودا في شــعر البــارودي مــن صــيغة " أفعل به"، وذلك في الغالب لأن الأفعال التي ترد في صيغة " أفعل به " تتعدى بحرف الجر ، والأفعال التي تتعــدى إلى مفعول أكثر منها . وبذلك يكون إعراب قولك : " ما أحسن زيدا ! " . هو أن : " ما " اســم مرفــوع بالابتداء ، و" أحسن " خبره ، وهو فعل ، و" زيدا " مفعول به ، فتقديره : شيء أحــسن زيــدا . إلا أن معنى التعجب دخله مع " ما " ، ولا يكون ذلك في شيء غير " ما " [2] . ومن الأمثلة على ذلك في شــعر البارودي قوله :

ما أطولَ الليلَ على الساهرِ أما لهذا الليل من آخرِ [3]

فقوله : ما أطول الليل ! . " ما " التعجبية في محل رفع مبتدأ ، والفعــل الماضي " أطــول " مبني علــى الفتحة ، وفاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره " هو " ، و" الليل " مفعول به منصوب بالفتحــة . والجملــة الفعلية من فعل وفاعل ومفعول به في محل رفع خبر للمبتدأ " ما التعجبية " ، ومن ذلك قوله :

ما أطيبَ العيشَ لولا أنه فاني تبلى النفوس ولا يبلى الجديدانِ [4]

فقد وقعت الجملة الفعلية " أطيب العيش " في محل رفع خبر للمبتدأ " ما " التعجبية ، في صدر البيت .

إن " أفعل " في قولك : ما أحسن ! . فعل ، لأنه تلازمه مع ياء المتكلم نونُ الوقاية ، فحركــة الفتحة فيه بناء كالفتحة في الفعل الماضي ، وسواء أكان " أفعل " فعلا أم اسما ، فهــو قليــل الاســتعمال بالمقارنة مع غيره من التراكيب في شعر البارودي كــ " حبذا " ، و" ليس " ، و" عسى " ، وغيرها مــن الأفعال الجامدة ، غير أنه قد يأتي متكررا في بعض الأبيات ، كقوله :

فيا قلبُ ما أشجى إذا الدار باعدتْ ويا دمعُ ما أجرى ويا بين ما أردى

---

[1] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج4/ ص 97، ص98 .
[2] = المصدر السابق نفسه ج4/ص98 .
[3] = الديوان – ص255
[4] = الديوان – ص690

ثم قال بعد ذلك :

حلفتُ بما استولى عليه نِقابها ويا لك حَلفا ما أرقَّ وما أندى [1]

فقد اختار الشاعر صيغة التعجب (ما أفعل !) لتتكرر في البيت الأول ثلاث مرات في قوله : (ما أشجى، ما أجرى ، ما أردى) . وجاءت في البيت الثاني مرتين معطوفتين ، في قوله : (ما أرق ، وما أندى) .

رابعا : الفعل الجامد " عسى " :

" عسى " فعل جامد ناقص ، من أفعال المقاربة لا يتصرف بأي حال من الأحوال ، وتدل على ترجي المتكلم للخبر[2] ، وأفعال المقاربة هي (عسى ، ويوشك ، واخلولق ، وكاد ، وكرب ، وأخذ ، وجعل ، وطفق ... وهذه الأفعال كلها داخلة على المبتدأ أو الخبر ، كـ " كان " وأخواتها ، فما كان اسما لـ " كان " كان اسما لها)[3] ، فوجه الشبه بين أفعال المقاربة ، والأفعال الناقصة ، هو دخولها جميعا على المبتدأ والخبر ، غير أن أفعال المقاربة الأجود فيها أن تستعمل بـ " أنْ " فيكون موضعها النصب ، لتكون مع الفعل الذي يليها في محل تأويل المصدر ، غير أنها لو استعملت بغير " أنْ " فهي من نواسخ الابتداء [4]. والدليل على أنّ " عسى " فعل ، اتصال الضمائر به كالتاء المتحركة ، والألف ، والواو، بالإضافة إلى تاء التأنيث الساكنة .

إن مواضع ورود " عسى " في شعر البارودي قليلة لدلالة الفعل على الرجاء ، ولا شك أن هذا المعنى هو بطبيعته قليل الاستعمال ، وقلما يلجأ الشاعر إلى هذا الفعل لأنه من أفعال الرجاء ، فهو في المعنى نظير " لعل " ، من ذلك قوله :

فماذا عسى الأعداءُ أن يتقوّلوا عليّ وعِرضي ناصحُ الجيْب وافرُ [5]

حيث جعل اسم " عسى " هو " الأعداء " مرفوعا بالضمة ، وخبره محله النصب ، وهو المصدر المؤول في قوله : أن يتقولوا . ومثله قوله أيضا :

---

[1] = الديوان – ص173

[2] = شرح شذور الذهب – مصدر سابق – ص215

[3] = ابن عصفور – المقرب – مصدر سابق – ص152

[4] = انظر : ابن أبي الربيع – البسيط – مصدر سابق –ج2/ص671.

[5] = الديوان – ص241

عسى الله يقضي قربة بعد غُربةٍ   فيفرحَ باللُّقيا أبٌ ووليدُ [1]

فلفظ الجلالة " الله " اسم الفعل الجامد " عسى " مرفوع بالضمة ، وخبره هو الجملة الفعلية من الفعل المضارع المرفوع بالضمة المقدرة للثقل ، والفاعل ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة . والجملة الفعلية من الفعل المضارع والفاعل في محل نصب خبر " عسى " .

ومن الملاحظ في شعر البارودي أن الفعلين " كاد " و" أوشك " مما دل على أفعال المقاربة أكثر استعمالا في شعر البارودي ، لأن معناهما هو حقيقة المقاربة ، وهي في العمل نظير الفعل "كان" (فصارت " كدت " ونحوها بمنزلة " كنت " عندهم ، كأنك قلت : كدت فاعلا ، ثم وضعت " أفعل " في موضع " فاعل ")[2]. ومن أمثلة ذلك قوله :

يكاد يفوق البرق شدّا إذا انبرتْ   له بنتُ ماء أو تعرّض ثعلب [3]

فتركيب الجملة الاسمية للفعل " كاد " كتركيب جملة " عسى " في البيت السابق ، فاسم " كاد " ضمير مستتر تقديره " هو " والخبر هو الجملة الفعلية (يفوق البرقَ شدا) ، وسيأتي الكلام على أفعال المقاربة لاحقا .

خامسا : الفعل الجامد (ليس) :

" ليس " فعل جامد من أفعال " كان " وأخواتها ، يتصل بالجملة الاسمية فينفيها ، وهو من الأفعال التي لا يمكن أن تكون تامة ، ولا تكون إلا بوجود اسمها وخبرها ، وهي من الأفعال ، بدليل قبولها للضمائر المتصلة كلها . ولا سبيل إلى الاستغناء عن " ليس " في الكلام ، لذا فإن مواضع ورودها في شعر البارودي كثيرة متنوعة ، تقع في التراكيب الاسمية والفعلية ، نذكر منها مثالين من شعره ، وهما :

فليس يجني ثمارَ الفوزِ يانعةً   من جنّة العلم إلا صادقُ الهِممِ [4]

وكقوله أيضا :

ولستُ بطالب في الناس خِلاّ   يناصحُني فعقلي قد كفاني [5]

---

[1] = الديوان – ص145

[2] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج3/ص11

[3] = الديوان – ص58

[4] = الديوان – ص512

[5] = الديوان – ص649

ففي البيتين السابقين استعمل البارودي الفعل " ليس " في صدر البيت بالرغم من اختلاف التركيب بينهما اختلافا واسعا ، فتركيب جملة " ليس " في البيت الأول يتكون من اسمها الضمير المستتر الغائب وتقديره "هو " ، وخبرها الجملة الفعلية من الفعل المضارع " يجني " والفاعل الاسم الظاهر المضاف " صادق الهمم" ، ومفعول به مقدم " ثمار الفوز " . والأصل في تركيب الجملة هو : يجني صادقُ الهمم ثمارَ الفوز . واختلف تركيب الجملة : " لست بطالب خلا " . في البيت الثاني ليكون اسم " ليس " الضميرَ المتصل ، وخبرها المجرور لفظا المنصوب محلا " بطالب " .

وخلاصة القول في الأفعال الجامدة هي أنها تشكل لبنة هامة في وحدة النسيج البنيوي لشعر البارودي ، وعنصرا لا يمكن الاستغناء عنه في بناء الجملة الفعلية ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على قدرة الشاعر اللغوية وإلمامه بالنواحي التركيبية للفعل الجامد ، فقد أفاد منها إفادة جيدة وسّعت من بناء الجملة الفعلية في شعره لتكون الأفعال الجامدة والأفعال المتصرفة وحدة واحدة في شعر البارودي .

المبحث الثالث : الأفعال الناقصة :

تعرف الأفعال الناقصة بهذا الاسم لأنها تدخل على الجملة الاسمية فتنسخها من حالة الابتداء والخبر إلى حالة تجعل فيها المبتدأ اسمَها ويصير مرفوعا ، والخبر خبرها ويصير منصوبا ،
وقد سميت نواسخَ الابتداء ؛ (لأن الابتدأء رفع المبتدأ ، فلما دخلت عليه النواسخ نسخت عمله وصار العمل لها)[1] .

إن باب الأفعال الناقصة ذو مداخل عديدة في النحو ، إلا أننا فضّلنا ذكره – على وجه الإيجاز– للعلم بأن البارودي لم يتوانَ عن الاستدلال به ورفد شعره منه ، فظهرت الأفعال الناقصة في ديوانه على نوعين ، وهما :

أولا : " كان " وأخواتها :

يكثر استعمال " كان " وأخواتها في شعر البارودي ؛ لِما لها من مدلولات لا يمكن الاستغناء عنها ، فقد أفردت كلّ كتب النحو بلا استثناء حديثا مفصلا عنها ، فوضع النحويون لها أبوابا وفصولا وبحوثا ليس لها حصر ، فذكر سيبويه أن (قولك : كان ، ويكون ، وصار ، وما دام ، وليس ، وما كان نحوهنّ من الفعل مما لا يستغني عن الخبر . تقول : كان عبد الله أخاك ، فإنما أردت أن تخبر عن الأخوّة، وأدخلت " كان " لتجعل ذلك فيما مضى)[2] .

ولا شك أن الفعل الناقص " كان " وأخواتها من النواسخ التي تدخل على الجملة الاسمية ، مثلها في ذلك مثل " إنّ " وأخواتها ، غير أن عملها هو أن ترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى

---

[1] = شرح المكودي – مصدر سابق – ج1/ص193.
[2] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص45

خبرها ، ولكنّ هذا لا ينفي أن تكونَ أفعالا ، وإن كانت ناقصة ، أو جامدة لا تتصرف كـ " ليس" . ويكثر ورود " كان " أكثر من غيرها من النواسخ ، ومن أمثلة دخول " كان " على الجملة الاسمية لا حصر لها في كافة أجزاء البيت والقصيدة ، كقول البارودي :

سلامة عِرضي في خِفارة صارمي وإن كان مالي نُهبةً للمكارمِ [1]

فقوله : كان . فعل ماض ناقص دخل على الجملة الاسمية : (مالي نهبة للمكارم) ، فصار المبتدأ (مالي) اسمها ، والخبر (نهبة) خبرها . وكقوله :

فما كنت إلا الليثَ أنهضه الطَّوى وما كنتُ إلا السيفَ فارقه الغِمدُ [2]

فقد جاء التركيب في البيت السابق على نحو ما يعرف بالتشطير ، وبذلك يكون الشاعر قد كرر التركيب في شطري البيت ، بعد أن بناه على جملة " كان " الاسمية . وقد يطيل الشاعر من تركيب البيت بعد أن يفصل اسم " كان " عن خبرها ، كقوله في القصيدة التي ورد فيها الشاهد السابق :

إذا كان عقبى كل شيء وإن زكا فناءٌ فمكروهُ الفناء هو الخلدُ [3]

فاسم كان هو الاسم المرفوع المؤخر " فناء " ، وقد تأخر عن خبرها المضاف " عقبى كل شيء "، وحركته الإعرابية هي الفتحة لأن خبر " كان " منصوب ، غير أنها مقدرة منع من ظهورها التعذر ؛ لكونها ختمت بالألف . وقد فصل بين الاسم والخبر بالجملة الشرطية المعترضة (وإن زكا) ، وجعل جملة " كان " تتوسط البيت السابق .

أما الفعل الجامد " ليس " ، فيكثر في شعر البارودي لما له من دلالة على النفي ، وقد (اتفق النحويون على تقديم أخبارها على أسمائها ، ما لم يمنع من ذلك مانع)[4] ، ومن مواضع ورود " ليس " قول البارودي :

ليس السرور الذي يأتي الزمانُ بهِ يفِي بقدر الذي يمضي من الحَزَنَ [5]

---

[1] = الديوان : ص563

[2] = الديوان : ص142

[3] = الديوان : ص142

[4] = انظر : ابن أبي الربيع – البسيط – مصدر سابق – ج/ص676.

[5] = الديوان – ص659

ويقول :

فليس لِمن تُقصيه في الناس نافع   وليس لمن تدنيه في الناس ضائر [1]

ففي البيتين السابقين ظهر الفعل الجامد في صدر البيت ، وقد جاء اسمه ظاهرا ، في قوله : (السرور) ، ومتأخرا عن خبره في قوله : (نافع ، وضائر) ، أما الخبر في البيت الأول فهو الجملة الفعلية في قوله : (يفي بقدر الذي يمضي) ، وخبر " ليس " في البيت الثاني هو الجار والمجرور في قوله : (لمن تقصيه، لمن تدنيه) .

أمثلة استعمال " أصبح ، وغدا ، وأمسى ، وبات ، وأضحى " في شعر البارودي متكررة ، ومن ذلك قوله:

وأصبحتُ مغلولَ اليدين عن التي   أحاولها والدهرُ جمّ الغوائــل

صريعَ لُباناتٍ تقسّمــنَ نفـســه   وغادرنه نهبَ الأكفّ الخواتلِ [2]

ففي الجملة الاسمية المنسوخة في البيتين السابقين إطالة واضحة ، فقد جاء اسم " أصبح " ضميرا متصلا في الفعل ، أما خبرها فتكرر مرتين في البيت الأول في قوله : (مغلول اليدين) ، وفي صدر البيت الثاني بقوله : (صريع لبانات) . ومثل ذلك قوله :

وأصبحت مفلولَ المخالب بعدما   سطوتُ ولي في الخافقين زئيرُ [3]

فكان تركيب البيت السابق مشابها لما قبله على نحو : (أصبح + اسم " أصبح " ضمير متصل + خبرها المضاف + مضاف إليه) . ومثل ذلك أيضا قوله :

وأصبحت مغلوب الرشاد وقلّما   يعود رشيدا صالحَ القلب من يَغوى [4]

فقد ذكر تركيب جملة " أصبح " على نحو ما ذكرنا في البيت السابق . ويقول أيضا ذاكرا فعلين ناقصين في بيت واحد :

وقد كنت أخشى أن أراكِ سقيمة   فكيف وقد أصبحتِ في الترب أعظما [5]

---

[1] = الديوان – ص268

[2] = الديوان : ص466.

[3] = الديوان : ص209

[4] = الديوان – ص711. الفعل " يغوى " على الضرورة الشعرية ؛ لأن الأصل أن يقول " يغوي " .

[5] = الديوان – ص558

فقد جاء بـــ " كان " متصلة باسمها ضمير المتكلم ، وخبرها الجملة الفعلية في قوله : (أخشى). بالإضافة إلى قوله : (أصبحت في الترب أعظما) فجملة " أصبح " دخلت على الضمير المتصل والخبر في قوله : (أعظما) .

أما الفعل " غدا " فصورته كصورة الفعل " أمسى ، وبات " لأنه يدل على معنى قريب من حيث الدلالة الزمنية . من ذلك قول البارودي :

فكيف أمسي بغير قلب   يا نورَ عيني وكيف أغدو [1]

فكل من قوله : (كيف أمسي ، وكيف أغدو) يحملان التركيب نفسه ، فقد قدّم الخبر على صورة اسم الاستفهام " كيف " وجعل اسم كل من (أمسى ، وأغدو) ضميرا مستترا تقديره " أنا " .

ويقول في موضع آخر :

وغدوت بعد الكبرياء على   كل الورى بالعجز أعترفُ [2]

فاسم " غدا " هو الضمير المتصل ، والخبر هو الجملة الفعلية المتأخرة في قوله : (أعترف) . ويقول في الفعل " بات " :

أبيت في غربة لا النفس راضية   بها ولا الملتقى من شيعتي كَثَبُ [3]

وكثيرا ما يرد اسم الفعل " بات " ضميرا متصلا ، وقد وردت نماذج كثيرة على ذلك [4] . أما الفعل "أضحى " فيقول فيه :

أضحت قذىً لعيون الغانيات وقد   كانت حِبالة أبصار وأذهانِ [5]

فقوله : (قذى) خبر الفعل الناقص " أضحى " ؛ لأن اسمه ضمير مستتر يعود على ما قبله .

---

[1] = الديوان – ص168.

[2] = الديوان – ص353 . وانظر : الديوان – ص130

[3] = الديوان – ص74

[4] = انظر : الديوان – ص100، ص110 ، ص728 ، ص286 ، ص450 ، ص370 .

[5] = الديوان – ص690 .

ومن الأفعال الناسخة المستعملة في شعر البارودي الفعل الناقص (راح ، وعاد) بمعنى صار [1] ، ويتكرر الفعل " عاد " أكثر من (راح ، وصار)[2] ، ويظهر ذلك في قوله :

فرحتُ كأني خامرتني سبيئة   من الراح مَن يعلَق بها الدهرَ لا يسلو [3]

فاسم " راح " هو الضمير المتصل ، وخبرها هو الجار والمجرور في قوله : (كأني خامرتني سبيئة) ، فقد جعل " أنّ " وجملتها المنسوخة مصدرا مؤولا في محل جر بحرف الجر . ومن أمثلة دخول الفعل "عاد " على الجملة الاسمية قول البارودي :

فعادت صورة الجثمان عطلا   لفقدك مثل دينار المسيح [4]

فاسم " عاد " هو : (صورة الجثمان) ، أما خبره فهو الاسم المنصوب (عطلا) .

وقد يرد كثيرٌ من الأفعال الناقصة في مواضع متفرقة ، بحيث لا تخلو القصيدة الواحدة من استعمال فعل ناقص سواء كان ماضيا أم مضارعا أم أمرا ، ومن أمثلة ذلك قول البارودي :

ولا زالت الأعيادُ تجري سُعودُها   عليك وتحظى من عُلاك بإيناسِ [5]

فقد اكتمل تركيب جملة الفعل الناقص في الشطر الأول من البيت السابق ، إذ رفع اسم " لا زال " بالضمة في قوله : (الأعيادُ) ، وجعل الجملة الفعلية من الفعل المضارع والفاعل المضاف في محل نصب خبر " لا زال " في قوله : (تجري سعودها) . ويقول أيضا في موضع آخر :

لا زلتَ في فلَك المعالي كوكبا   تُهدي الضياء لأعين وقلوبِ [6]

---

[1] = انظر : ابن أبي الربيع – البسيط – مصدر سابق – ج2/ص668.
[2] = انظر : الديوان – ص73 ، ص286 .
[3] = الديوان – ص316.
[4] = الديوان – ص115
[5] = الديوان – ص291
[6] = الديوان – ص63 . وانظر : الديوان – ص133 ، ص676 .

وقد وردت صورة الفعل " لا زال " منفية في النماذج السابقة وغيرها في ديوان البارودي ، لأن كلا من الأفعال (" زال ، وبرح ، وفتئ ، وانفكّ " لا تعمل العمل المذكور إلا بشرط أن تكون متبعة لنفي أو شبهه)[1] . ومن أمثلة الفعل الناقص " صار ، وظلّ ، وما برح " قول البارودي :

صار بحكم الهوى مليكي　　　وما لحكم الهوى مردُّ [2]

ويقول :

يظل في نَصَب حرّانَ مرتقبا　　　نقعَ الصدى بين أسحار وآصالِ [3]

ويقول أيضا في الفعل " لا برح " :

ولا برحت تمتار منك يد الصبا　　　أريجا يداوي عُرفُه كلَّ ناشقِ [4]

فقد جعل اسم (صار ، وظل ، ولا برح) ضميرا مستترا تقديره " هو ، أو هي " ، أما خبر"صار" فهو (مليكي) ، وخبر " ظل " هو (حرّان مرتقبا) ، وخبر " لا برح " هو الجملة الفعلية في قوله : (تمتار منك يد الصبا) . وربما جعل صورة الفعل الناقص تتكرر في أكثر من بيت بصورة مرتبة من القصيدة ، كقوله :

لِتهنَ بك الدنيا فأنت جمالهــا　　　فلولاك أمسى جِيدها وهْــو عاطلُ
ودُم للعُلا ما ذرّ بالأفق شارقٌ　　　وما حنّ من شوق على الأيْك هادلُ
ولا زالت الأيام تتلو مدائحي　　　عليك ويُمليها الضحى والأصائــلُ [5]

فقد جعل كلا من (أمسى ، دُم ، لا زال) أفعالا ناقصة في كل بيت من الأبيات الثلاثة السابقة بقوله في البيت الأول : (أمسى جيدها وهو عاطل) ، وقوله في البيت الثاني : (دم للعلا) ، وكذلك قوله في البيت الثالث : (لا زالت الأيام تتلو مدائحي) .

---

[1] = شرح المكودي – مصدر سابق – ج1/ص194 .
[2] = الديوان – ص168
[3] = الديوان – ص452 . وانظر : الديوان – ص56 .
[4] = الديوان – ص390
[5] = الديوان – ص462

ثانيا : أفعال المقاربة والرجاء :

(أفعال المقاربة وهي ثلاثة : كاد ، وكرب ، وأوشك ، وضعت لدلالة الخبر . وأفعال الرجاء وهي أيضا ثلاثة : عسى ، وحرى ، واخلولق . وضعت للدلالة على رجاء الخبر)[1] ، وأفعال الرجاء من حيث العمل كـ " كان " وأخواتها ؛ لأنها مستوية في اللحاق بها في رفع الاسم ونصب الخبر ، لأنها مثلها في الدخول على مبتدأ ، وخبر في الأصل ، لكن التزم في هذا الباب كون الخبر فعلا مضارعا إلا فيما ندر ، مما جاء مفردا [2] . ولم تكن أفعال المقاربة أقل حظا في الاستعمال من " كان " وأخواتها ، غير أن تركيز البارودي كان منصبا على كل من الفعلين " كاد، وعسى " ، كقوله :

يكاد يرفضّ هوىً كلّما لاح له البرق من الأبرقِ [3]

فقد جعل اسم " كاد " ضميرا مستترا ، وخبرها هو الجملة الفعلية الغالب بناء خبر " كاد " على نحوها وهو (الفعل المضارع + ضمير مستتر) في قوله : (يرفض هوى) . وقوله : (هوى) تمييز منصوب . ومثل ذلك قوله يذكر اسم " كاد " :

يكاد صوت البُزاة القمر يقذفه من وكره بين هابي التربِ جوّالِ

حتى قال :

ولا تكاد يدي تُجري شَبَا قلمي وكان طوعَ بناني كلّ عسّـــال [4]

فقد ذكر اسم " كاد " وخبرها في البيتين السابقين على التركيب نفسه ، في قوله : (صوت البزاة يقذفه) ، و(يدي تجري شبا قلمي) .

إن استعمال الفعل " كاد " هو الغالب على جميع أفعال المقاربة ؛ لوروده بكثرة في شعر البارودي[5]، فمرة يظهر متصلا باسمه ، ومرة يكون اسمُه مستترا ، أو اسما ظاهرا ، وهذا التكرار يُجلي حقيقة أن "كاد" تحظى عند البارودي باهتمام كبير .

أما الفعل الجامد عسى فيقلّ استعماله كثيرا عن " كاد " لكونه جامدا ، غير أنه يرد في مواضع كثيرة من الديوان ، وقد أشرنا إليه في المبحث السابق .

---

[1] = حاشية الصبان – مصدر سابق – ج1/ص405

[2] = انظر : شرح ابن الناظم – مصدر سابق – ص110.

[3] = الديوان – ص366.

[4] = الديوان – ص 452، ص453

[5] = انظر : الديوان – ص58 ، ص99، ص366 ، ص 563 ، ص474 .

المبحث الرابع : المعلوم والمجهول في شعر البارودي :

الفاعل عند النحويين كل كلمة تقدمها فعل أو اسمٌ جارٍ مجرى الفعل [1] ، والأصل في الفعل أن يكون مبنيا للمعلوم ، ومعنى ذلك أن يعلم للفعل فاعل قام به ، وما دام الأصل في الفعل أن يكون معلوما ، فإن الحالات التي يُبنى فيها على المجهول تكون مقصورة على أسباب تسوّغ حذف الفاعل ، وورود الفعل المبني للمعلوم أكثر بكثير من الفعل المبني للمجهول .

يقسم الفاعل إلى قسمين من حيث الشكل : فاسم ظاهر ، وهو أكثر حالات الفاعل استعمالا ، ومضمر ، وذلك بأن يكون ضميرا مستترا أو منفصلا ، وقد يرد الفاعل مصدرا مؤولا إن جاز تقدير أصله ، والغالب في هذه الحالات أن يكون الفاعل اسما ظاهرا أو ضميرا مستترا ، كقول البارودي :

مضى " حسنٌ " في حلبة الشعر سابقا   وأدرك لم يُسبَقْ ولم يَألُ " مسلمُ "
وباراهما " الطائي " فاعترفتْ له   شهود المعاني بالتي هي أحكمُ
وأبدع في القول " الوليدُ " فشعره   على ما تراه العين وشيٌ منمنَمُ
وأدرك في الأمثال " أحمدُ " غاية   تبزّ الخطى ما بعدها مُتقدم
وسرت على آثارهم ولربّما   سبقتُ إلى أشياءَ والله أعلمُ [2]

فقد جعل كلاّ من الأعلام الأربعة يقع فاعلا في قوله : (مضى حسن ، ولم يألُ مسلم ، وباراهما الطائي ، وأدرك أحمد) . ولعل في ذلك إشارة إلى أن أولئك الشعراء كان لهم حضور في شعر البارودي ، بمعنى أن البارودي قد أفاد منهم ، وقد ذكرت في هذه الدراسة بعض المواضع التي أفاد البارودي فيها من المتنبي وغيره من الشعراء .

إن الصورة العامة في بناء الجملة الفعلية عند البارودي أن تكون مبنية على المعلوم ، وأن يكون الفاعل ضميرا مستترا أو اسما ظاهرا ، كقول البارودي في قصيدة واحدة :

أطلقتَ كلّ مقيّد وحللتَ كـ   ـلَّ معقد وجمعتَ كلّ مُبدّدِ
وتمتّعت بالعدل منك رعيّةٌ   كانت فريسة كلِّ باغٍ مُعتدِ
فاسلم لخير ولاية عزّت بها   نفسُ النصيح وذلّ كلّ مُفنّدِ
ضرحتْ قذاة العين عن جفن الهدى   وسرتْ قناع اليأس عن أملٍ ندِ [3]

---

[1] = ابن أبي الربيع – البسيط – مصدر سابق – ج1/ص261 .
[2] = الديوان – ص565 ، ص566
[3] = ضرحت : دفعت وطرحت .

ضمّتْ إليك زمــام كــل مثلّثٍ   وثنــت إليك عِنانَ كلّ موحّدِ
وتألفت بعــد العــداوة أنفــسٌ   سكنتْ بعدلــِك في نعيم سَرمدِ [1]

فلو نظرت إلى الأبيات الستة السابقة لوجدت أن الأفعال فيها مبنية للمعلوم ، وتتصدر أول الأبيات السابقة كلها حتى آخر القصيدة . أما فاعل هذه الأفعال فهو في الغالب ضمير مستتر . فقد جاء الفاعــل ضــميرا متصلا ثلاث مرات في الأفعال الآتية : أطلقتَ ، وحللتَ ، وجمعتَ . وجاء الفاعل ضميرا مستترا ســتَّ مرات ، في قوله : اسلم ، وضرحت ، وسرت ، وضمت ، وثنت ، وسكنت . وورد الفاعل اسما ظــاهرا أربع مرات ، في قوله : تمتعت رعية ، وعزت نفس النصيح ، وذلّ كلّ مفنّد ، وتألفت أنفس . وقليلا مــا يرد الفاعل مصدرا مؤولا ، كقوله :

ألم يأنِ أن يرضى عن الهــمِّ مغرمٌ   أم ِالعمْر يفنى والمآربُ تُعدَمُ [2]

فقوله : أن يرضى مغرم . مصدر مؤول في محل رفع فاعل ، وتقدير الفاعل المؤول هو : ألم يأنِ رضــا مغرم عن الهمّ ، ويرى سيبويه أن المصدر المؤول هو في الأصل اسم (ألا ترى أنك تقول : بلغنــي أنّ زيدا جاء ، فــ" أنّ زيدا جاء " كله اسم . وتقول : لو أن زيدا جاء لكان كذا وكذا ، فمعناه : " لو مجــيء زيد " ، ولا يقال : لو مجيء زيد)[3] ، لأنه لا يصح أن يحل الاسم مكان المصدر المؤول وإن جاز فيــه التأويل .
ومثل ذلك أيضا قول البارودي :

أيجمُلُ بالعهد أن يستباح   لواش ٍ وللــودّ أن يُقطعا [4]

فقوله : أن يستباح . مصدر مؤول في محل رفع فاعل ، وتقديره : هل يجمل اســتباحة العهــد ؟ ، لأنــه يرتفع بالفاعلية للفعل " يجمل " .

وقد يتقدم المفعول به على الفاعل ؛ (لأنه جار على غير الرتبة ، وذلك أن حكم الفاعل التقديم ، لافتقار الفعل إليه ، ولكنهم قدموا المفعول لدلالة الإعراب عليه ، فاكتسبوا بتقديمه ضربا من التوسع فــي الكلام ، لأن في كلامهم الشعر المقفى والكلام المسجع ... ، وربما اتفق أن يكون الــسجع فــي الفاعــل

---

[1] = الديوان –ص121 ، ص122
[2] = الديوان – ص603
[3] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج11/3 .
[4] = الديوان – ص326

فيؤخرونه لذلك)[1] . وتأخير الفاعل للعلة المذكورة هو كثير في شعر البارودي ، فتجد القصيدة الواحدة التي يكون حرف الروي فيها مضموما يكثر فيه تأخير الفاعل وتقديم المفعول ، ومن ذلك قول البارودي :

حسبتُ الهوى سهلا ولم أدرِ أنّه   أخو غدَراتٍ يتبع الهزلَ جدُّهُ [2]

والشاهد في البيت قوله : يتبع الهزلَ جـــدُّه . فالأصل في ترتيب الجملة الفعلية أن تكون : يتبع جدُّ الهوى الهزلَ . وقد قدّم الفاعل لعلتين : وهما أن الفاعل تعلّق به الضمير المتصل العائد على الهوى ، والثاني أن عجُز القصيدة كلها على نفس ما انتهى الفاعل ، وما دام تقديم المفعول به " الهزل " لم يُخلَّ في المعنى أو الإعراب فلا بأس من تقديمه لغايات بلاغية ، وقد أكثر الشاعر من تقديم المفعول على الفاعل لعلـــة مـــا ذكرنا ، لكونه جاء لحاجة الشاعر إلى القافية ، كقوله في القصيدة نفسها :

وقد كنتُ أولى بالنصيحة لو صغا   فؤادي ولكنْ خالف الحزمَ قصدُهُ

إلى أن قال :

فما كلُّ حيٍّ ينصر القولَ فعلُهُ   ولا كلّ خـــِلّ يصدق النفس وعدُهُ

فتركيب الجملة الفعلية في عجز الأبيات السابقة في القصيدة نفسها ، وهي : (خـــالف الحـــزمَ قـــصدُه ، ويصدق النفسَ وعدُه) تكرر كثيرا ، فقد بنى الشاعر الجملة الفعلية على هذا النحو : (فعل + مفعول بـــه مقدم + فاعل مؤخر) ، كقوله أيضا في القصيدة نفسها :

ولكن إذا لم يُسعد المرء جَـــدُّهُ   على سعيه لم يبلغ السؤلَ جِدُّهُ
وما أنا بالمغلوب دون مرامهِ   ولكنه قد يخـــذل المرءَ جهـــدُهُ [3]

فالتقديم في البيت السابق وقع على المفعول به " السؤل ، والمرء " ، والتأخير وقع على الفـــاعـــل " جده، وجهده " .

---

[1] = الأعلم الشنتمري – النكت في تفسير كتاب سيبويه – مصدر سابق – ج1/ص246
[2] = الديوان – ص123
[3] = الديوان – ص125

الفعل المبني للمجهول :

وهو الفعل الذي حذف فاعله وحل محلَّ مفعولِه نائبُ الفاعل ، لذا فقد سُمّي نائبُ الفاعل بالمفعول الذي لم يسمّ فاعله ، وهو (رفعٌ ، نحو قولك : ضُرِب زيد . وظُلِم عبدالله . وإنما كان رفعا وحدّ المفعول به أن يكون نصبا ، لأنك حذفت الفاعل ، ولا بد لكل فعل من فاعل ، لأنه لا يكون فعل ولا فاعلَ ، فقد صار الفعل والفاعل بمنزلة شيء واحد ؛ إذا كان لا يستغني كل واحد منهما عن صاحبه ، كالابتداء والخبر)[1] ، فيكون بحذف الفاعل من فعله لأغراض عدة كأن يكون فاعله معلوما بالضرورة ، أو لجهل صاحبه به ، أو لضعة ، أو رفعة ، أو خوف ، أو إيهام ، أو وزن ، أو سجع ، أو إيجاز . فينوب عنه المفعول به فيما له [2] ، وإن كان الفعل متعديا إلى مفعولين أو ثلاثة فيقام الثاني مقام الأول ويحذف الفاعل ويقام المفعول به مقامه ، ويبقي الكلام بغير اسم منصوب لأن الذي كان منصوبا قد ارتفع ، وإن كان الفعل يتعدى إلى مفعولين يقوم أحد المفعولين مقام الفاعل ، وبقي منصوبٌ واحد في الكلام ، وكذلك إن كان الفاعل يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، يقوم أحد المفعولات مقام الفاعل ، ويظل في الكلام اسمان منصوبان[3] ، (فيعطى ما كان للفاعل من لزوم الرفع ، ووجوب التأخر عن رافعه ، وعدم جواز حذفه)[4]، وإذا كان الفعل يستوجب الفاعل ، فإن الفاعل يستوجب ما ينوب عنه ، و(إذا كان المفعول به مشغولا بحرف الجرّ وحذفت الفاعل ، كان لك أن تقيمه مقامه . وإن ذكرت معه الظروف المتمكنة والمصدر الموصوف ، كنت مخيرا في إقامة أيهما شئت مقام الفاعل)[5] .

إن ورود الفعل المبني للمجهول يتوزع في مواضع شتى من ديوان البارودي ، فيكثر في الفعل اللازم الذي لا يتم بناؤه للمجهول إلا إذا تعدى بحرف الجر فيجوز أن يُبنى للمجهول، ومن أمثلة ذلك :

فكم بين مفقود يعاش بغيرهِ وآخرُ يُزري بالهوى والوسائلِ [6]

فالفعل المبني للمجهول هو " يعاش " ، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره " هو " يعود على لفظة "مفقود". وأكثر من ذلك أن يأتي الشاعر بالفعل المبني للمجهول من أصل الفعل المبني للمعلوم، والذي تعدى إلى مفعول واحد ، كقول البارودي :

---

[1] = المبرد – المقتضب – مصدر سابق – ج4/ص50

[2] = انظر : السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج1/ص518.

[3] = انظر : ابن السراج – الأصول – مصدر سابق – ج1/ص86–ص87 .

[4] = شرح ابن عقيل – مصدر سابق – ج1/ص453

[5] = ابن الدهان – الفصول في العربية – ط1 – مصدر سابق – ص 15.

[6] = الديوان – ص496

تُزَفُّ بألحان المثاني كؤوسُـــهـــا كما زُفــّتِ الحسناءُ بالطبل والزمْرِ
كُميتٌ جرتْ في حلبة الدهر فانطوتْ ثميلتُها والخيلُ تُحمَد بالضُّــمْـــرِ [1]

فالفعل " تُزفّ ، وزُفّت " مبنيان للمجهول ، لأن الأصل في الأول أن يكون فاعله معلوما ، غير أنه بنـــي الفعل للمجهول لعدم حاجته إلى ذكر الفاعل ، وأبدِل بنائب ينوب عنه وهو : " كؤوسها ، والحـــسناء " . أما في البيت الثاني فقد جعل الشاعر الفعل الماضي المبني للمجهول ونائب فاعله : انطوت ثميلتها . بديلا عن المبني للمعلوم : طوى . ويقول أيضا في مدح مصطفى صادق الرافعي الأديب المعروف :

صاغ الحديث بإتقان فلو تُليتْ صدوره عُلمت منها قوافيهِ [2]

فالفعل المبني للمجهول هما " تلِيت ، عُلِمت " وقد تبعهما نائب الفاعل " صدوره ، قوافيه " .

إن اللغة العربية لا تبني الفعل اللازم إلى المبني للمجهول ، إذ لا يصح ذلك في الكـــلام لحاجـــة الفعل إلى ما ينوب عن فاعله ويقوم مقامه ، فــ (لا يجوز أن تقول : قيم زيد ، ولا جُلِـــس عمـــرو ، إذا كنت إنما تبني الفعل للمفعول ، فإذا كان الفعل لا يتعدى إلى مفعول فمن أين لك مفعول تبنيه لـــه ؟)[3] ، وهذا موجود في كثير من اللغات ، فقد أكد " بالمر " أن المفعول به يصبح نائبا للفاعل في الجملة المجهولة في كثير من اللغات [4].

إن أقسام نائب الفاعل هي كأقسام الفاعل في الصورة ، وهي : أن يكون اسما ظاهرا ، أو ضميرا مستترا ، أو مصدرا مؤولا ، ومن أمثلة ذلك قوله :

أُحَمِّل صدر النصل فيه سريرةً تُعدّ لأمر لا يحاوَل ردُّهُ [5]

فقد ورد في البيت السابق فعلان مبنيان للمجهول ، الأول وهو " تُعد " ، وقد استتر نائب الفاعل فيه علـــى الضمير " هي " ، والثاني وهو " يحاوَل " وقد ورد نائب الفاعل فيه اسما ظاهرا ، ومثل ذلك قوله :

---

[1] = الديوان – ص261
[2] = الديوان – ص707
[3] = ابن السراج – الأصول – مصدر سابق – ج1/ص86
[4] = انظر : شرف الدين الراجحي – المبني للمجهول – مرجع سابق – ص25 .
[5] = الديوان – ص128

فيا بن من تزدريه النفس من ضَعَةٍ   فما يُحسّ له وجدٌ وإعدامُ [1]

فالفعل المجهول " يُحسّ " نائب فاعله هو " وجد " ، وقد يرد ضميرا مستترا ، وهو كثير أيضا ، وخاصة ما كان منه في آخر البيت جريا على الوزن والقافية ، كقوله :

انظر إليّ تجد خيالا باليا   تحتَ الثياب يكاد ألا يُنعتا [2]

ولا شك أن الفعل المبني للمجهول هو فعل في طبيعة الحال ، وما يجري على الفعل المعلوم يجري عليه من تقديم أو تأخير أو حذف ، لذا فقد يجعله الشاعر في عجز البيت ويضمر نائب الفاعل ، كقوله في البيت السابق : " يُنعت " . وكقوله في قصيدة واحدة :

فبتُّ من وصلها في نعمة عظمتْ   ما شئت أو جنــة أبوابُها فُتحتْ

فقوله : فُتحت . فعل مبني للمجهول ، قدر فيه الشاعر نائب الفاعل على الضمير العائد على " أبوابها " ، ثم يكمل القصيدة إلى أن يقول :

وليلةٍ سال في أعقابها شفقٌ   كأنها بحسام الفجر قد ذُبحــتْ [3]

والبيتان السابقان من قصيدة واحدة ، اختار الشاعر قافيتها ووزنها لتتلاءم والفعل المبني للمجهول "ذُبحت"، وقد يظهر على الشاعر الرغبة في ختم البيت بفعل مبني للمجهول، وإن يكن لفظ الفعل المبني للمجهــول غريبا على الأسماع ، كقوله في قصيدة يذم بها أهل عصره :

يا جيرة الحيِّ ما لي لا أنال بكم   معونة وبكم في الناس يُعتوَنُ [4]

فالفعل المضارع " يُعتوَن " شديد المخرج ، ثقيل على اللسان ، لا يتناسب وطبيعة الإيقاع الشعري ، وإن كــان المعنى صحيحا ، لأنــه قصــد به الفعل المبني للمجهول " يُستعــان " الــذي لا يتفــق والــوزنَ الشعريّ ، فــزاد علــى جذر الفعــل " عون " الألف والتاء . ثم أكمل القصيدة قائلا :

---

[1] = الديوان – ص578

[2] = الديوان – ص93

[3] = الديوان – ص110

[4] = الديوان – ص638

وأيّ حيٍّ وإن طالت سلامته يبقى وأيّ عزيز ليس يُمتهَنُ

فالفعل " يمتهن " سهل المخرج ، أكثر من الفعل السابق " يعتون " ، وكلاهما مبني للمجهول ، ونائب الفعل فيه هو الضمير المستتر ، ومثله أيضا الفعل المضارع " يؤتمن " في قوله :

فلا صديقَ يراعي غيبَ صاحبهِ ولا رفيقَ على الأسرار يُـؤتمَـنُ [1]

فقد استدعى الشاعر الفعل المبنيّ للمجهول على هذا البناء ؛ لأنه دلّ فيه على إطلاق أحكام عامة ، ولعله أراد أن تكون دلالة الفعل المبني للمجهول عامة لا يقصد بها الحديث عن شخص ما بعينه ، وإنما أراد أن يعبر عن طبيعة الحالة أو التجربة ، فهو لا يذمّ بني عصره لمجرد أنهم كذلك ، بل لأنه رأى منهم ما جعله يستعين بالفعل المبني للمجهول ليعمم نتيجة تجاربه ، فتكون بمثابة الحِكم التي تجري على ألسنة الناس مجرى الأمثال .

إن استعمال الفعل المبني للمجهول في الكلام شعرا ونثرا ، لا يحتاج إلى ما يسوغه أو يعلل استعماله ، فالحاجة إليه هي وحدها التي تسوغ استعماله في تركيب الجملة ، بحيث لا يلجأ إليه المتكلم إلا وقد أفاد في ذهن السامع معنى يستغني فيه عن بناء المعلوم إلى المجهول .

المبحث الخامس : النفي والنهي في الجملة الفعلية :

أولا : النفي في الجملة الفعلية :

إن الأصل في الجملة الفعلية أن تكون مثبتة ، لأن الإثبات في الأفعال هو الأصل ، وهذا يعني ألا يحتاج الإثبات إلى دليل أو أداة قرينة تثبت وجوده ، غير أن الدليل على إثبات الفعل أيا كان هو عدم اقتران أدوات النفي وحروفه في الفعل ؛ (لأن النفي من العوارض المهمة التي تعرض لبناء الجملة فتفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة الاسمية والفعلية على السواء . فالنفي يتجه في حقيقته إلى المسند ، أما المسند إليه فلا ينفى ، والجملة الفعلية فإن النفي فيها لا بد أن يتصدر الفعل وحده ، لأن الفعل هو المسند ، وهو مقدم ضرورة على الفاعل)[2] . ولا شك أن نفي الفعل هو بحد ذاته نفي للجملة الفعلية كاملة ، لذا فإن أدوات النفي تتقدم الأفعال حتى يعلم بذلك وجود حالة النفي في الجملة الفعلية ، ليـأمَن القائل عدمَ وقوع اللبس في الكلام . ويُقصد بأدوات النفي هي " لم ، لما " اللتان تجزمان فعلا واحدا ، و"

---

[1] = الديوان – ص640، ص641

[2] = انظر : محمد حماسة عبد اللطيف – بناء الجملة العربية – مرجع سابق – ص 225

لن " التي تنصب الفعل المضارع ، و" ما وإن " ، وهي كلها تدخل على الفعل الماضي والمضارع ، وتعمل فيه عمل " لم ، ولما " ، فتجزمان الفعل المضارع ، وينصب المضارع بـ " لن " ، وقد ينفى الفعل المضارع بـ " ما ، ولا النافية ، وإن " دون أن تتغير حركته الإعرابية ، وهذه الأدوات لا محل لهما من الإعراب . أما النفي بالفعل الجامد " ليس " فلا يكون إلا للجمل الاسمية التي يدخل عليها.

إن دخول أدوات النفي على الأفعال دون الأسماء هو ما يعنينا في هذا المبحث إذ إن ثمة فرقا بين نفي الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، فلو قلت : ما فعلتُ . كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول ، وإذا قلت : ما أنا فعلت . كنت نفيت عنك فعلا ثبت أنه مفعول [1].

<u>وتقسم الأدوات النافية من حيث عملها في الفعل إلى قسمين :</u>

الأول : الأدوات العاملة : وهي " لم ، لمّا " الجازمتان للفعل المضارع ، و" لن " الناصبة للفعل المضارع . وهذه الأدوات العاملة لا تدخل إلا على الأفعال المضارعة فحسب .

الثاني : الأدوات غير العاملة : وهي التي لا تحدث فرقا إعرابياً ، أو تغييراً في الموقع أو الحركة الإعرابية ، من حيث كونها أدوات لا محل لها من الإعراب ، وهذه الأدوات هي " لا " النافية و" ما " النافية ، وتدخلان على الفعل الماضي كدخولهما على المضارع .

وكل تلك الحروف إنما هي بحسب معناها ، سواء أكانت عاملة أم غير عاملة ، وفي شعر البارودي نماذج كثيرة جدا من الأدوات النافية للجملة الفعلية ، وذلك لأن الحاجة إلى أسلوب النفي تمليها على الأديب والشاعر ظروف الحياة ، وطبيعة النص ودلالاته ، مثله في ذلك مثل الناس في عواطفهم ومشاعرهم ، فيحتاج تارة إلى الإثبات وتارة إلى نفي بعض ما يراه من مظاهر الحياة .

إن أكثر الأدوات النافية ورودا في شعر البارودي هي " لم " . فهي : حرف جزم لنفي الفعل المضارع وقلبه ماضيا ، ولعلّ ذلك ما جعلها تعتلي صدارة أدوات نفي الفعل المضارع ، فهي لا تكون إلا لمطلق الانتفاء [2] ، بالإضافة إلى كونها من خصائص الفعل المضارع الذي يحمل معنى التغير من حالته الاستمرارية المضارعة إلى حالة من المضي تتمثل في نفي استمرار الزمن الماضي ، نتيجة لتلاحم الزمانين الماضي والمضارع ، ومن أمثلة ذلك في شعر البارودي :

---

[1] = عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص96

[2] = انظر : السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص280.

لو لم أكن ذا شيمةٍ حرةٍ   لم أقرِضِ الشعرَ ولم أعشقِ [1]

فالنفي في هذا البيت مقترن بالفخر ، لأنه أراد أن ينقل ذهن السامع بنفيه قرض الشعر والعشق إلى كونه ذا خلق حر ونفس كريمة . ومثل ذلك قوله في موضع آخر يكرر فيه استخدام " لم " :

أيُّ قلب على صدودك يبقى   أو لم يكفِ أنني ذُبت عشقا
لم تدع مــنــي الصبابة إلا   شبحاً شفّه السَّقامُ فــدقّــا [2]

فالفعلان المضارعان المنفيان هما : " لم يكفِ " المجزوم بحذف حرف العلة ، والفعل المضارع " لم تدع " المجزوم بالسكون . وترى الشاعر في موضع آخر من شعره قد بالغ في استعمال " لــم " فــي القــصيدة الواحدة ، حتى تراه يكررها أكثر من مرة في أبيات متتابعة ، كقوله :

بلوتُ منهم خِلالاً لو وَسَمتُ بها   وجهَ الغزالةِ لم تشرقْ علــى علــمِ
لم أدر هل نبغتْ في الأرض نابغة   أم هذه شــيمة الــدنيا مــن القِدم
لا يدرك المجدَ إلا من إذا نهضت   بــه الحميّة لــم يقعدْ على رغَمِ
لو لم يكن في المساعي ما يبين به   فضلُ الرجال تساوى الناس في القيمِ
فأي غامضة لم تجلُها فِطــنــي   وأيُّ باذخة لم تعلُها قــــدمـــي [3]

فقد استعان الشاعر بــ " لم " النافية والجازمة ست مرات ، فاستعملها في كل بيت أكثر من مرة ، إلا في البيت الأخير فقد كررها مرتين ، في مواضع مختلفة من البيت ، فكانت مرة في صدر البيت ، ومرة في العجز ، ومرة في وسط البيت .

ثم يليها في الاستعمال " لا " النافية التي لا محل لها من الإعراب ، وهي تكثر في الشعر كثرتهــا في الكلام ، ومسوّغ استعمالها في " لم " هو مسوّغ استعمالها في " لا النافية " ، وإن كانت الأخيرة أكثر تحررا من الأولى ، لكونها تدخل على الفعلين الماضي والمضارع ، ولا تعمل فيهما عمــل " لــم " فــي المضارع ، وهي مثلها مثل " ما " النافية غير الجازمة ، والتي إن دخلت على الجملة الفعلية لا تعمل .

[1] = الديوان – ص368
[2] = الديوان – ص368
[3] = الديوان – ص620

يجب التفريق بين " لا " النافية و" لا " الناهية ، في المعنى والعمل ، فلا يمكن أن تـذكر " لا " النافية وأنت تريدها أن تكون ناهية ، لاختلاف المعنى والوظيفة والإعراب بين الأسلوبين . ومن أمثلة "لا" النافية ، و" ما " النافية في شعر البارودي قوله :

لا ترى غير واقفٍ يسفَح الدمـــ ـــع وساهٍ لا يستطيع زَمَاعا [1]

فقد دخلت " لا النافية " على الفعلين المضارعين " ترى ، ويستطيع " ولم تغير من حركتهما الإعرابيـة ، وكذلك قوله :

لا ينطقون بغير آداب الهوى سُمُحُ النفوس على البلاء كرامُ [2]

فالفعل المضارع " ينطقون " مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة . ويقول مكررا " لا " النافيـة في موضع آخر

إنّ الـحـيـاة وإنْ آلـت إلى أمدٍ والدهرُ قُرحانُ لا يبقى ولا يذرُ
لا يأمنُ الصامتُ المعصومُ صولتهُ ولا يدومُ عليهِ الناطقُ الـبَـذِرُ [3]

فكل ما سبق من أفعال مضارعة وردت مسبوقة بأداة نفي ، وهي : لا يبقي ، ولا يـذر، ولا يـأمن ، ولا يدوم . ولا شك أن هذه الأفعال لم ترد كلها منفية إلا لغاية في نفس الشاعـر ، وقد تكون تلك الغاية هـي نفي زمن الحال والاستقبال الذي يتمثل بزوال هذه الحياة وما عليها .

ومما قاله البارودي في " ما " النافية:

وما مات مَن أبقى على الدهر فاضلاً يؤلّف أشتاتَ المعالي ويجمعُ [4]

فقد نفى الشاعر الفعل الماضي " مات " . وكثيراً ما تقترن " ما " النافية و" لا " النافية ، بـ إلا والتـي يُكفّ عملها في الجملة ، من ذلك قوله :

فما كنتُ إلا الغيثَ طارت بروقهُ وما كنت إلا الرعـدَ دوّى هـديـده [5]

[1] = الديوان – ص327
[2] = الديوان – ص537
[3] = الديوان – ص259 ، ص260
[4] = الديوان – ص330
[5] = الديوان – ص148

فقد دخل أسلوب الحصر المكوّن من " ما " النافية و " إلا " ، على جملة " كان " لتفصل بين اسمها ضمير الرفع المتصل وبين خبرها الاسم المعرف بـــ أل ، على نحو متناسق في التركيب في شطري البيت .

إن نطير النفي بـــ " لا " ، و" ما " في الإثبات هو ما ذكره سيبويه حين قال : (إذا قال : فعل . فإن نفيه لم يفعل . وإذا قال : قد فعل فإن نفيه لمّا يفعل . وإذا قال : لقد فعل فإن نفيه ما فعل . لأنه كأنه قال : والله لقد فعل ، فقال : والله ما فعل . وإذا قال : هو يفعل ، أي : وهو في حال فعل فإن نفيه ما يفعل. وإذا قال : هو يفعل ولم يكن الفعل واقعا نفيه لا يفعل . وإذا قال ليفعلنّ ، فنفيه لا يفعل ، كأنه قال : والله ليفعلنّ فقلت والله لا يفعل . وإذا قال : سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل)[1]. ومن أمثلة دخول حرف النصب " لن " على الفعل المضارع قول البارودي :

لن يسود الفتى ولو ملك الحكـــــ ـــمة ما لم يكن من الأجوادِ [2]

فقد أدخل " لن " على الفعل المضارع " يسود " لحاجته إلى النفي في موضع تعميم الحكم في المستقبل .

إن النفي بإحدى الأدوات الجازمة يغير من تركيب الجملة ، ويحدث فرقا في الفعل وفي إعرابه ، فلو نظرنا إلى جملتين إحداهما بأداة نفي جازمة ، والأخرى بأداة نفي غير جازمة ، كقوله :

لا يطمِسُ الجهلُ ما أثقبتُ من شرفٍ وكيف يحجب نورَ الجَـــوْنةِ الدخنُ [3]

وكقوله في موضع آخر :

وأصبح الناس في عمياءَ مظلمةٍ لم يخطُ فيها امرؤ إلا على زلـــلِ
لم أدرِ ما حل بالأبطال من خوَرٍ بعد المراسِ وبالأسياف مـــن فلـــلِ [4]

لوجدنا في الشاهدين السابقين أن قوله في البيت الأول : لا يطمس . لم يغير من حركة الفعل المضارع بل بقيت حركته مرفوعة ، كما لو لم تكن " لا " النافية موجودة أصلاً في الجملة ، وإعراب الفعل المضارع فيه الرفع ، لانعدام وجود ما يوجب النصب أو الجزم . أما الشاهد الثاني فنجد في قوله : لم يخطُ . وقوله: لم أدرِ . حُذف حرف العلة الواو والياء لأن الفعلين ناقصان ، فقد حُذفت الواو في " نخطو " ، والياء فـــي

[1] = الكتاب – سيبويه – مصدر سابق – ج3/ص117.
[2] = الديوان – ص150
[3] = الديوان – ص 639 . الجونة : الشمس .
[4] = الديوان – ص405

أدري ، وذلك لعلة وجود الجازم وهو " لم " الجازمة والنافية ، ومعروف أن الجزم من علامـــات الفعــل المضارع التي تميّزه عن بقية الأفعال وحتى الأسماء إذ (ليس في الأسماء الجزمُ الذي في الأفعال ؛ لأن عوامل الجزم لا معنى لدخولها على الاسم وعملها ذلك فيه)[1] .

ثانيا : الأمر والنهي في الجملة الفعلية :

النهي ضد الأمر ونقيضه ، وهو (طلب الكفّ عن الفعل أو الامتناع على وجه الاستعلاء والإلزام)[2] ، غير أنه في الحركة الإعرابية مثيل الأمر ؛ لأن كليهما ساكن الآخر ، والفعل المضارع بعد لام الأمر (ضارع فعل الأمر المبني للوقوف ، ووقع في موقعه . فلما كان في معناه . وواقعا موقعه له ثقل ذلك ، ونقص عن منزلة نظائره من الأفعال المستقبلة ، وأعطي أضعف الإعراب وهو الجزم ، وحمل المجزوم على فعل الأمر ، كما حمل فعل الأمر في المعتلّ الناقص عليه نحو : اعزُ ، وارمِ ، واخشَ . وإنما حذف أواخر هذه الحروف بعلامة الجزم وحمل الأمر عليه ، وإن كان مبنيا)[3] ، بالإضافة إلى أن (اللام و" لا " في الدعاء بمنزلتهما في الأمر والنهي ، وذلك قولك : لا يقطعِ الله يمينك ، ولِيجزك الله خيرا)[4] . ومثل ذلك قول البارودي :

فليموتوا بغيظهم فاحتمال الـــ ـــغيظ موت لهم بلا ميعادِ [5]

فقد اتصلت اللام في الفعل المضارع المجزوم بحذف النون ؛ لأنه من الأفعال الخمسة ، ومعلوم أن لام الأمر (تجزم الفعل المستقبل إذا كان الأمر للغائب ، سواء كان الأمر مستعملا في حقيقة وضعه الذي هو الطلب ، أم لا)[6].

يمتاز الفعل المضارع على غيره من الأفعال بدخول الأدوات العاملة عليه سواء بالجزم أو النصب ، بحيث يمكنه أن يدل على صيغة المضيّ كأن تقول : لم يفعل ، أو أن يدل على صيغة الاستمرار وهي الأصل فيه ، ويدل على الاستقبال أيضا بدخول " السين وسوف " ، وعلى الأمر بقولك : ليفعلْ . ومن أمثلة دلالة الفعل المضارع على الأمر والنهي قول البارودي :

لا تخشَ بؤسا من عدوّ ظاهر واخش المكيدة من عدوّ باطنِ [7]

---

[1] = أبو علي النحوي – المسائل العسكريات – مصدر سابق – ص119.

[2] = عبد العزيز عتيق – علم المعاني – مرجع سابق – ص83.

[3] = أبو سعيد السيرافي – شرح كتاب سيبويه – مصدر سابق – ج1/ص87.

[4] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج3/ص8.

[5] = الديوان – ص151

[6] = ابن نور الدين – مصابيح المغاني في حروف المعاني – تحقيق جمال طلبة – ط1 – 1995م – دار زاهد القدسي – القاهرة – ص289.

[7] = الديوان – ص678

فقد بنى الشاعر البيت بناء فعليا ، فذكر فعلا مضارعا مجزوما " لا تخش " ، ومع أن الفعل المضارع هو نفسه في الموضعين من الجذر الثلاثي للفعل " خشي " إلا أن معناه في الموضعين متقابل . ومثل ذلك قوله:

ويـــا إلهي راعـــنـــي وادفع عن النفس التوى [1]
ولا تكلـــنـــي للـــتـــي لو صادفت نجما خوى [2]

وموضع الفعلين المضارعين " ادفع ، لا تكلني " ورد مرة في صيغة فعل الأمر ، ومرة في صيغة النهي بدخول " لا " الناهية عليه . ومثل ذلك أيضا أن يجعل القصيدة عامة تحفل بأفعال الأمر إلى جانب أفعال المضارع التي دلت على صيغة النهي ، وذلك بأن تسبق الفعل المضارع " لا " الناهية والجازمة ، لأنها تقلب المضارع من الحال إلى الاستقبال ، كقوله في وصف اللسان :

فانهضْ وسرْ وانظرْ ومِلْ وابتهجْ وامرحْ وطِبْ واشربْ لتُروي الصَّدى
ولا تسلْ عن خبرٍ لم يَـــجِـــنْ ميقاتُه وانظرْ إلـــى الـــمـــبـــتـــدا
ولا تلمْ خلاًّ عـــلـــى هـــفـــوةٍ فـــقلّما تـــلقى فتـــىً أمـــجـــدا [3]

فقد أظهر صورة فعل الأمر في البيت الأول ثماني مرات ، كان فيها الفعل مبنيا على السكون في قولـــه : (انهض ، سِر ، انظر ، مِل ، ابتهج ، امرح ، طِب ، اشرب) ، ثم انتقل في البيت الثاني والثالث ليجعل معنى فعل المضارع يدل على النهي ، وذلك بأن أدخل عليه " لا " الناهية والجازمة في قوله : لا تـــسل ، ولا تلم .وكقول البارودي :

ولاتتعرضْ لامـــرئ بمساءةٍ ولا تحتلب ضَرع الشِّقاق ولا تمرِ
ولا تحتقرْ ذا فاقة بين طِمره فيا ربَّ فضل يبهر العقل في طِمرِ [4]

وصورة الفعل المضارع المجزوم تكررت أربع مرات في مواضع متفرقة من البيتين السابقين ، في قوله : (لا تتعرض ، ولا تحتلب ، ولا تمر ، لا تحتقر) ، وذلك لأن غرض البيتين هو الحكمة والنـــصيحة ، فاختار أن يبنيه بناء يعتمد على صورة النهي .

ليس غريبا على بناء الجملة الفعلية بصيغة الأمر أو النهي أن يكون مكثفا في القـــصيدة الواحـــدة على شكل أبيات مجموعة بعضها إلى بعض ، ويظهر ذلك جليا في المواضع التي يتحدث فيها البـــارودي عن الحكمة ، كقوله :

---

[1] = التوى : الهلاك
[2] = الديوان – ص716
[3] = الديوان – ص176
[4] = الديوان – ص262

فاتبعْ هــواكَ ودعْ ما يستربابُ بـــهِ   فأكثرُ الناس إن جــرّبتَهم هَمَلُ
واحـــذر عـــدوّك تسلمْ من خديعته   إن العداوة جُــرحٌ لـــيس يندمِلُ
وعالج الســرّ بالكتمان تــحمَــدُه   فربمـــا كان فـــي إفشائـــه الزللُ
ولا تكـــنْ مسرفـــا غِرّا ولا بخِلا   فبئست الخلّة الإســراف والبَخَلُ
ولا يـــهُمّنْك بعضُ الأمر تسأمُهُ   لا ينتهي الشغلُ حتى ينتهي الأجلُ
واعرف مواضع ما تأتيه من عمل   فليس في كل حيــن يحسُن العمل [1]

فقد جاءت أفعال الأمر على نحو متتابع في الثلاثة الأبيات الأولى ، وهي : (اتبع ، دع ، احذر ، عالج) ثم قال في البيت الأخير (اعرف) . أما صيغة النهي المتمثلة بدخول " لا " الناهية والجازمة على الفعل المضارع فظهرت على نحو متتابع أيضا في بيتين ، وهما : (لا تكــن ، ولا يُهمّنْــكَ) . ومثــل ذلــك التركيب المتتابع في الأمر والنهي في القصيدة الواحدة قوله في الحكمة :

فاصبر على المعروف تظفرْ بما   شئت فقد حاز المُنى من صبرْ
وقف إذا ما عــرضــت شبهة   فاللُّبث خير من ركوب الغَرَرْ
ولا تقـــولـــنّ لشيء مضى   يا ليته دام وخذ مـــا حضــرْ
ولا تعامـــــلْ صـــاحبا بالتي   ترجع عنها تائبا تعتـــــذرْ
وغضّ من طرفك إن خفتَه   فحاجب الشهوة غضّ البصرْ [2]

فقد وقع فعل الأمر أربع مرات ، وهي : (اصبر ، وقف ، وخذ ، وغضّ) ، أما معنى النهي فقد وقــع على فعلين ، وهما : (لا تقولنّ ، ولا تعامل) . ولعله أراد أن يجعل من ورود فعل الأمر أكثر من النهي أن يجعله بمثابة النصيحة والموعظة لأنها أقرب إلى النفس .

إن استخدام " لا " في شعر البارودي بكثرة قد أوقعت الشاعر في الضرورة الشعرية لمجرد أنــه جزم الفعل المضارع بـــ " لا " النافية ، كقوله :

وما أنسه لا أنسَ يوما تسابقتْ   بـــه عبرتاهـــا والنوى تصدّع الصلدا
فلم أرَ لحظا كـــان أقتلَ باكيا   وأمضى الظُّبا في الفتك ما كان إفرندا [3]

---

[1] = الديوان – ص475 ، ص476
[2] = الديوان – ص253 ، ص254
[3] = الديوان – ص173

فقوله : ما أنسه لا أنسَ . جزم الفعل المضارع المعتل الآخر " أنسى " في موضع لا يجوز له الجزم فيه ، وذلك لأن كلاًّ من " ما ، ولا " نافيتان وليستا جازمتين ، بمعنى أن دخولهما أو عدم دخولهما لا يغيّر في إعراب الفعل وبنائه ، فدخول " لم " الجازمة على الفعل المضارع ، كقوله في البيت الثاني : " لم أرَ " ، استحقت حذف حرف العلة . وعندي أن التركيب السابق لا يمكن أن نعده من باب الضرورة الشعرية لمجرد أن اللغة شعرية ؛ لأن لغة الشعر – وإن كانت غير لغة النثر – لا تحتمل كل هذه التجاوزات النحوية . ومن جملة الأمثلة على تجاوزات البارودي في اللحن في الفعل المضارع قوله :

مهلا أخا الجهل لا يُغويكَ ما نظرتْ　　　عيناكَ في هذه الدنيا من الفتنِ [1]

فقد أبقى على حرف العلة الياء في الفعل المضارع المعتل الآخر ، بالرغم من أن الفعل المضارع مجزوم بـــ " لا " الناهية ، فالأصل أن يقول : لا يُغْوِكَ . ومن ذلك أيضا قوله :

فكيف تلوميني على ما أصابني　　　من الحب يا ليلى وأنتِ غريمُ [2]

فالفعل المضارع " تلوميني " من الأفعال الخمسة التي ترفع بثبوت النون وتنصب وتجزم بحذفها ، غير أن البارودي جزم الفعل المضارع المرفوع ، والأصل أن يقول : " فكيف تلومينني " . لكنه حذف النون على اعتبار أنها ضرورة شعرية ، ومثل ذلك اللحن في موضع آخر من قوله :

يلوموني على كلفَي بليلى　　　وليلى في سماء الحسن بدرُ [3]

ولعل التركيب الفعليّ لكلمة " يلوم " كثر ترداده في ذهن الشاعر كما هو الحال في لهجة العامـــة دون أن يلتفت إلى حاجته إلى العناية بالتركيب النحوي للكلمة ، بالرغم من أن ثمة نماذجَ أخرى في شعره جاءت دون أن يقع في اللحن ، كقوله :

يلومونني إني تجاوزت في البكا　　　وهل لامرئ لم يبكِ في الحزن من عذر [4]

فقد أبقى الفعل المضارع " يلومونني " مرفوعا بالواو ، ومردّ ذلك إلى الوزن ؛ لأن البارودي يرى أنه إذا خالف النحوُ الوزنَ الشعري للبيت فالأوْلى عنده أن يقدّم الوزن على النحو ، والحجة في ذلك ما تقدّم من أمثلة . غير أنه لم يغفل عن استعمال أسلوب الأمر ولا النهي في تراكيب كثيرة متنوعة ، بنـــى بعـــضها على صورة تراكيب مكثفة ومتكررة ، وبعضها الآخر جاء عفويا بدهيّا .

---

[1] = الديوان – ص658

[2] = الديوان – ص594

[3] = الديوان – ص275

[4] = الديوان – ص249

المبحث السادس : الاستفهام في الجملة الفعلية :

إن الاستفهام في الجملة الفعلية متوافر في شعر البارودي ، وذلك يعود إلى أسباب كثيرة ، وهي : أولها : أن الجملة الفعلية أصلاً لا غنى عنها في شعر ولا نثر ، وذلك لحاجة المتكلم إلى عنصر الحركة والزمن في كلامه ، وأكثر ما يلجأ في الجملة الفعلية إلى الفعل الماضي والفعل المضارع ، وقلما استعمل فعل الأمر لتعلقه بالمخاطب . ثانيها : أن أدوات الاستفهام وأسماءه تتوزع في الجملة الفعلية ، لآنها لا تحدث تغييرا إعرابيا على بناء الجملة الفعلية . ثالثها : أن بناء الجملة – بشكل عام – عند البارودي يميل إلى التقليد ، وهذا التقليد يتمثل في مطالع القصائد جريا على عادة العرب . رابعها : أن حاجة البارودي إلى أسلوب الاستفهام ، لأنه (استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك)[1] . إن هذه الأسباب وغيرها هي ما جعلت الشاعر يستخدم الاستفهام في الجملة الفعلية في قوله :

أترى الصبا خطرت بوادي المنحنى فجنت عبير المسك من ذاك الجنى [2]

فحرف الاستفهام الهمزة في البيت السابق سبق الفعل المضارع المبني للمجهول " تُرى " .

إن الاستفهام في الأسماء أكثر من الأفعال خاصة في مطالع القصائد القديمة ، فقليلا ما ترى الشاعر يستهل استفهامه بفعل ، ولعل ذلك لأن الأسماء أثبت من الأفعال ، فحالة الفعل الانتقال والحركة ، وهو ما لا حاجة للشاعر إليه في قصائد مصقولة الألفاظ والتراكيب .

اختلف النحويون في الاستفهام ، هل الأصل فيه الاسم أم الفعل ؟ . وقد ذهب بعضهم إلى أن الاستفهام سياق فعلي ، وأن الأصل في أدوات الاستفهام ألا يليها إلا الفعل ، إلا أنهم قد توسعوا فيها فاستعملوها مع الجملة الاسمية ، نحو : هل زيد منطلق ؟ ، وكيف زيد آخذ ؟ . فإذا جاء بعد أداة الاستفهام كلام فيه اسم وفعل ، كان تقديم الفعل أولى حملا على الأصل فيها ، وتقديم الاسم قبيح ولا يجوز إلا في ضرورة الشعر[3].

لا يقتضي الاستفهام الجواب عنه دائما ، لأنه قد يكون بلاغيا ، وخاصة في لغة الشعر ، وفي هذه الحالة لا يكون إلا لإفادة معنى ما بحسب حاجة صاحبه إليه ، والاستفهام البلاغي له دلالات مختلفة عند البلاغيين . ومن أمثلة الاستفهام البلاغي في شعر البارودي ، قوله الهجاء :

---

[1] = دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – مصدر سابق – ص 108

[2] = الديوان – ص696

[3] = قيس إسماعيل الأزدي – أساليب الطلب عند النحويين والبلاغين – مرجع سابق – ص 337.

يقولُ أناسٌ والعجائبُ جمّةٌ   متى أصبح الوزّان ربَّ مجالسِ ؟ [1]

فاستفهام الشاعر في قوله : متى أصبح الوزّان ربّ المجالس . استفهام بلاغي بمعنى التحقير والازدراء ، وأكثر ما يجيء الاستفهام في شعر البارودي بلاغيا ، يطلب فيه الجواب . ومثل ذلك قوله في موضع آخر:

لأمر ما تحيّرتِ العقولُ   فهل تدري الخلائقُ ما تقولُ [2]

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي ، وهو طلب الجواب عن المجهول ، فيستفهم بها عن شيء مع العلم به لأغراض بلاغية أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته ، فالغالب في الاستفهام أن يكون بلاغيا في الشعر عامة ؛ لأن لغة الشعر تستدعي ذلك ، فالسؤال يطلب الجواب في كل الأحوال ، ليحيل القارئ إلى مجرد التفكير في الشيء المطروح ومحاولة فهمه ومعرفة كنهه ، وهو ولاشك دليل على اتساع العربية وشمولها . والدليل على ذلك أن أكثر الاستفهام في القرآن الكريم لا يحتاج إلى جواب، لأنه من عالم الغيب والشهادة ، وإنما استفهامه تعالى تقريع [3].

يقوم الاستفهام على أدوات مخصوصة تعرف بأدوات الاستفهام ، وأهم هذه الأدوات هي :" الهمزة ، وهل " . أما بقية الأدوات المستعملة في الاستفهام ، والتي تسمى أسماء الاستفهام، فالصحيح فيها أنها ليست أدوات أصيلة للاستفهام ، والأصل في أسماء الاستفهام أن تتصدر الجملة ، ولا تتصدر أسماء الاستفهام الجملة دائما ، كأن يسبقها أحد حروف الجر ، أو أن يسبقها اسم مضاف . وحروف الاستفهام لا يمكن أن يسبقها اسم أو حرف بأي حال من الأحوال ، فلا يجوز أن يأتي اسم أو حرف قبل " الهمزة " أو " هل " الاستفهامية ؛ لأنها حرف ولا يدخل الحرف على جنسه ، لذا فالهمزة (أعرق أدوات الاستفهام ، ولهذا لا يتقدم عليها حرف العطف ، كما يتقدم على غيرها ، فإذا اجتمعت مع حرف العطف تقدمت عليه)[4]. وقد ذكر أبو البركات الأنباري أن ما عدا حروف الاستفهام (أسماء وظروف أقيمت مقامها ؛ فالأسماء : " من ، ما ، كم ، كيف " والظروف : " أين ، أنّى ، متى ، أي ، حين ، أيان ")[5]. وكل من هذه الأسماء والظروف التي تدخل الجملة الفعلية يعرب حسب موقعه من الجملة الفعلية .

---

[1] = الديوان – ص291

[2] = الديوان – ص486

[3] = قيس الأزدي – أساليب الطلب – مرجع سابق – ص309.

[4] = فضل عباس – البلاغة فنونها وأفنانها – مرجع سابق – ص 123.

[5] = أبو البركات الأنباري – أسرار العربية – مصدر سابق – ص267.

- **الأدوات التي استفهم فيها البارودي كثيرا فهي :**

أولا : الهمزة : وقد وردت في مواضع مختلفة من القصيدة نفسها ، وحتى في البيت الواحد ، ومن ذلك قوله :

أفأستعين الصبر وهْو قساوةٌ   أم أصحبُ السُّلوان وهْو تعادي [1]

فقد دخلت الهمزة على الجملة الفعلية : أستعين الصبر . متبوعة بالفاء الاستئنافية ، وتقدمت على الفاء ؛ لأنها أولى بالتقدم منها . وقوله :

أكلَّ خِلّ أراه لا وفاءَ لهُ   وكلّ قلب عليّ اليوم مضطغِنُ [2]

إن ما يميز الهمزة عن غيرها من أدوات الاستفهام أنها تقبل الدخول على كل موضع دون أن يغير ذلك من معناها ، فقوله : أكلَّ خلّ أراه لا وفاء له . دخلت الهمزة على المفعول به " كلّ " . وقد يورد الهمزة وسط البيت ، كقوله :

فأين الألى شادوا وبادوا ألم نكنْ   نحلّ كما حلّوا ونرحلُ مثلما [3]

ومن أمثلة الهمزة في الشطر الثاني من البيت قوله يرثي زوجته :

إن كنت لم ترحم ضنايَ لبعدِها   أفلا رحمتَ من الأسى أولادي [4]

والهمزة في البيتين السابقين في قوله : ألم نكن نحل كما حلوا ... ، وقوله : أفلا رحمت أولادي . استفهام بلاغي لا يجاب عنه ، لعلم المتلقي بالضرورة المعنى المراد ومقصود الشاعر .

والهمزة في كل تلك المواضع وغيرها يستفهم بها عن معنى تصور الشيء وطلب التصديق به ، و يقصد بالتصديق والتصور أن تدرك رغبة المستفهم في أن يحيلك إلى تصور ما توصل إليه أو عَرف حكمه ، أو ربما لرغبته في تصديق حكم ما بعينه ، والبارودي في الحالين لا يطلب الجواب.

---

[1]= الديوان – ص155

[2] = الديوان – ص641

[3] = الديوان – ص556

[4] = الديوان – ص154

ثانيا : " هل " الاستفهامية : ولا أعني فيها تلك التي خرجت عن معناها (إلى معنى " قد " ، نحو قوله سبحانه وتعالى : { هل أتى على الإنسان حين من الدهر }[1] قالوا : معناه : قد أتى عليه ذلك)[2] ، وإنما تلك التي يستفهم بها عن أمر ما ، والتي تلتزم الصدارة في الجملة ، و" هل " (حرف موضوع لطلب التصديق الايجابي ، دون التصور ، ودون التصديق السلبي)[3]، ويذكر أن من معاني " هل " التي تختلف عن الهمزة عشرة معان ، لذا فإن الاستفهام فيها أصل ، فلا يكون بتقدير الهمزة كما في بقية أدوات الاستفهام ، والذي يؤيد أنها للاستفهام أنه لا يجوز أن تدخل عليها همزة الاستفهام .

إن حرف الاستفهام "هل " كثير في شعر البارودي تنوع في مواضع مختلفة من البيت الواحد ، وإن كان أغلبها في صدر البيت ، من ذلك قوله :

وهل يكتم المرء الهوى وهْو شاعرٌ ويَثني على أعقابهنّ القوافيا [4]

فدخول " هل " على الجملة الفعلية " يكتم المرء الهوى " . يضفي على الجملة الفعلية نوعا من المرونة ، تتمثل في أن حرف الاستفهام " هل " يدخل على الجملة الفعلية أكثر من الاسمية ، إذ لا تدخل " هل " (على اسم بعده فعل)[5] ؛ لأنها في الأصل من الحروف التي يذكر بعدها الفعل . ومن أمثلة أسماء الاستفهام الداخلة على الجملة الفعلية قول البارودي[6] :

بلغت مجهودَ نفسي في الثناء ولم أبلغ علاك وأنّى يُدرك القمر [7]

فقد دخل اسم الاستفهام " أنّى " على الجملة الفعلية " يدرك القمر " ، واسم الاستفهام مبنيٌّ في محل نصب حال . وقد يدخل البارودي حرف الجر على اسم الاستفهام في الجملة الفعلية ، كقوله :

لم أدرِ حتامَ أقاسي الجوى يا ويحَ قلبي منك ماذا لقي [8]

---

[1] = سورة الإنسان ، 1.

[2] = ابن جني – الخصائص – مصدر سابق – 2/ص463.

[3] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج2/ص403

[4] = الديوان – ص726

[5] = ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج2/ص404.

[6] = انظر : الديوان – ص266، ص394 ، ص595

[7] = الديوان – ص221

[8] = الديوان – ص366

فقد دخل حرف الجر " حتى " على اسم الاستفهام " متى " ، ووقعت جملة الاستفهام الفعلية في محل نصب مفعول به للفعل " لم أدر " . ويقول أيضا :

علام أجزع والأيام تشهد لي   بصدق ما كان من وسمي وإغفالي [1]

فقد دخل حرف الجر " على " على اسم الاستفهام " ما " فحُذفت الألف ليفرق بين " ما " الاستفهامية والموصولة .

المبحث السابع : الشرط في الجملة الفعلية :

تقسم أدوات الشرط الداخلة على الجملة الفعلية إلى نوعين ، فالأول : الحروف الجازمة لفعلين ، وهي: " إن " . والأسماء الجازمة لفعلين ، وهي : مَــنْ ، ما ، مهما ، أيّ ، متى ، أيان ، أين ، حيثما ، أنى [2] ، الثاني : الأدوات التي لا تجزم ، وهي : لو ، لولا ، لوما ، إذا ، لما ، كلما ، أما . ولسنا في هذا المبحث بصدد الحديث عن الأدوات التي لم يستعملها البارودي في شعره ، كأداة الشرط " إذما " ؛ لأن هذا المبحث طويل وغرضنا منه الاختصار وذكر ما يفيد هذه الدراسة من الحكم بمقتضاها علــى شــعر البارودي .

أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة :

إن أدوات الشرط الجازمة لفعلين (كلها أسماء ، إلا " إنْ ، إذما " ، فإنهما حرفان)[3] . ومــن تلك الأدوات التي يكثر استعمالها في شعر البارودي :

اسم الشرط " مَن " : وهو اسم جازم لفعل الشرط وجوابه ، ويقع على مَن يعقل ، كقوله تعالى : { مــن يعملْ سوءا يُجزَ به }[4] . ومن الشواهد الشعرية عليه في شعر البارودي قوله :

ومن رام نيل العز فليصطبر على   لقاء المنايا واقتحام المضايق [5]

ويقول أيضا :

ومن شاغب الأيام لانَ مريرُهُ   وأسلمه طول المراس إلى الوهْنِ [6]

---

[1] = الديوان – ص453

[2] = انظر : الفراهيدي – الجمل في النحو – مصدر سابق – ص194 . وانظر : شرح ابن الناظم – مصدر سابق – ص494.

[3] = شرح ابن عقيل – ج1/ص339

[4] = انظر : شرح المكودي – مصدر سابق – ج2/ص708 . والآية من : سورة النساء ، 123.

[5] = الديوان – ص386.

[6] = الديوان – ص627

فقد أتى باسم الشرط " مَن " في البيتين السابقين داخلا على الجملة الفعلية المكونة من فعل الشرط على صيغة الفعل الماضي " رام ، وشاغب " ، وجواب الشرط في البيت الأول من الفعل المضارع المجزوم والمسبوق بالفاء في البيت الأول " ليصطبر" ، وجواب الشرط في البيت الثاني من الفعل الماضي " لانَ ". ويقول أيضا :

ومن يكُ جاوز العشرين تترى وأردفها بأربعةٍ وخمسِ
فقد سفرتْ لعينيهِ الليالي وبان له الهدى من بعد لَبسِ [1]

فقد جزم الشاعر باستعماله اسم الشرط " من " فعل الشرط المضارع " يكُ " ، وجعل جوابه بعد الفاء في البيت الثاني في قوله : فقد سفرت لعينيه الليالي .

– حرف الشرط " إنْ " :

وتقتضي " إن " في الاستقبال تعليق جملة على جملة ، تسمى الأولى منها شرطا والثانية جزاء . ومن حقها أن يكونا فعليتين ، ويجب ذلك في الشرط ، فإن كانا مضارعين جزمتهما ، لأنها اقتضتهما ، فعملت فيهما ، وذلك نحو : إن يقم زيد يقم عمروٌ [2]. و(يجوز أن تدخل على ماضيين فلا تؤثر فيهما لبنائهما ، وهما في المعنى مستقبلان ، ويجوز أن تدخل على ماض ومضارع فيبقى الماضي مبنيا)[3] . كقول البارودي :

إن سرتُ ساروا وإن أصعدْ إلى نشَزٍ كانوا صعودا وإن أهبط بهم هبطوا
يمشون حولي كما يمشي القطا بدَدَا فإن مضى بقَطٌ منهم أتى بقَطُ [4]
إن يكنُفوني مِن حولي فلا عجَبٌ لا يسقطُ الطير إلا حيث يَلتقِطُ [5]

فقد بنى الأفعال الثلاثة السابقة بناء فعليا يعتمد على أسلوب الشرط ، فاستعمل حرف الشرط " إن " في كل من الجمل الفعلية الآتية : (إن سرت ساروا ، وإن أصعد صعدوا ، وإن أهبط هبطوا ، وإن مضى بقط أتى بقط ، وإن يكنفوني فلا عجب) . فكرر فيها استعمال فعل الشرط وجوابه ، وهذا يدل على قدرة الشاعر في التنويع في استعمال حرف الشرط " إن " على نحو لا يخل بالمعنى ولا التركيب .

---

[1] = الديوان – ص289.
[2] = شرح ابن الناظم – ص494.
[3] = أحمد المالقي – رصف المباني – مصدر سابق – ص187.
[4] = بقط : جماعة من الناس .
[5] = الديوان – ص310

ويقول في موضع آخر :

وفيْتُ بوعدي في الثناء وإن يكنْ   مقالــي بهاتيك الفضائــل لا يفــي
وكيف وإن أُوتيتُ في النظم قدرةً   أضمّ شتات الكون في بعض أحرفِ [1]

فقد ظهرت صورة " إن " الشرطية مرتين ، في موضعين مختلفين ، وقد كانت الجملة الــشرطية الأولــى جازمة للفعل المضارع الأجوف " يكن " ، إلا أن كلا الجملتين : (وإن يكن مقالي لا يفي ، وإن إوتيــت في النظم قدرة) جمل معترضة لا محل لها من الإعراب . ويقول :

فإن تكن الأيام رنّقنَ مَشربي   وثلّمنَ حدّي بالخطوب الطوارقِ
فما غيّرتني محنة عن خليقتي   ولا حوّلتني خدعة عن طرائقي [2]

فقد جاء بفعل الشرط " تكن " في أول البيت الأول ، ثم جعل جواب الشرط في صدر البيت الثاني، ممــا يعني توسع الجملة الشرطية وامتدادها عند البارودي ، وتركيب الجملة الشرطية على نحو : (إن + الفعل المضارع المجزوم " تكن " + اسم " كان " وخبرها + الفاء + جواب الشرط " الجملة الفعلية ") ، ويقــول أيضا :

فإن يكن فاتني ما كنت أملكه   فالبُعد عنهمْ لِما أتلفتُهُ ثمنُ [3]

فقد جعل جواب الجملة الشرطية بعد الفاء جملة اسمية في قوله : " البعد ثمن " ، وقد يجمع بــين الجملــة الشرطية التي لها محل من الإعراب والجملة الشرطية التي لا محل لها من الإعراب في قوله :

فإن لم أصرّحْ باسمه خوفَ حاسد   ينمّ عليه فهو يعلم مَــن أعنــي
علــى أن ذكــراه وإن كــان نائيا   سميرُ فُؤادي في الإقامة والظعنِ [4]

فالجملة الشرطية الأولى هي : فإن لم أصرح باسمه فهو يعلم من أعنــي . والجملــة الــشرطية الثانيــة معترضة في قوله : وإن كان نائيا .

---

[1] = الديوان – ص347، ص348.
[2] = الديوان – ص386
[3] = الديوان – ص642
[4] = الديوان – ص633

- أداة الشرط " إذا " :

" إذا " اسم من أسماء الزمان ، وهي ظرف من ظروفه . وتقع فيها الأفعال المستقبلة موضحة بما بعدها ، ولا يليها إلا أفعال مظهرة أو مضمرة ، وفيها معنى المجازاة ؛ فلذلك لا يقع بعدها إلا الأفعال . وإذا رأيت الاسم بعدها مرفوعا فعلى تقدير فعل قبله ؛ لأنه لا يكون بعدها الابتداء والخبر [1] ، ولزمت الفاء في جوابها [2] ، وتختص " إذا " بالدخول على الجملة الفعلية ، ويكون الفعل بعدها ماضيا كثيرا ، ومضارعا دون ذلك ، وقد تدخل على الجملة الاسمية ، غير أن للنحويين رأيا في دخولها عليها ، فإذا دخلت الشرطية على الاسم في نحو قوله تعالى : { إذا السماء انشقت }[3] ؛ فلأنه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير ، لا مبتدأ [4] . ويقول أبو البقاء العكبري في تفسير قوله تعالى : { إذا السماء انشقت } ، وقوله : { إذا الشمس كورت }[5] ؛ أي : إذا كورت الشمس ، وجواب " إذا " هو قوله تعالى :{ علمت نفس}[6] . وقد استعمل البارودي " إذا " في مواضع كثيرة في شعره على صورتين ، وذلك بأن يليها الاسم، كقوله :

إذا البروقُ ازمهرّتْ خِلتَ ذِروتها   شهما تدرّعَ من تِبْرٍ بأدراعِ [7]

فقد وقع الاسم المعرف بـ أل " البروق " فاعلا بعد أداة الشرط غير الجازمة ، ويقدر بفعل محذوف تقديره إذا ازمهرت البروق . وأغلب ما يلي " إذا " في الشعر عامة فعل ، ذلك لأن "إذا " تدخل على الأفعال ، وإن دخلت على الأسماء فإنها تقدر فاعلا لفعل محذوف ، (وقد يليها اسم بعده فعل فيقدّر قبله فعل يفسره الفعل بعد الاسم)[8] . ومثل " إذا " الداخلة على الاسم قوله :

وإذا السكون تحرُّكٌ وإذا الخمو   دُ تـلهّـبٌ وإذا السكوتُ كلامُ
وإذا الحياةُ – ولا حياة – منيّـة   تحيا بهـا الأجسـادُ وهي رمامُ [9]

فكل من قوله : (إذا السكون تحرك ، وإذا الخمود تلهب ، وإذا السكوت كلام ، وإذا الحياة منية) جمل شرطية . ومثله قول البارودي يذكر الفاعل " الراح " في الشطر الثاني :

---

[1] = السيرافي – شرح كتاب سيبويه – مصدر سابق – ج1/ص141، ص142.
[2] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص131.
[3] = سورة الانشقاق ، 1.
[4] = انظر : مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1/ص108
[5] = سورة التكوير ، 1.
[6] = التبيان في اعراب القرآن – أبو البقاء العكبري – مصدر سابق – ج2/ص 1273.
[7] = الديوان – ص 341 . ازمهرّت : لمعت .
[8] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج133/2
[9] = الديوان – ص 536

وشأنكما في الرّاح فالعيشُ والصِّبا   إذا الراحُ لــم تخفِرْهما فسدَ العمْرُ [1]

أما الصورة الثانية التي يكثر استعمالها ، وهي أن تسبق " إذا " الشرطيةُ الفعلَ الماضي أو المــضارع ، كقوله :

إذا لم يكن إلا المعيشةَ مطلبٌ   فكل زهيد يمسك النفس جابرُ

إلى أن قال في القصيدة نفسها :

إذا كنت تخشى كلّ شيء من الردى   فكل الذي في الكون للنفس ضائرُ [2]

فقد جعل تركيب الجملة الفعلية في البيتين السابقين مبنيا على معنى الشرط ، فاستعمل " إذا " ليدل علــى ذلك ، وأدخلها على فعل الشرط وهو الفعل المضارع المجزوم بـــ " لم " في قوله : لم يكن ، وقد جعلــه مقرونا بالفاء في تركيب الشطر الثاني من البيت كاملا في قوله : (فكل زهيد يمسك الــنفس جــابرُ) . وكذلك الحال في البيت الثاني الذي وقع تركيبه على نحو قولك : (إذا + الفعل الماضي + الفاء + الجملة الاسمية) . ويكثر جواب الشرط على صورة الجملة الفعلية دون أن تسبقها الفاء ، ومثل ذلك قوله :

إذا ارتاب أمرا ألهبتْه حفيظة   تُميت الرضا بالسخط والحِلمَ بالجهلِ [3]

ويقول أيضا :

حتى إذا حلّ ضاحي اليوم حبوَتَه   وكادت الشمس بين الغرب تنهبط
رحنا نجرُّ ذيول الــعــزّ ضافية   وكلنــا بنعيم العيـــش مغتبــطُ [4]

ويقول كذلك :

إذا نوّرت أفنانها غِبّ ديمةٍ   من الفكر جاءت بالبديع المفوَّفِ [5]

فكل من الأبيات السابقة وقع اختيار البارودي على الجملة الفعلية في جواب الشرط ، وقد جــاءت علــى صورة سهلة وطبيعية ، منسجمة مع التركيب العام للبيت ، وصورة التركيب العام للأبيات السابقة هــي : (إذا + جملة فعل الشرط " فعل ماض " + جملة جواب الشرط " فعل ماض ") .

[1] = الديوان – ص 227
[2] = الديوان – ص240
[3] = الديوان – ص440
[4] = الديوان – ص311
[5] = الديوان – ص347. المفوف : المزين .

- حرف الشرط " لو " :

" لو " حرف شرط للماضي غالبا وقد يرد للمستقبل ، حرف امتناع الشيء لامتناع غيره [1] ، وقد نظمه ابن مالك في قوله :

" لو " حرفُ شرطٍ في مُضِيٍّ ، ويقِلْ   إيلاؤها مستقبلا ، لكنْ قُبِلْ [2]

ومعنى كلام ابن مالك : في مضيّ . أي الأصل في " لو " أن تدخل على الفعل الماضي ، ويقلّ مجـيء الفعل المضارع بعدها . كقول البارودي :

لو كان يدري الفتى مكنونَ ما خبّأتْ   له المقادير لم يركنْ إلى الحـذرِ
ولـو درى أنّ مـا يلقاه من عَنَتٍ   من خيبة الرأي لم يعتُبْ على القَدَرِ [3]

فقد جاء بالفعل الماضي " كان ، ودرى " بعد حرف الشرط " لو " ، وتركيبه السابق هو : (لو + الفعل الماضي + جواب الشرط " لم " + الفعل المضارع) . ويقول في مثل ذلك أيضا :

لو كان يعلو السماءَ ذو شرف   لكان بالنيّرات يَقترنُ [4]

ويقول أيضا :

فلو كنتُ في عصر الكلام الذي انقضى   لباء بفضلي " جرول " وجريرُ
ولو كنت أدركتُ النواسِيّ لـم يـقـلْ   (أجارةَ بيتينا أبـوك غيـورُ)[5]

فكل من الأبيات السابقة سبقت فيها " لو " الفعلَ الماضي الناقص " كان " ، ولعل ذلـك مـرده أن الفعـل الناقص يطلب الجملة الاسمية ، فيطيل ذلك من تركيب البيت ، كما يبدو في الأبيات السابقة ، فيكون طول جملة فعل الشرط " كان " مساويا تقريبا لطول جوابها الذي وقع بعد اللام التي تسمى " لامَ الجواب " فـي قوله : (لكان بالنيرات يقترن ، و " لباء بفضلي جرول وجرير") . ووظيفة لام الجـواب أن (دخولهـا لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى)[6] . أما البيت الأخير فقد جعل جواب الشرط فيه هو" لم يقل ... ". وقد وردت في شعر البارودي نماذج للاسم العلم بعد (لو) التي تفيد الامتناع ، كقوله :

---

[1] = اظر : السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص468، ص469.

[2] = ألفية ابن مالك – تصحيح أبّاه بن محمد– مصدر سابق – ص194.

[3] = الديوان – ص250.

[4] = الديوان – ص656

[5] = الديوان – ص208

[6] = ابن نور الدين – مصابيح المغاني – مصدر سابق – ص296.

فلو مصرُ تدري أرسلت لك نيلها ليلقاك في جُنْح من الليل قاتمِ [1]

فمصر في قوله : " فلو مصر تدري " . علمٌ جاء بعد " لو " ، ويكون الاسم الظاهر بعد " لو " فاعلا لفعل محذوف ، وتقدير الجملة الشرطية هو : لو تدري مصر تدري أرسلت لك نيلها .

أداة الشرط " كلما ":

(ظرف يقتضي التكرار مركب من : " كل " و" ما " المصدرية أو النكرة التي بمعنى "وقت")[2]، ويرى السكاكي أن " كلما " لا تعد من أسماء الشرط إذ يقول : (ولكن الأصحاب ألحقوا بكلمات الشرط : كلما ، وإن كانت أصول النحو تأبى ذلك ، لمّا تقرر أن كلمات الشرط حقها أن تجزم ، وليس هو من الجزم في شيء ، وإنما هو : كل الشمول ، قد دخل على " ما " المصدرية المؤدية معنى الظرف ، على نحو : أتيتك مقدم الحاج ، وانتصب في قولك : كلما أكرمتني أكرمتك ، لإضافته إلى الظرف ، مفيدا معنى: كل وقت إكرامك أكرمك)[3] ، يقول البارودي :

بين حِيطان وباب موصد كلما حرّكه السجان صرْ

ثم قال :

كلّما درتُ لأقضي حاجة قالت الظلمة مهلا لا تدُرْ [4]

ويقول أيضا :

لهِجٌ بحبّ الصالحات فكلما بلغ النهاية مِن صنيع يبتدي [5]

ومثل ذلك قوله :

كأنا على أرجوحة كلّما ونَتْ أحالَ عليها قــائمٌ ليس يغفُلُ [6]

فكل من الأبيات السابقة في قوله : (كلما حرّكه السجان صر ، وكلما درتُ قالت الظلمة : لا تدر ، وكلما بلغ النهاية يبتدي ، وكلما ونت أحال عليها قائم) ، جمل شرطية فعلية دخلت عليها " كلما " على اختلاف مواضعها فكان تركيبها هو : (كلما + فعل الشرط " فعل ماض " + جواب الشرط " فعل ماض أو مضارع ") .

---

[1] = الديوان – ص 528.

[2] = المصدر السابق نفسه – ج2/ص499.

[3] = السكاكي – مفتاح العلوم – مصدر سابق – ص490.

[4] = الديوان – ص253

[5] = الديوان – ص119

[6] = الديوان – ص482

أداة الشرط " لما " :

وهي كلمة وجود لوجود ، واختلف في ماهيتها فبعضهم عدّها من الظروف المبنية ، وبعضهم يرى أنها حرف يقتضي جملتين [1] ، فإذا وقع لها جواب (فهي لأمر يقع بوقوع غيره ، بمعنى " حين " كقوله تعالى : { فلما آسفونا انتقمنا منهم }[2] ، أي حين آسفونا)[3] ، ومثل ذلك قوله :

ولمّا وقفنا للوداع وأسبلتْ   مدامعنا فوق الترائبِ كالمُزنِ
أهبتُ بصبري أن يعودَ فعزّني   وناديت حلمي أن يعودَ فلم يُغْنِ [4]

فقد بُني البيتان السابقان على معنى الشرط بحيث ضمّ الأول (" لمّا " + فعل الشرط " وقف ") . وتصدر البيت الثاني بجواب الشرط الفعل الماضي " أهبتُ " ، ويقول البارودي جامعا بين أدوات الشرط في الرثاء:

هوىً كان لي أن ألبسَ المجدَ مُعلَما   فلما ملكتُ السبقَ عِفتُ التقدما
ومن عرف الدنيا رأى ما يسرّه   من العيش همّا يتركُ الشهْد علقما
وأيّ نعيم في حياة وراءها   مصائب لو حلّتْ بنجم لأظلما [5]

فالبيت الأول احتوى على أداة الشرط " لما " في قوله : (لما ملكت السبق عِفت التقدم) . وجاء البيت الثاني بأداة الشرط " مَن " في قوله : (من عرف الدنيا رأى ما يسره) . أما البيت الثالث فضمّ حرف الشرط " لو " في قوله : (لو حلت بنجم لأظلم) . وهذا التكرار في الأسلوب يدل على حاجة الشاعر في الرثاء إلى أسلوب الشرط ؛ لأن فيه له نوعا من الإطالة والاتساع .

لا شك أن الحديث عن أدوات الشرط الداخلة على الجملة الفعلية ذو شجون ، ولا سبيل في هذا المبحث إلى الإطالة في بسط الكلام عليه ؛ لأن بابه واسع واستعمالات البارودي كثيرة له ، فلا تخلو قصيدة من أداة من أدوات الشرط ، غير أن خلاصة القول في ذلك هي أن البارودي أفاد من الشرط إفادة خدمت له الحاجة من استعمال أسلوب الشرط كما يتفق وأساليب الأقدمين في ذلك .

---

[1] = انظر : السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص163.
[2] = سورة الزخرف – 55
[3] = أبو القاسم الزجاجي – حروف المعاني – تحقيق علي توفيق الحمد – ط1 – 1984م – مؤسسة الرسالة – بيروت – ص11.
[4] = الديوان – ص626
[5] = الديوان – ص555

الفصل الثالث :

مكملات الجملة في شعر البارودي:

تقوم الجملة بنوعيها الاسمية والفعلية على المسند والمسند إليه ، وهو ما يعرف بالعمدة في الجملة ؛ لأن الجملة لا تتم إلا به . كالمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية ، أو الفعل والفاعل في الجملة الفعلية ، ومن ثَمَّ يتعلق بالمسند والمسند إليه مكملات للجملة لتزيل اللبس وتزيدها وضوحا ، وتسمى مكملات الجملة وهي الفضلة الزائدة على أصل الجملة ، وهي كل ما لم يكن عمدة في الكلام كأن لا يكون مسندا أو مسندا إليه .

إن من المسلمات في النحو أن الفضلة هي الاسم المنصوب الذي يتمم معنى العمدة ، وقد تقع الفضلة مجرورة كأن تقع بعد حروف الجر ، غير أنها في الأصل اسم منصوب ، ولا يتفق أن تقع الفضلة اسما مرفوعا ، لأن الرفع من خصائص العمدة المسند أو المسند إليه ، فلا يمكن تصور الجملة الفعلية أو الاسمية دون أن يتوافر فيها الرفع ، لأنها قائمة على الإسناد سواء كان فاعلا أم مبتدأ أم خبرا ، ولا يعني ذلك أن الفضلة لا لزوم لها في الكلام ، لأن الجملة قد تكون غير مكتملة المعنى دون الفضلة ، وهذا ما سوف يظهر لاحقا في الكلام على مكملات الجملة .

إن الحديث عن مكملات الجملة في هذا الباب يحتم علينا أن نعرف معناها وأقسامها ، لأن الغالب فيها أن تتعلق بزيادة المعنى وتمامه في ذهن السامع ، فتكون مكملات الجملة بذلك مما لا سبيل إلى الاستغناء عنه لإتمام المعنى المستقر في ذهن صاحبها . (وقد قسّم النحويون مكملات الجملة إلى قسمين: أحدهما : أصل في النصب ، ويقصدون به المفعولات الخمسة : المفعول المطلق والمفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول له ، والمفعول معه . والثاني : محمول على الأول ، وهو ما سوى المفعولات الخمسة ، من مثل : الحال والتمييز والمستثنى)[1].

لا شك أن الأسماء المنصوبة ليست كلها مكملات للجملة من حيث تكون دخيلة على معنى الجملة فحسب ، فثمة أسماء منصوبة تعد من العمدة في الكلام ، كاسم " إن " وأخواتها ، وخبر " كان " وأخواتها ، واسم " لا " النافية ، والتابع للمنصوب . وقد توسّع ابن الدهان في باب المفعولات فقد جعل المفعولات على ضربين أحدهما أصل ، والآخر مشبه بالأصل . فالأصل خمسة أضرب : مفعول مطلق ، ومفعول به ، ومفعول فيه ، ومفعول له ، ومفعول معه ؛ وجميعها منصوب لفظا أو موضعا ... . أما المشبه بالمفعول فخمسة أضرب : خبر كان ، واسم " إنّ " ، والحال ، والتمييز ، والاستثناء [2] ، وقد

---

[1] = محمد عبد الله جبر – الأسلوب والنحو – مصدر سابق – ص21.

[2] = انظر : ابن الدهان – الفصول في العربية – مصدر سابق – ص 23، 24.

ذكر الفراهيدي في كتابه " الجمل " المنسوب إليه أن (النصب أحد وخمسون)[1] ، ضمّ فيه الأسماء المنصوبة كلها ، غير أن الغالب على صورة الاسم المنصوب أن يكون فضلة في الجملة ، كالمفعولات كلها ، والحال ، والتمييز ، والمنادى ... ، وهو ما سوف نتناول درسه في هذا الفصل إن شاء الله .

المبحث الأول : المفعولات :

وهي أسماء منصوبة دائما ، وقد قدمتُ مبحث المفاعيل على بقية الأسماء المنصوبة ؛ لأنها الأصل وغيرها محمول عليها ومشبه بها [2] . والمفاعيل أنواع : وهي المفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول فيه ، والمفعول لأجله ، والمفعول معه . وعلامة المفعول أربع : (الفتحة ، والكسرة ، والألف، والياء ، نحو : رأيت زيدا ، ومسلماتٍ ، وأباك ، ومسلمَين ، ومسلمِين)[3] ، وهي كلها متوافرة ومتناثرة في شعر البارودي ، بين الكثرة والقلة ، لكون المفاعيل تختلف بين نوع وآخر في دلالتها واستعمالها .

أولا : المفعول به :

وهو كل اسم منصوب دلّ على ما وقع عليه فعل الفاعل نفيا أو إثباتا ، ويسمى الفعل متعديا ويكون المفعول واحدا فصاعدا إلى الثلاثة [4] ، لأنه لا يقع للفعل اللازم مفعول . أما صور المفعول به فهي نوعان : صريح ، ومؤول . والصريح قسمان : اسم ظاهر ، وضمير متصل ، أو ضمير منفصل . و(يرى عدد من النحاة أن الفعل والفاعل هما عاملا النصب في المفعول به ، ويعللون ذلك بأن تلازم ركني الجملة يجعلهما كالكلمة الواحدة ، وذلك لارتباط أحدهما بالآخر ارتباط جزأي الكلمة الواحدة بعضهما بالآخر)[5] ، وقد فضّل الشاعر اللجوء إلى استعمال هذا النوع أكثر من المفعول به المؤول . إن وقوع المفعول به في شعر البارودي كثير لا حصر له في هذا المبحث ، ومن نماذج ذلك في شعر البارودي :

بكيت عليا إذ مضى لسبيله　　　بعين تكاد الروح في دمعها تجري [6]

وكقوله :

زالت خيالتها عني وأعقبهـــا　　　شوقٌ أحالَ عليّ الهمَّ والسهرا
فهل إلى سنةٍ إن أعوزت صلة　　　عَوْدٌ ننال به من طيفها الوطرا [7]

---

[1] = الخليل الفراهيدي – الجمل في النحو – مصدر سابق – ص 34.
[2] = انظر : ابن هشام الأنصاري – شذور الذهب – مصدر سابق – ص 239
[3] = نور الدين الجامي – شرح كافية ابن الحاجب – مصدر سابق – ج1/ص308.
[4] = انظر : الزمخشري – المفصل في صنعة الإعراب – مصدر سابق – ص 44 .
[5] = كريم الخالدي – نظرات في الجملة العربية – ط1 – 2005م – دار صفاء – ص 35 .
[6] = الديوان – ص248
[7] = الديوان – ص 255

ففي الأبيات السابقين ظهر المفعول به علما في قوله : عليا . ومصدرا صريحا في كل من قوله : الهم ، والوطر ، وضميرا متصلا بالفعل في قوله : أعقبها . وقد جعلهما معرفين بـــ " أل " حتى تظهر صورة المفعول به على وجه التعريف ، ومثل ذلك قوله :

يا مخلفَ الوعدِ ! ألا زورةٌ　　　أقضي بها الحق من الزائرِ
تركتني من غَمَرات الهوى　　　في لُجِّ بحرٍ بالردى زاخرِ
أسمع في قلبي دبيبَ المُنى　　　وألمحُ الشبْهة في خاطِري [1]

حيث جعل المفعول به في البيت الأول اسما ظاهرا ، في قوله : الحق . ثم تعدى الفعل " ترك " ليأخذ ضميرا متصلا في البيت الثاني في قوله : تركتني . فالضمير المتصل فيه هو " ياء المتكلم " . وفي البيت الثالث غيّر من موضع المفعول به ، فجعله في وسط الشطرين بقوله : (دبيب المنى ، والشبهة) . ويكاد الشاعر لكثرة استعماله المفعول به يبني القصيدة الواحدة ، على أساس الفعل المتعدي إلى مفعول ، ومن ذلك قوله في قصيدة طويلة مطلعها :

قلدت جيد المعالي حلية الغزل　　　وقلت في المجد ما أغنى عن الهزل [2]

إلى أن قال في القصيدة نفسها :

لا يدفعون يدا عنهم ولو بلغت　　　مسَّ العفافةِ من جُبْنٍ ومــن خَــزَلِ
خافوا المنيّة فاحتالوا وماعلموا　　　أن المنيةَ لا ترتّــدُّ بــالحِـيَــلِ
ففيم يتّهم الإنسان خالــقَــه　　　وكل نفس لها قيدٌ مــن الأجــلِ
هيهات يلقى الفتى أمنا يلَــذُّ به　　　ما لم يَخُضْ نحوَهُ بحرا مــن الوهَلِ
فما لكم لا تعاف الضيمَ أنفسُكم　　　ولا تزول غواشيكم من الكســلِ
وتلك مصرُ التي أفنى الجِلادُ بها　　　لفيف أسلافكم فــي الأعْصُر الأوَلِ
قومٌ أقرّوا عمادَ الحق وامتلكوا　　　أزمّة الخَلْق مــن حــافٍ ومنتعلِ
جنَوْا ثمارَ العلا بالبيض واقتطفوا　　　من بين شوك العوالي زهرة الأمــلِ [3]

إن الأبيات السابقة تدل على الصورة الجليّة للتكرار في تركيب المفعول به في القصيدة ، فقوله : (جيد المعالي ، حلية الغزل ، الاسم الموصول " ما أغنى " ، يدا ، مس العفافة ، المنية ، المصدر المؤول " أن المنية لا ترتد بالحيل ، خالقه ، أمنا ، بحرا ، الضيم ، لفيف أسلافكم ، عماد الحق ، أزمة الخلق ، ثمار

[1] = الديوان – ص255
[2] = الديوان – ص396
[3] = الديوان – ص405، ص406، ص407.

العلا ، زهرة الأمل) . ولا يخلو بيت من الأبيات السابقة إلا وصورة المفعول به ظاهرة فيه ، ولا شك أن الشاعر قد فضّل أن يستعمل من صور المفعول به ما كان اسما ظاهرا ، ففي مطلع القصيدة ذكر المفعولين : (جيد المعالي ، وحلية الغزل) في الشطر الأول ، ثم بنى الاسم الموصول (ما) في محل نصب مفعول به . ثم ينتقل بعد ذلك لينوع من طرق استعمال المفعول وموضعه في البيت الواحد ، فربما جعل في البيت الواحد مفعولين ، كما في البيت الثاني في قوله : (يدا ، مس العفافة) ، والبيت الثالث في قوله : (المنية ، والمصدر المؤول " أن المنية لا ترتد بالحيل ") ، والبيت الخامس في قوله : (أمنا ، بحرا) ، والبيت الثامن في قوله : (عماد الحق ، أزمة الخلق) وفي قوله في البيت التاسع : (ثمار العلا، زهرة الأمل) . واكتفى بمفعول واحد في بقية الأبيات . ولكنه قد يجعل المفعول به على صورة المصدر المؤول كقوله في البيت الثاني : (وما علموا أن المنية لا ترتد بالحيل) . وقد تجده يورد فعلاً متعديا إلى المفعول في بيت واحد مرتين . كقوله :

لم أجنِ في الحبّ ذنبا أستحقّ به   عتبا ولكنهـا تحـريفُ أقـوالِ
ومن أطاع رواة السوءِ نفّـره   عن الصديق سماعُ القيلِ والقالِ [1]

فالفعلان (أجن ، أستحق) في البيت الأول ، تعدى كل منهما إلى مفعول على صيغة المصدر في قوله : (ذنبا ، عتبا) ، وجعل الفعلين (أطاع ، نفّر) يتعدى كل منهما إلى مفعول ليس مصدرا ، وهما (رواة السوء ، والضمير المتصل) . وقد يكرّر من الفعل المتعدي إلى مفعولين ليدل على التوكيد ، كقوله :

لا تسلني عن بعض ما أنا فيه   من غرام فلست أملك نطقا
سلْ إذا شئتَ أنجمَ الليل عني   فهْي أدرى بكل ما بتّ ألقى [2]

فقد جعل لكل من الفعلين (لا تسلني ، وسل) مفعولين ، الأول ضمير المتكلم المتصل ، والثاني الاسم المضاف " أنجم الليل " ، ووجه التكرار في البيت السابق قد وقع على التركيب الآتي :(" لا تسل ، أو سل" + المفعول به + الجار والمجرور " عن وما بعدها ") . ومن ذلك قوله :

فألقِ إليهِ السمعَ يُنـبئْك أنـه   هو الشعر لا ما يدعي الملأ الغَمْرُ [3]

وقد أضاف الشاعر في هذا البيت صورتين للمفعول به ، وهما الاسم الظاهر : (السمع) ، وضمير المخاطب المتصل في الفعل (ينبئك) وزاد على هذا الفعل أن جعله متعديا إلى مفعول ثان على صورة المصدر المؤول في قوله : (أنه هو الشعر) . ويقول أيضا :

---

[1] = الديوان – ص 446

[2] = الديوان – ص 368.

[3] = الديوان – ص 229

فإذا علتْ سكنتْ مِظلة أيكة وإذا هوتْ وردتْ قرارة منبــعِ
أملتْ عليّ قصيدة فجعلتها لشكيبَ تُحفة صـــادقٍ لم يــدّعِ [1]

ففي البيت الأول : (مِظلة أيكة ، قرارة منبع) مفعولان على صورة أسماء ظاهرة في التركيب نفسه . أما في البيت الثاني فقد جاء مفعوله الأول ضمير الغائب المتصل في الفعل الماضي (جعلتها) ، والمفعول الثاني للفعل نفسه هو قوله : (تحفة صادق) ، وبذلك يكون الشاعر قد جعل المفعول به على صورة الاسم الظاهر في ثلاثة مواضع وعلى صورة الضمير المتصل في موضع واحد ، وفي هذا الشاهد وغيره دلالة على كثرة استعمال الشاعر للمفعول به الاسم الظاهر أكثر من الضمير المتصل وحتى المنفصل . غير أن المفعول به مما كان على صورة الضمير المتصل يرد متكررا في بعض القصائد . كقوله :

قد شفّني طولُ وجدي والــحــب داءٌ يــشُــفُّ
فارحم فديتك صــبّــا إلى لُــقــاك يـــخِــفُّ [2]

حيث جعل صورة المفعول به في البيتين السابقين ضميرا متصلا ، فظهر الأول في قوله : شفني ، والثاني في قوله : فديتك .

إن علة تكرار صورة المفعول به الذي يكون ضميرا متصلا ترتبط ارتباطا وثيقا في بعض القصائد بحاجة الشاعر إلى القافية ، لأنه لا يتأتى للشاعر أن يجنح عن القافية لمجرد أنه يكرر من صورة المفعول به ، وذلك مما لا يعيب الشاعر فهو أمر مألوف في السجع والشعر ، وليس البارودي بدعا من الشعراء في استعمال هذا التركيب . ومن أمثلة أعجاز الأبيات التي تتوافق فيها القافية قوله :

أم خلــتَ أن يــدَّ الزمــا نِ قصيــرةٌ عــن أن تــنــالَكْ
هيهات صدّ بك الــهــوى عن أن تريــع ولــن إخــالَــكْ
سلم أمـــورَك للــذي أنشاك مــن عـــدم وعــالَــكْ
ودعِ التــعلّــقَ بــالــمُحا لِ فإنه يبري مِــحــــالَــــكْ
فعساك تنــز ع من يد الــ أهواء يا قــلــبــي حــبــالَــكْ [3]

[1] = الديوان – ص333، ص334
[2] = الديوان – ص 357
[3] = الديوان – ص 508

وقد يرد المفعول به كما ذكرنا سابقا مصدرا مؤولاً مكونا من " أن " المصدرية المخففة والفعل المضارع. أما النوع الآخر وهو أن يكون المصدر مكونا من (أنّ) المؤكدة يليها اسمها وفعلها، كقوله :

أتحسب أنّ الظنَّ يُدرِكُ بعضَ ما   تحاوله والظنُّ للمــرء مُــوبِــقُ [1]

فقد جعل المفعول به مصدرا مؤولا للفعل " تحسب " في قوله : " أن الظن يدرك بعض ما تحاوله " ، فهو من أفعال الظن التي تتعدى إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، وقد يكون المصدر المؤول مفعولا به لفعل يتعدى في طبيعته على ألسنة الناس إلى المصدر المؤول ، وقوله :

وكفكفتُ دمعا لو أسلت شؤونهُ   على الأرض ما شكّ امرؤ أنه بحرُ [2]

فقد أجرى الفعل " شكّ " مجرى أفعال الظن ، فجعل جملة " أنّ " الاسمية " أنه بحر " في محل نصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر . وكقوله يذكر فعلا من أفعال اليقين :

لم يدرِ مَن بات مسرورا بلذّته   أني بنارِ الأسَى من هجرِه صالي [3]

فالمفعول به في البيت السابق هو : أني بنار الأسى صال . وقعت جملة " أنّ " في محل نصب مفعول به لفعل اليقين المجزوم (لم أدرِ) .وجملة " أنّ " تؤول بمصدر ، ويمكن أن يكون تقديرها في الذهن هو : لم يدر اصطلائي من هجره بنار الأسى . وقوله أيضا :

فما للهوى يقوى عليّ بحكمه   ألم يدرِ أنّي الشمريّ الحُلاحِلُ [4]

فالفعل " درى " يتعدى كثيرا بالمصدر المؤول ، والشاعر في استعماله المصدرَ المؤول في البيت السابق مما شاع على ألسنة الناس ولا يخرج عن المألوف ، ولا يكون مخالفا لقواعد اللغة ، من ذلك قوله في نفس القصيدة :

وإنّا رجالٌ تعلم الحربُ أننــا   بنوها ويدري المجدُ مــاذا نحــاول [5]

---

[1] = الديوان – ص 383

[2] = الديوان – ص 216

[3] = الديوان – ص 445

[4] = الديوان – ص431

[5] = المرجع السابق نفسه .

فقوله : يدري المجد ماذا يحاول . وقع اسم الاستفهام " ماذا " في محل نصب مفعول به ، وكذلك قوله :

لم أدرِ حتامَ أقاسي الجوى   يا ويحَ قلبي منك ماذا لقي [1]

فاسم الاستفهام " ماذا " في محل نصب مفعول به مقدم وجوبا ؛ لأن له الصدراة في الكلام . وقد يقع المفعول به مصدرا مؤولا ، كقوله في " أنّ " :

وكان يحزُنني شيبي فصـــرتُ أرى   أنّ الذي بعــدَه أولـــى بـــأحــزاني [2]

فالمصدر المؤول من " أنّ " واسمها وخبرها في محل نصب مفعول به للفعل " أرى " . وقد يرد المفعول به مصدرا مؤولا في شعر البارودي إذا سبق الفعل المضارع " أنْ " المصدرية ، كقوله :

أسلمه صحبُه وما علموا   أنْ سوف يمحو وجودَهم عَدَمُهْ [3]

وتركيب المصدر المؤول يكون على صورة (أنْ + سوف + الفعل المضارع) وحروف الاستقبال "سوف، والسين " قليلة الاستعمال بعد " أنْ " المصدرية التي تقع قبل الفعل الماضي والمضارع ، (غير أنها إن دخلت على المضارع خصّته للاستقبال)[4] . وقد تقع " أنْ " المصدرية وفعلها المضارع مفعولا به في مواقع متفرقة من ديوان البارودي كقوله :

يسوء الخليلَ ويؤذي الجليــ   ـــــسَ ويأنَفُ إن زلَّ أنْ يَــنــدَمــا [5]

فقد تعدى الفعل المضارع : يأنف " إلى المفعول به المصدر المؤول " أن يندم " ، وتأويل المصدر هو : يأنف الندم .

مواضع تقدم المفعول به :

الأصل في المفعول به التأخر عن الفعل والفاعل ، بدليل أن (الفاعل والمفعول إذا لم يكن في الكلام ما يدل عليهما التزمت العرب تقديم الفاعل وتأخير المفعول . فإذا قالوا : ضرب موسى عيسى .

---

[1] = الديوان – ص366

[2] = الديوان – ص–691

[3] = الديوان – ص–561

[4] = أحمد المالقي – رصف المباني – مصدر سابق – ص193.

[5] = الديوان – ص583

ولم يكن معهم ما يدل على الفاعل ، علمتَ أن المقدّم هو الفاعل ، إذ لم تكن العرب تقدم المفعول بغير دال على ذلك ، لما في ذلك من نقض الغرض[1] ، وقد يُقدم على الفاعل جوازا ووجوبا ، وإذا قُدّم أفاد الاختصاص [2] ، وقد ذكر النحويون شروطا لتقدم المفعول به وتأخره ، ومن جملة تلك الشروط ما ذكره صاحب " همع الهوامع " حين قال : (ويجب تقديمه إن تضمن شرطا أو استفهاما خلافا للكوفية فيما قصد به استثبات ، أو أضيف إليهما ، أو نصبه فاصلا جواب أما ، أو أمر فيه الفاء ، أو كان معمول مفسر الجواب ... وتأخيره إن كان " إن " أو " أن " ، أو مع فعل تعجبيّ ، وموصول بحرف ، أو جازم ، لا إن قدم عليه ، ولام الابتداء ، أو قسم ، أو " قد " ، أو سوف ، أو " قلما " ، أو " ربما " ...)[3] . ويعلل سيبويه ذلك بقوله : (فإذا بَنيت الاسم عليه قلت : ضربتُ زيدا ، وهو الحد ، لأنك تريد أن تعمله وتحملَ عليه الاسم ، كما كان الحدّ " ضرب زيد عمرا " ، حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل . وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه . وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد ، كما كان عربيا جيدا ، وذلك قولك : زيدا ضربتَ ، والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء ، مثله في " ضربَ زيد عمرا ، وضرب عمرا زيدٌ ")[4] .

إن الطابع العام في شعر البارودي أن المواضع التي يكون فيها المفعول به متأخرا وجوبا أكثر من تلك التي يجب فيها تقديم المفعول به على فعله ، ولعل ذلك يعود إلى كون تراكيب الجمل التي يتقدم فيها المفعول به وجوبا لا تتناسب وطبيعة الوزن والتركيب العام لبنية القصيدة عند البارودي ، بالإضافة إلى أن الأصل في المفعول به أن يتأخر عن فعله ما لم يظهر في الجملة ما يوجب تقديم المفعول به ، وقد بحثت في ديوانه مطوّلا فلم أجد في شعره كثيرا من الشواهد التي تدل على وجوب تقديم المفعول به على الفعل ، وقد يكون البارودي غير معنيّ بحاجته إلى تقديم المفعول به على فعله . غير أن ذلك لا يعني أنه لم يلتفت إلى تقديم المفعول به على فعله ، فمثال ذلك قوله :

به علّةٌ إن لم تُصبْها سلامةٌ   من اللهِ كادت نفسَ حاملِها تُردي [5]

فالمفعول به المقدم هو قوله : (نفس حاملها) ، ووجه تقدمه على الفعل المضارع المتأخر(تردي) لغايات تتعلق بالمعنى والوزن الشعري ، ولا مانع من تقديمه . ومن أمثلة وقوع المفعول به مقدما وجوبا أن يكون اسم استفهام ، كقوله في الأمثلة التي تقدم ذكرها :

---

[1] = ابن أبي الربيع – البسيط – مصدر سابق – ج1/ص280.

[2] = قاسم محمد صالح – الظاهرة النحوية بين الزمخشري وأبي حيان – ط1 – 1991م . ص119

[3] = انظر : جلال الدين السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ ص6، ص7.

[4] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص80 ، ص81.

[5] = الديوان – ص163

وإنّا رجالٌ تعلم الحرب أننا   بنوها ويدري المجدُ ماذا نحاول [1]

فقوله : يدري المجد ماذا يحاول . وقع اسم الاستفهام " ماذا " مفعولا به في محل نصب للفعل المضارع "يدري " ، وكذلك قوله :

لم أدرِ حتامَ أقاسي الجوى   يا ويحَ قلبي منك ماذا لقي [2]

فقد تقدم اسم الاستفهام " ماذا " على الفعل الماضي " لقي " . ولا يجوز للشاعر أن يقدم المفعول به " ماذا " لوجوب تصدره ، فيقول : لقي ماذا ؟ . ومن أمثلة أسماء الاستفهام التي يجب تقديمها على الفعل " أيّ" في قوله :

قد تولى إثرَ غِزلانِ النَّقا   ليت شعري أيَّ واد سلكا [3]

فالشاهد في البيت السابق قوله : (أيَّ واد سلك) . فقد وقع المفعول به المنصوب " أيَّ " متقدما على الفعل الماضي وجوبا .

ومن صور المفعول به أن يرد ضميرا منفصلا ، ويجب تقديمه على الفعل ؛ لكونه ضميرا منفصلا منصوبا [4] ، على صورة (إيّــا) متصلة بالكاف والهاء والياء ، وبالرغم من قلتها في الشعر إلا أنها قد وردت في شعر البارودي ، كقوله :

فإياك أن تغترّ يا صاحِ بالهوى   فإن الردى حلف الهوى وعقيدهُ [5]

فقد جعل ضمير النصب المنفصل في محل نصب مفعول به في قوله : إياك . وهذا التركيب يُعرف بالتحذير [6] . وقد كرر التركيب نفسه حين جعل الجملة على نحو : (إياك + " أن " + الفعل المضارع) في قوله :

فإياك أن تغشى الديار مخاطرا   فــدونَ حِماهــا للأســود نئيــمُ [7]

---

[1] = المصدر السابق نفسه .

[2] = الديوان – ص366

[3] = الديوان : ص392، ص393

[4] = انظر : ابن أبي الربيع – البسيط – مصدر سابق – ج306/1

[5] = الديوان – ص 147

[6] = انظر : جلال الدين السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص17.

[7] = الديوان – ص592

فقوله : فإياك . الفاء : حرف استئناف مبني على الفتح . و" إيا " مفعول به مبني على السكون في محل نصب لفعل محذوف تقديره : أحذر ، والفاعل ضمير مستتر تقديره : أنا . والكاف حرف خطاب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

مواضع تأخر المفعول به :

إن الأصل في المفعول به أن يتأخر عن فعله ، ويجوز أن يتقدم على الفاعل ، (فأمره في هذا كأمر الفاعل)[1] ، ولكن ثمة شروطا توجب تأخره عن الفعل ، ولا يجوز تقديم المفعول به فيها ، وقد ذكرها السيوطي مرتبة [2] ، وهي :

1- أن يكون المفعول به هو المصدر المؤول من " أن " المشددة أو المخففة . ومن ذلك قول البارودي:

وإني لأستحيي من المجد أن أرى صريعَ مرام لا يفوز بها خَصْلي [3]

فقوله : أن أرى . مصدر مؤول من " أن " المصدرية والفعل المضارع " أرى " ، وتقديره : "أستحيي رؤيتي " ، لكنه ثقل على اللسان والوزن أن يكون على نحو تلك الصورة . وقوله كذلك في التركيب نفسه:

ألا أيها الساري عليّ بجهله ولم يدر أني درّة في المفارق [4]

ويقول أيضا :

ولم يدرِ أني به على جمَرَاتِ التلفْ [5]

ففي الأبيات السابقة وردت صورة المفعول للفعل المضارع المجزوم " يدر " مسبوقا بـــ " أنّ " واسمها وخبرها ، في قوله : (أني درة في المفارق ، وأني على جمرات التلف) ، فوقعت الجملة الاسمية في كل تلك المواضع في محل نصب مفعول به . وقد يستعمل في مواضع أخرى الفعل المضارع نفسه ولكن على صورة المتكلم ، كقوله :

حسبتُ الهوى سهلا ولم أدرِ أنّه أخو غدَراتٍ يتبع الهزلَ جدُّهُ [6]

---

[1] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص42

[2] = انظر : جلال الدين السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص8

[3] = الديوان – ص443

[4] = الديوان – ص387

[5] = الديوان – ص349

[6] = الديوان – ص123

ويقول :

فلم أدر أن الله صوّر قبلكم تماثيل لم يخلق لهنّ مسامع [1]

ومما تقدم من أمثلة ، نلاحظ أن البارودي قد رغب في تكرار صورة الفعل " درى " على صيغة الفعل المضارع المجزوم " يدر ، أدر " .

2- أن يقع المفعول به بعد الفعل التعجبيّ ، نحو : ما أحسن زيدا . كقول البارودي :

ما أبعد الخيرَ في الدنيا لطالبه وأقربَ الشرّ من نفس تحاذره [2]

فكل من " الخير ، الشر " مفعول به منصوب بالفتحة لوقوعه بعد الفعل الماضي " أحسن ، أقرب " في الموضع نفسه من الشطرين . ويقول أيضا :

ما أطولَ الليلَ على الساهرِ أما لهذا الليل من آخِرِ [3]

فتركيب الجملة الفعلية (ما أبعد الخير ، وما أطول الليل) على نحو تركيب : (ما التعجبية + الفعل الماضي على وزن " أفعل " + الجار والمجرور) .

3- أن يكون المفعول به متصلا بفعله ، بحيث يكون ضميرا من ضمائر النصب المتصلة . وهذا النوع مما يكثر في شعر البارودي ، فضمائر النصب المتصلة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنفصل عن الفعل الذي لحقت به ، لأنها لولا الفعل لم تقم الضمائر المتصلة ، وبذلك فإنها لا تتقدم الفعلَ أو تغيّر من تركيبه ، من ذلك قول البارودي في مقطوعة صغيرة :

أحببت مَن والى عليّا رغبة في فضله وكرهتُ من عاداهُ
هو ذلك الحَبر الذي مِن أمّه نال الرضا وأجيب من ناداهُ
وكفى بسبطَيْهِ إماما رحمة نالا من الرضوان ما قصداهُ
قد عزّ من والاه في الدنيا وفي يوم الحساب وذلّ مَن باداه
فاقصد به واعرفه واستمسك به تلقَ الهدى وكفى المريدَ هُداه
وإذا عرتك ملمّة فاهتف به تسمعْ بقلبك حيث كنتَ صداهُ [4]

---

[1] = الديوان – ص319
[2] = الديوان – ص269
[3] = الديوان – ص255
[4] = الديوان – ص704

فقد ختم أواخر الأبيات السابقة في أربعة مواضع بهاء ضمير النصب المتصل والذي يعود على علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، وهي : (عاداه ، ناداه ، قصداه ، باداه) . وقد وقع فيها الضمير في محل نصب مفعول به ، وذكر الضمير نفسه في قوله : (والاه ، اعرفه) ، ولعل تكرار ضمير النصب أكثر من مرة يدل على رغبة البارودي في تركيز انتباه المتلقي إلى الشخص الذي يعود عليه الضمير في غرض المدح .

4- أن يكون الفعل المضارع مع فعل موصول بجازم ، نحو : لم أضرب زيدا ، فلا يقدم على الفعل فاصلا بينه وبين الجازم ، فإن قدم على الجازم جاز . كقول البارودي :

لم تلقَ منهم سليما في مودّته   كأن كلّ امرئ في قلبه دخَنُ [1]

والشاهد في البيت السابق هو جزم الفعل المضارع بـــ " لم " في قوله : لم تلق . فيجب أن يتبعها الفعل المضارع ، بحيث لا يليها المفعول به . وكقوله أيضا :

لم أجنِ في الحب ذنبا أستحق به عتبا ولكنها تحريفُ أقوال [2]

فقوله : ذنبا . مفعول به وجب تأخره على الفعل المضارع المجزوم " أجن " ؛ لأنه لا يجوز أن يقع المفعول به بين الفعل المضارع و" لم " .

5-أن يكون المفعول به في جملة الفعل الموصول بلام الابتداء ، أو " لام القسم " ، أو " قد " ، أو " سوف"، وفيما يأتي ذكرها . كقول البارودي :

إني أرى أنفسا ضاقت بما حملتْ   وسوف يَشهَرُ حدَّ السيف شاهرُهُ [3]

فقد تقدّم المفعول به " حدّ السيف " على الفاعل " شاهره " ، ولم يتقدم المفعول به على الفعل المضارع . ويقول في مثل دخول " قد " على الفعل المتعدي :

---

[1] = الديوان – ص641

[2] = الديوان – ص446

[3] = الديوان – ص270

قد لعمري بلوت دهري فما أحمد ت منه ما تَحمَد الأقوامُ [1]

فقوله : قد بلوت دهري . جملة فعلية تأخر المفعول به فيها وجوبا ؛ لأن الفعل الماضي مسبوق بـــ " قد "؛ لأنها مختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس ، وهي معه كالجزء ؛ فلا تفصل منه بشيء ، إلا القسم كأن تقول : " قد لعمري بت ساهرا " و" قد والله أحسنت " [2] ، فبالرغم من أن جملة القسم المعترضة " لعمري " في البيت السابق قد فصلت بينها وبين الفعل المضارع إلا أن تركيب الجملة الفعلية لم يتغيّر ؛ فقد ظهر على نحو : (قد + لعمري + الفعل الماضي) ، ومثل ذلك التركيب قول البارودي :

قدْ لعمري عرفت دهري فأنكر تُ أمورا ما كُنّ لي في حِسابِ [3]

6- أن يتصل بالفعل المضارع نون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة . كقوله :

فلا تحسبنّي جهلت الصوابَ ولــكــنْ هممـــتُ فلــم أقــدرِ [4]

وكقوله :

فلا يغرّنْك من وجهٍ بشاشتهُ فـــالنـــار كامنة في ناخر السَّلَمِ [5]

ففي البيتين السابقين نوعان من نون التوكيد ، فقوله : لا تحسبنّي . النون ثقيلة مشددة ، وفي البيت الثاني: لا يغرنْك . نون التوكيد خفيفة . وقد اتصل بالفعل المضارع المجزوم ضميري النصب " ياء المتكلم والكاف " .

المفعول المطلق :

المفعول المطلق هو مصدر منصوب مشتق من أصل فعله ، وهو (اسم ما صدر عن فاعل مذكور بمعناه)[6] ، (وسمي بذلك لأن الفعل يصدر عنه)[7] ، وسمي بذلك أيضا (لصحة إطلاق صيغة المفعول عليه من غير تقييده بالياء ، أو " في " ، أو " مع " بخلاف المفاعيل الأربعة الباقية ، فإنه لا يصح

---

[1] = الديوان – ص623.

[2] = انظر : ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب – مصدر سابق – ج1/ص194. وانظر : السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص494.

[3] = الديوان : ص 68 ، ص69

[4] = الديوان – ص252

[5] = الديوان – ص619.

[6] = علي الجرجاني – التعريفات – مصدر سابق – ص224.

[7] = الزمخشري – المفصل في صنعة الإعراب – مصدر سابق – ص40.

إطلاق صيغة المفعول عليها إلا بعد تقييدها بواحدة منها)[1] ، وربما كان مخالفا لفعله مع حفاظه على أصل الفعل نفسه ، فقد (يقرن بالفعل غير مصدره مما هو بمعناه ، وذلك على نوعين : مصدر وغير مصدر . فالمصدر على نوعين : ما يلاقي الفعل في اشتقاقه كقوله تعالى : { والله أنبتكم من الأرض نباتا }[2] ، وقوله تعالى : { وتبتل إليه تبتيلا}[3] ، وما لا يلاقيه فيه كقولك : قعدت جلوسا ، وحبست منعا ، وغير المصدر كقولك : ضربته أنواعا من الضرب ، وأيّ ضرب ، وأيّما ضربٍ...)[4] . غير أن (الأصل في المفعول المطلق أن يكون من لفظ العامل فيه ومعناه ، نحو : ضربت ضربا ، وقد ينوب عنه ما دلّ عليه من مغاير لفظ العامل فيه ، نحو : جدّ كلَّ الجدِ)[5] . وربما كان فعله محذوفا كقولهم : سحقا ومحقا وبعدا ، فيكون تقديره لفعلٍ اعتاد الناس حذفه لكثرة تداوله على ألسنتهم ، وهو ما يسمى بالمصدر النائب عن فعله ، (والمصادر المنصوبة بأفعال مضمرة على ثلاثة أنواع : ما يستعمل إظهار فعله وإضماره ، وما لا يستعمل إظهار فعله ، وما لا فعل له أصلا ، وثلاثتها تكون دعاء وغير دعاء)[6] .

يأتي المفعول المطلق في الشعر والنثر عامة ، إلا أن له مواضعَ لا بدّ من وروده فيها بحيث لا يمكن فيها الاستغناء عنه ، إما لإتمام معنى وتوكيده ، أو ليكتمل به الوزن ، كقوله :

فيا ليتنا كنا ترابا ولم نكنْ خُلِقنا ولمْ نقدَم إلى الدهر مقدَمَا [7]

فقد جاء المفعول المطلق في البيت السابق في عجز البيت في قوله : مقدما . وهو منصوب بتنوين الفتح لاشتقاقه من أصل فعله . ولو أن البارودي لم يلجأ إلى ذكر المفعول المطلق ، لاضطرب الوزن ونقص البناء مع أن المعنى لن يختل كثيرا عند حذفه . ومن أمثلة ذلك أيضا :

طلعتَ عليها طلعة البدرِ أشرقتْ بِلأْلائِه الآفاقُ والليلُ لائلُ [8]

[1] = نور الدين عبد الرحمن الجامي – شرح كافية ابن الحاجب – مصدر سابق – ج1/ص309.
[2] = سورة نوح ، 17.
[3] = سورة المزمل ، 8.
[4] = المصدر السابق نفسه ، ص40.
[5] = شرح الكودي – مصدر سابق – ج317/1
[6] = المصدر السابق ، ج1/ص41.
[7] = الديوان – ص 559.
[8] = الديوان – ص460

فقوله : طلعة البدر . مفعول مطلق منصوب ، غير أنه لم يقع مصدرا صريحا للفعل " طلع " ومصدره "طلوع " ، بل وقع على صيغة اسم المرة . ويجوز أن يقع المفعول المطلق على هذا النحو ، كقول البارودي أيضا :

تدور مَدارَ الطوقِ من حيثُ تلتقي مسيرا وتنسلُّ انسلالَ الأراقــمِ
إذا ضاحكتها الشمسُ رفّت متونُها رفيفَ الثنايا خلْفَ حُمْرِ المباسمِ [1]

فقد جعل المفعول المطلق " مدار " مصدرا ميميا بمعنى الدوران ، ويجوز أن يجعله مصدرا صريحا كأن يقول : تدور دوران الطوق . كقوله في الشطر الثاني من البيت الأول : تنسلّ انسلال الأراقم . فقد جعل المصدر " انسلال " مشتقا من فعله الثلاثي المزيد " انسل " . إلا أن الوزن الشعري لا يتفق وطبيعة المصدر الصريح للكلمة . غير أن المفعول المطلق في شعر البارودي يجيء مصدرا صريحا كقوله :

تصيح بها الأصداءُ في غسَــقِ الدُّجـــى صياحَ الثكالى هيّجتْهــا النــوائــحُ [2]

فالمفعول المطلق المنصوب " صياح الثكالى " في البيت السابق هو مصدر صريح مشتق من الفعل " صاح" . ومثل ذلك قوله :

تكنّفْــنَ تمثالا من الحسن رائعا يُجــنُّ جنونا عند رؤيته العقلُ [3]

فقد نصب المصدر الصريح في قوله : " جنونا " لأنه اشتق من أصل فعله " يجنّ ". وقدمه على الفاعل "العقل " . ومن أمثلة ذلك قوله :

يهفو به الغصن أحيانا ويرفعه دحْوَ الصوالج في الديمومة الأُكَرا [4]

ومعنى البيت أن الشاعر يصف طائرا كان يتمايل بين الأغصان ويهتز فوق الغصن . وكأن الغصن في تمايله يدحو العصفور كما يدحو اللاعب الكرة فوق الأرض . وقد جعل الشاعر الاسم المنصوب في قوله: (دحوا) مصدرا نائبا عن فعله ، لأنه استغنى عن فعله بقوله : (يرفعه) ، لأن المصدر من نوع الفعل[5]،

---

[1] = الديوان – ص539
[2] = الديوان – ص106
[3] = الديوان – ص421
[4] = الديوان – ص254. الصولجان : عصا معوجة ، يعطف طرفها ، وتضرب بها الكرة .
[5] = انظر : ابن أبي الربيع – البسيط – ج1/ص470.

والأصل أن يقول : يدحوه دحوا ؛ لأن (الدَّحْو : مصدر دحا يدحو دحوا ، إذا دحا به على وجه الأرض)[1] .

إن الأصل في المفعول المطلق أن يشتق من جنس فعله ، وما دام كذلك فقد يذكر فعله في الجملة وقد يحذف منها ، وهو ما يسمى عند النحاة بالمصدر النائب عن فعله ، لأنه ذكِر ليدل في الجملة على فعله ، ويكون المصدر النائب عن فعله إما للدلالة على الأمر أو الدعاء أو النهي . ولكنها مصادر وُضعت موضعا واحدا لا تتصرّف في الكلام تصرف غيرها من المصادر . وتصرفها أنها تقع في موضع الجرّ والرفع وتدخلها الألف واللام [2]. ويختلف في شعر البارودي من حيث الغرض الذي يذكر فيه القصيدة ، كقوله يعزي خليل مطران [3] مستعملا المفعول المطلق لفعل محذوف :

فيا صاحبي مهلا فلستُ بواجــدٍ   سوى حاضــرٍ يبكي فجيعة غائبِ
وصبرا فإنّ الصبر أكرمُ صاحبٍ   لمن بان عن مثــواه أكرم صاحبِ [4]

فقوله في البيتبن السابقين : مهلا ، صبرا . مصدران منصوبان نابا عن فعليهما ، وهما : تمهل ، واصبر. فدلا بمعناهما على صيغة الأمر . وتركيب المصدر النائب عن فعله يتكرر عادة بعد استعمال الشاعر لأسلوب النداء ، كما يظهر في قوله :

يا هاجري من غير ذنب في الهوى   مهــلا فهجــرُك والمنــونُ سواءُ [5]

فقد جاء بأسلوب النداء من حرف النداء والمنادى ، وما يتعلق به من شبه الجملة الجار والمجرور ، ثم أتبعه بعد ذلك بالمصدر النائب عن فعله في قوله : مهلا ، ويشبهه في التركيب قول البارودي :

أيها المغرورُ مهلا   لست للتكريمِ أهلا [6]

---

[1] = ابن دريد الأزدي – جمهرة اللغة – تعليق إبراهيم شمس الدين – ط1 – 2005م – دار الكتب العلمية – بيروت – " د ح و " ج1/ص582.

[2] = انظر : الكتاب – سيبويه – مصدر سابق – ج1/ص322.

[3] = انظر : الديوان : الهامش – ص 88.

[4] = الديوان – ص87

[5] = الديوان – ص38

[6] = الديوان – ص508

فوجه الشبه بين البيتين السابقين هو في استعمال أسلوب النداء ، ثم يتبعه استعمال المصدر النائب عن فعله في قوله : مهلا . وهذا ما فعله تماما في البيت السابق . ويقول في موضع آخر :

رُويدَك لا تعجلْ بلومٍ على امرئ   أصاب هوى نفسٍ ففي الدهرِ ما يُسْلي [1]

فالمصدر النائب عن فعله هو : رويدك . وإن لم يكن له فعل ، إلا أنه دل على صيغة ما ينوب عن فعله . ومن المواضع التي يرد فيها النائب عن المفعول المطلق قول البارودي :

قضَوْا ما قضَوْا من دهرهمْ ثم فوّزوا   إلى دار خُـلْـدٍ ظـلُّها غـيرُ زائلِ [2]

فالشاهد في البيت قوله : ما قضوا . فقد أقام " ما " المصدرية وجملتها الفعلية التي لا محل لها من الإعراب مقام المفعول المطلق للفعل " قضوا " ، كأن التقدير هو : قضوا قضاءهم . ويقول مستعملا المصدر " سبحان " :

سبحانَه جلّ عن وصف يُحيط به   وكيف يدرك وصفَ الدائم الفاني [3]

فقوله : سبحانه . مصدر ناب مناب الفعل لا يستعمل إلا منصوبا ، وإن يكن معربا ، إلا أن العرب لم تغير آخره بدخول العوامل وألزمته طريقة واحدة ، لأن (سبحان الله) بمنزلة : براءة الله من السوء ، و(براءة الله من السوء) يتغير آخره بدخول العوامل ، فتقول : صحّت براءة الله من السوء ، فيرتفع ، فيُعلم بهذا أن (سبحانَ الله) لو دخل عليه ما دخل على البراءة ، وتصرّف كتصرفها لتغيّر بالعوامل ، فهو لذلك معرب ، لأنك لو قدّرت اختلاف العوامل لوجب تغيّر الآخر، فعلم ذلك بالقياس والنظائر [4] ، ويرى سيبويه أنها بمعنى قولك : تسبيحا . ووجه النصب على "أسبّح الله تسبيحا " . فقد خُزِل الفعل ههنا لأنه بدل من اللفظ [5]. ومثل ذلك قول البارودي :

سبحان من أبدع في ملكهِ   حتى بدا من صنعه ما بدا [6]

إن تركيب البيت السابق دقيق وواضح ؛ فقد جعله مبنيا على فكرة تنزيه الله سبحانه وتقديسه ، مستخدما في ذلك المصدر " سبحان " مضافا إلى الاسم الموصول " من " الذي يعود بمعناه إلى لفظ الجلالة .

---

[1] = الديوان – ص438

[2] = الديوان – ص468

[3] = الديوان – ص692

[4] = انظر : ابن أبي الربيع – البسيط في شرح جمل الزجاجي – مصدر سابق – ج1/ص161، ص 164 ، ص 172، ص173.

[5] = انظر : الكتاب – سيبويه – مصدر سابق – ج1/ص322.

[6] = الديوان : ص 175

ومن أمثلة المصدر النائب عن فعله ما كان على صورة المثنى ، (وذلك قولك : حنانيك ، كأنه قال : تحنّنا بعد تحنّن ، كأنه يسترحمه ليرحمه ، ولكنهم حذفوا الفعل لأنه صار بدلا منه ، ولا يكون هذا مثنى إلا في حال إضافة ، كما لم يكن " سبحان الله ومعاذ الله " إلا مضافا . فحنانيك لا يتصرف كما لم يتصرف " سبحان الله " وما أشبه ذلك)[1] ، ومثل ذلك قول البارودي :

حنانيك إن الرأي حارَ دليلُهُ   فضلَّ وعاد الهزلُ فيك إلى الجدِّ [2]

فقوله : حنانيك : حنانى مفعول مطلق منصوب بالياء لأنه ملحق بالمثنى ، وعامل النصب فيه محذوف . والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه . ومن أمثلة ذلك قولهم : لبيك وسعديك. أي بمعنى : (إجابة بعد إجابة ، كأنه قال : كلما أجبتك في أمر فأنا في الأمر الآخر مجيب ، وكأن هذه التثنية أشدّ توكيدا)[3] . وقد وردت " لبيك " في شعر البارودي بقوله :

لبيك يا داعيَ الأشواق من داعي   أسمعتَ قلبي وإن أخطأتَ أسماعي [4]

فمن الملاحظ على ما تقدم من أمثلة وغيرها من شعر البارودي أن يقدم المصدر النائب عن فعله (سبحان، حنانيك ، لبيك) على بقية أجزاء الكلام في البيت ، ولعله يقصد من ذلك تركيز ذهن المتلقي إلى معناها . وقد يرد المصدر النائب عن فعله في شعر البارودي على صورة ذات تركيب تقليدي ، تأثر فيها من الشعراء الأقدمين بصورة لا مجال للشك فيها ، كقوله :

فلأيْا بلأي ما تولّتْ حُداءَه   مُزمجرة هوجاءُ بالقاع تعْصِفُ [5]

فقوله على نحو : (لأيْا + الجار والمجرور " بلأي " + ما النافية + الفعل الماضي) تركيب مطابق تماما لقول امرئ القيس في قصيدة البائية :

فلأيا بلأي ما حملنا غلامنا   على ظهر محبوك السّراة محنّب [6]

---

[1] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص348.

[2] = الديوان : ص166.

[3] = انظر : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص350.

[4] = الديوان : ص339

[5] = الديوان : ص355

[6] = ديوان امرئ القيس – ص50

يقول الفراهيدي في " لأي " : ولم أسمعْ أحدا يجعلها معرفة ، يقولون : لأيا عرفت ، وبعد لأي فقلت ، أي: بعد جهد ومشقة [1] ، وبذلك يقول شارح الديوان : فلأيا بلأي : أي جهدا بعد جهد حُمل غلامنا على ظهر هذا الفرس لنشاطه وامتناعه [2] . ويقول الأعشى على نحو هذا التركيب :

فلأيا بلأي ما حملنا الغلا   مَ كرها فأرسله فامتهنْ [3]

وقد ورد استعمالها في معلقة زهير ابن أبي سلمى بقوله :

وقفتُ بها من بعد عشرينَ حِجّة   فلأيا عرفت الدارَ بعد توهّمِ [4]

ويرى التبريزي في شرح للمعلقات أنه من الأجود أن تؤوّل الكلمة حالا مشتقة ، على أن تكون مقدرة من فعل محذوف ، فيقول : (اللأي البطء ، قالوا : المعنى فبعدَ لأي ، كأنهم يقدرونه على الحذف ، والأجود أن يكون المعنى : فعرفت الدار لأيا ، يكون قوله : " لأيا " ، في موضع الحال ، والمعنى مبطئا ، فهذا بغير الحذف)[5] ، وقد تأثر البارودي من بيت زهير بن أبي سلمى على نحو واضح حين قال :

فلأيا عرفتُ الدار بعد ترسّم   أراني بها ما كان بالأمس شاغلي [6]

المفعول فيه :

وهو اسم منصوب (ضُمِّن من اسم وقت أو مكانٍ معنى " في " باطّراد لواقع فيه مذكور ، أو مقدر ناصب له)[7] ، ويسمي ظرفَ الزمان أو المكان ، (وذاك لأنها ظروف تقع فيها الأشياء ، وتكون فيها ، فانتصب لأنه موقوع فيها ومكون فيها ، وعمل فيها ما قبلها)[8]. وقد عرفه الزمخشري وشرحه بكلام موجز فقال : (هو ظرف الزمان والمكان ، وكلاهما منقسم إلى مبهم ومؤقت ، ومستعمل اسما وظرفا ، ومستعمل ظرفا لا غير ، فالمبهم نحو : الحين والوقت ، والجهات الست . والمؤقت نحو : اليوم، والليلة ، والسوق ، والدار . والمستعمل اسما وظرفا ما جاز أن تعتقب عليه العوامل ، والمستعمل ظرفا لا غير ما لزم النصب نحو قولك : سرنا ذات مرة ، وبكرة ، وسحر ...)[9] ، والجهات الست هي (أمام ، وخلف ، وفوق ، وتحت ، ويمين ، وشمال)[10] .

---

1 = الفراهيدي – العين – ص863.

2 = انظر : ديوان امرئ القيس – مصدر سابق – الحاشية ، ص50.

3 = ديوان الأعشى – تحقيق محمد محمد حسين – ط7 – 1983م – مؤسسة الرسالة – ص69 .

4 = الخطيب التبريزي – شرح المعلقات العشر المذهبات – ضبطه عمر الطباع – دار الأرقم – بيروت – ص124.

5 = المصدر السابق نفسه .

6 = الديوان – ص463

7 = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص102

8 = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص403 ، ص404.

9 = الزمخشري – المفصل – مصدر سابق – ص 65.

10 = شرح المكودي – مصدر سابق – ج1/ص333.

إن الشواهد الشعرية على المفعول فيه في ديوان البارودي كثيرة متنوعة ، ويتوزع المفعول فيه بحُرية بين أجزاء البيت وذلك لتنوع أشكال المفعول فيه وتوافقه عادة مع الوزن الشعري ، بالإضافة إلى أنه يمكن أن يكون ظرف زمان أو مكان . ومن جملة ظروف الزمان والمكان (عند ، بين ، قبل ، بعد ، فوق ، تحت ، أسفل ، خلف ، أمام ...) . وقد يكون اسما دالا على الزمان أو المكان مثل : (عصرا ، ظهرا ، قريبا ، صباحا ، جانبا ، ساعة ...) ، فيتحول في تركيب الجملة من اسم عام إلى اسم يدل على الظرفية وهو ما يميز المفعول فيه . غير أن ظرف الزمان في شعر البارودي وغيره (أوسع من ظرف المكان ، لأن جميع أسماء الزمان صالحة للنصب على الظرفية ، مبهمة كانت أو مختصة ... ، والسبب في تعدي الفعل إلى جميع ظروف الزمان قوة دلالته عليه من جهة أن الزمان أحدُ مدلولي الفعل ، كما أن السبب في تعديته إلى جميع ضروب المصادر قوة الدلالة عليها من جهة المعنى واللفظ)[1] . ومن أمثلة استعمال البارودي للظرف قوله :

قد لانَ إلا أنّه إن قــســـا   يومَ نضال صدّع الجُلْمُدا [2]

فقد جعل الاسم المنصوب " يوم نضال " واقعا مفعولا فيه ، لدلالته على الزمان ، وهو من الألفاظ التي يمكن أن تقع ظرفا ، وكقوله :

إذا أحسنتْ يوما أساءتْ ضُحى غدٍ   فإحسانُها سيفٌ على الناسِ جائرُ [3]

فقد نصب المفعول فيه مرتين في قوله : يوما ، وضحى غد . وكلاهما ظرف زمان منصوب ، وإن كانت حركة الفتحة في الظرف الثاني " ضحى " مقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر . ومن ظروف الزمان الشائعة في الاستعمال قوله :

قالوا غدا يومُ الرحيل ومن لهم   خوفَ التفرّق أن أعيش إلى غدِ [4]

فظرف الزمان هو قوله : غدا . وقد وقع الظرف شبه جملة في محل رفع خبر مقدم على مبتدئه " يوم الرحيل " ، لأن الأصل في الجملة أن تكون : يومُ الرحيل غدا . ومن أمثلة ظرف المكان قوله :

---

[1] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج103/2

[2] = الديوان – ص177

[3] = الديوان – ص238

[4] = الديوان – ص129

لعمر أبي إن الحياة وإن صفتْ مسافةَ يوم فهو صفوٌ مرنّق [1]

ومثل ذلك قوله :

من طلب العزّ بلا آلةٍ أدركه الذلّ مكانَ الظفرْ [2]

فقد جعل كلاًّ من قوله : (مسافة يوم ، ومكان الظفر) مفعولا فيه منصوبا ، لدلالته على المكان الذي حدث فيه الخبر ، فهو ظرف مكان منصوب .

وقد يأتي الظرف في شعر البارودي مسبوقا أحيانا بحرف الجر ، فيكون بمثابة الاسم المجرور ، وهو في هذه الحالة لا يكون مطلقا مفعولا فيه لانتفاء حكم النصب عنه ، كقوله :

يرومون مسعاتي ودونَ منالها مراقٍ تظلّ الطيرُ من بعدها تهوي [3]

ففي البيت السابق ظرفان ، الأول : " دون منالها " مفعول فيه منصوب بالفتحة ، والثاني : " من بعدها " اسم مجرور بالكسرة ، وليس مفعولا فيه لأنه سُبق بحرف جرّ جعله مجرورا . وكذلك قوله أيضا :

والليلُ منشورُ الذوائبِ ضاربٌ فوقَ المتالع والرُّبى بجِرانِ [4]

فقوله : فوق المتالع . مفعول فيه منصوب ، لأنه من الجهات الست التي تدل على ظرف المكان . وكقوله:

وللغمائمِ بينَ الأُفْق منسَحَبٌ وللنسائم نحوَ الأرضِ متّجَــهُ [5]

ففي البيت السابق ذكر ظرفين يدلان على المكان دلالة قطعية لورود اسم يجسد مكانا بعدهما ، وهما : بين الأفق ، ونحو الأرض . وهما منصوبان لدلالتهما على الظرفية المكانية ، ومثل ذلك قوله :

أمامَنا البحر وتلقاءَنا سوادُ جيش مكفَهرّ لُهامْ [6]

---

[1] = الديوان – ص 384.

[2] = الديوان – ص253

[3] = الديوان – ص722

[4] = الديوان – ص643

[5] = الديوان – ص702

[6] = الديوان – ص546

فظرفا المكان في البيت السابق هما " أمامنا ، وتلقاءنا " . ووجه النصب فيهما هو دلالتهما على الظرفية المكانية .

إن شعر البارودي فيه الكثير من الشواهد على المفعول فيه ، وذلك يعود إلى أنه لا يمكن أن يستغنى عنه لدلالة الزمان أو المكان عليه ، فالمفعول فيه في شعر البارودي بمثابة المخرج الذي يجد القارئ فيه فسحة ليتقرب بها إلى مراد الشاعر ومعناه . والدليل على ذلك هو أن البارودي يستعمل الظروف في شعره في البيت الواحد والقصيدة أكثر من مرة ، كقوله :

مسرحٌ للعيون يمتــــدّ فــــيــه نفَسُ الريحِ بيــنَ ماضٍ وآتِ
فامتثل دعــوة الصَّبــوح وبــادِرْ فرصة الدهرِ قبلَ وشْكِ الفَواتِ [1]

فالظرفان المنصوبان في البيتين السابقين ظرفا زمان يدلان على حالة الزمن الذي يتحدث عنه الشاعر ، فقوله : بين ماض وآت ، وقبل وشك الفوات . يحملان القارئ إلى التفكير في عامل الزمن . ومن ذلك أيضا قوله :

هانت لمِيتته الدنيــا وزهّدنــا فرطُ الأسى بعده في الماء والزادِ
هل للمكارم من يُحيي مناسكَها أم للضلالة بعدَ اليوم مــن هادي
جفَّ الندى وانقضى عمر الجَدا وسرى
حكمُ الــردى بين أرواحٍ وأجسادِ [2]

فقد ظهرت صورة المفعول فيه ثلاث مرات في مواضع متشابهة من الأبيات الثلاثة السابقة ، فكل تلك الظروف وقعت في وسط الشطر الثاني من كل بيت في قوله : (بعده) وهو ظرف مكان ، و(بعد اليوم) ظرف زمان ، و(بين أرواح) ظرف مكان . وحملت دلالات لا تتأتى دون اللجوء إلى استعمال الظروف. ويقول أيضا :

طورا يُخامرُه الذهول وتارةً يبكي بكاءَ الطفل عندَ فطامِهِ [3]

[1] = الديوان – ص91
[2] = الديوان – ص162
[3] = الديوان – ص613

فقد ذكر ثلاثة ظروف زمنية ، وهي : طورا ، تارة ، عند . وهذا النوع من الظروف يستعمله الشاعر ليدل على تغيّر عامل الزمن ، فمرة يخامره الذهول بمعنى أنه ينسى ، ومرة يتذكر فيبكي بكاء الطفل عندما يفطم . ومثل ذلك التركيب قوله :

طورا أداري لوعتي بالمنى وتارة يغلبني مَدمَعي [1]

ويقول أيضا :

فطورا لنا في غمرة اللَّجِّ مسبحٌ وطورا لنا بين السماكَيْن مَحفِلُ [2]

وقوله مكررا ظرف الزمان " تارة " مرتين :

فتارة أهدأ من روعتي وتارة أفزع كالطائرِ [3]

إن البارودي حين يكرّر ظرف الزمان مرتين ، كما يبدو في الأبيات السابقة ، تجده يجعل تركيب البيت في شطري البيت هو نفسَه ، ففي قوله : (طورا أداري لوعتي ، وتارة يغلبني مدمعي) ، تكرار لتركيب الجملة الفعلية على نفس هذا التركيب : (ظرف زمان + فعل مضارع متعدّ إلى مفعول) ، وكذلك قوله : (طورا لنا مسبح ، وطورا لنا محفل) ، تكرار للتركيب نفسه ، وهو (ظرف زمان + جار وجرور خبر مقدم + مبتدأ مؤخر) . ومثل ذلك قوله : (تارة أهدأ من روعتي ، وتارة أفزع كالطائر) . فقد جعل بناء البيت على نحو يماثل هذا التركيب : (ظرف زمان + فعل مضارع + جار ومجرور) .

المفعول لأجله :

وهو ما سماه سيبويه " ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر " فقال في بابه : (فانتصب لأنه موقوع له ، ولأنه تفسير لما قبله " لمَ كان ؟ " وليس بصفة لما قبله ولا منه ، فانتصب كما انتصب الدرهم في قولك : عشرون درهما . وذلك قولك : فعلت ذلك حذارَ الشر . وفعلت ذلك مخافة فلان وادّخار فلان)[4] ، وهو أيضا كل مصدر منصوب دلّ على حدث قلبي مصدره الحس كأن يكون من أفعال النفس الباطنة [5] ، وقد يكون بيانا لسبب ، أو (هو علة الإقدام على الفعل ، وهو جواب لمه ؟ . وذلك قولك : فعلت كذا مخافة الشر ، وادخار فلان ، وضربته تأديبا له ، وقعدت عن الحرب جبنا ...)[6]، ويسمى بالمفعول له ، أو المفعول من أجله . (ويشترط في نصبه أربعة شروط : أن يكون مصدرا ،

---

[1] = الديوان – ص323

[2] = الديوان – 482. اللج : كثرة الماء . السماكان : نجمان نيران . الحفل : المجلس .

[3] = الديوان – ص255

[4] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص367

[5] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص98.

[6] = الزمخشري – المفصل في صنعة الإعراب – مصدر سابق – ص 72 .

وأن يظهر التعليل ، وأن يتحدَ مع الفعل المعلل في الزمان)[1] . إن شعر البارودي زاخر بشواهد عن المفعول لأجله ، وقد جاءت على نحو منسجم وتركيب الجملة الفعلية ، ومن أمثلة ذلك قول البارودي :

ألفوا الضيمَ خشية الموت والضيـــ ـــمُ لعمري فجْعٌ خسيس وثُكلُ [2]

فقوله : خشية الموت . مفعول لأجله منصوب ، وقد ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى : { ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق }[3] ، ويقول أيضا :

يستغيثون فالقلوبُ هوافٍ حذرَ الموتِ والعيونُ سوامِ [4]

فالمفعول له في البيت السابق هو في قوله : حذر الموت . منصوب بالفتحة . ألا ترى أنه جاء جوابا لقولك : لماذا يسغيثون ؟ . ومثل ذلك قوله :

لدى موطن لا يصحب المرءَ قلبُهُ حذارا ولا تسري إليه الهواجسُ [5]

فالمصدر المنصوب " حذارا " مفعول لأجله ، لأنه جواب قولك : لماذا لا يصحب المرء قلبه .

إن لعمل المفعول لأجله شروطا منها (أن يكون مصدرا ، وفعلا لفاعل الفعل المعلل ، ومقارنا له في الوجود)[6] ، وقد أضاف بعض النحويين شروطا أخرى وهي ألا يكون من لفظ الفعل ، وأن يكون نكرة، وأن يكون من أفعال النفس الباطنة ، وهذه الشروط جميعا محل خلاف بين النحويين [7] . ومن الأمثلة على ذلك قول البارودي :

لا ترى بينها سوى عبقريٍّ يألفُ الطعنَ نجدةً وارتياحا [8]

---

[1] = شرح المكودي – مصدر سابق – ج1/ص326

[2] = الديوان – ص498

[3] = سورة الإسراء ، 31.

[4] = الديوان – ص550

[5] = الديوان – ص 286

[6] = الزمخشري – المفصل – مصدر سابق – ص 72 .

[7] = انظر : المصدر سابق – ص72 .

[8] = الديوان – ص116

فقوله : نجدة . مفعول له منصوب . وقع بيانا لسبب ، فقد عطف عليه الاسم المنصوب " ارتياحا " ليدل بذلك على أن الاسم مصدر حسيّ . وكقوله :

روعاءُ تفزعُ من عصافير الضُّحى   ترفا وتجزع من صياح الهدهد [1]

فالشاهد في البيت السابق هو قوله : ترفا . لكونه جاء مفسرا لسبب الفزع . والدليل على ذلك أنه لما قال: وتجزع من صياح الهدهد . جعل حرف الجر " من " معناه سببيا ، ومن ذلك قوله :

هجوتُه رغبة في الصدقِ إذ نفرتْ   شمائلي عن مقالِ المدح في الكذبِ [2]

حيث جعل المفعول لأجله " رغبة " مصدرا قلبيا محسوسا ، لا يمكن أن تراه العين حتى يكون سببا لهجائه. ومثل ذلك التركيب قوله :

أحببت من والى عليّا رغبةً   في فضله وكرهتُ من عاداه [3]

فقد فسّر سبب حب البارودي لمن والى عليّا كرّم الله وجهه رغبة في فضله ، وكذلك قوله في موضع آخر:

تتفانى الرجال حِرصا عليها   وهْو حرص أدّى إليه الجنونُ [4]

فالمصدر المحسوس " حرصا " مفعول لأجله ، وقع جوابا لقولك : لماذا تتفانى الرجال ؟ . وكقوله :

أعاشرهم رغما وودّي لو ان لي   بهم نَعَما أدعو بها فيسارعُ [5]

والمصدر المذكور في البيت السابق مما شاع على ألسنة الناس وتداولوه حتى في اللهجات العامية الدارجة، وبذلك يكون البارودي قد نوّع في استعماله المفعول لأجله ، وأثرى ديوانه به في مواضع شتى منه .

أما المفعول معه فلم أعثر في ديوان البارودي على مواضع وقع الاسم فيها منصوبا بعد واو المعية ، ولعل عدم الحاجة إلى هذا مثل النوع من المفعولات كانت وراء عدم استعمال البارودي له في شعره .

---

[1] = الديوان – ص133

[2] = الديوان – ص87

[3] = الديوان – ص704

[4] = الديوان – ص680

[5] = الديوان – ص318

المبحث الثاني : الحال :

هو كل فضلة منصوب دلّ على حال صاحبه أو هيئته ، أو هو ما يقع جوابا لقولك : كيف ؟ . ومثل ذلك أن تقول : (ما شأنك قائما ، وما شأن زيد قائما ، وما لأخيك قائما ، فهذا حال قد صار فيه ؛ وانتصب بقولك : ما شأنك . كما ينتصب " قائما " في قولك : هذا عبد الله قائما ، بما قبله)[1] ، و(سواء كان الدال مشتقا أو جامدا صح أن يقع حالا ، من غير أن يؤول الجامد بالمشتق ، لأن المقصود من الحال بيان الهيئة ، وهو حاصل به)[2] ، ويقوم الحال على اسم يسمى صاحب الحال ، ويجوز أن يقع صاحب الحال من الفاعل أوالمفعول أو منهما معا [3] ، والأصل في صاحب الحال أن يتقدم على الحال حتى يدل الكلام عليه ، غير أن (الحال إذا كان العامل فيها فعلا صحيحا جاز فيها كل ما يجوز في المفعول به من التقديم والتأخير ، إلا أنها لا تكون إلا نكرة)[4] . ويكون الحال منصوبا حسب العامل الذي يسبقه ، وهو على ضربين ؛ فعل ، ومعنى فعل ، فإن كان فعلا جاز أن يتقدم الحال عليه نحو : راكبا جاء زيدٌ ؛ لأن العامل فيه لما كان متصرفا تصرّف عمله فجاز تقديم معموله عليه ؛ وإن كان العامل فيه معنى فعل لم يجز تقديم الحال عليه فلو قلت : قائما هذا زيد . لم يجز ؛ لأن معنى الفعل لا يتصرف تصرف الفعل فلم يجز تقديم معموله عليه [5] ، ويقسم الحال إلى ثلاثة أقسام بحسب أقسام الجملة ، وهي :

- الحال المفرد : وهو الاسم الذي ليس بجملة ولا شبه جملة . وقد يكون الحال المفرد مثنى أو جمعا مذكرا سالما أو جمعا مؤنثا سالما ، أو اسما مشتقا من الفعل كأن يكون اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، أو صفة مشبهة ، أو صيغة المبالغة ، وأفعل التفضيل [6] ، وقد يقع الحال اسما جامدا . لأن المقصود من كونه مفردا مخالفته للحال الجملة الاسمية والفعلية ، والحال شبه الجملة .
- الحال الجملة : وهو قسمان : الحال الجملة الاسمية ، والحال الجملة الفعلية ، والحال الجملة من حيث العمل كالخبر الجملة .
- الحال شبه الجملة : وهو قسمان أيضا : الحال شبه الجملة الظرفية ، ويقسم إلى ظرف الزمان ، وظرف المكان . والنوع الثاني : الحال شبه الجملة الجار والمجرور .

الحال المفردة :

إن المواضع التي تأتي فيها الحال مشتقة كثيرة في شعر البارودي ، ولا شك أن البارودي لم يغفل عن استعمال المشتقات على صورة الحال ، ونذكر منها على وجه الإيجاز قول البارودي :

---

[1] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص60، ص61.
[2] = نور الدين الجامي – شرح كافية ابن الحاجب – مصدر سابق – ج1/ص390.
[3] = بتصرف : أبو البركات الأنباري – أسرار العربية – مصدر سابق – ص150.
[4] = المبرد – المقتضب – مصدر سابق – ج168/4
[5] = بتصرف : أبو البركات الأنباري – أسرار العربية – مصدر سابق – ص151.
[6] = شرح المكودي – مصدر سابق – ج1/ص360

أرسلتُ طرفي رائدا   فما علا حتى هوى [1]

فالحال " رائدا " على وزن اسم الفاعل ، وصاحب الحال هو المفعول به في قوله : طرفي . ويقول أيضا :

ولاح بينهما " بَلهيبُ " متّجها   للشرق يلحظ مجرى النيل من أمَمِ [2]

فقوله في البيت السابق : متجها . حال مفردة على وزن اسم الفاعل (مُتفعِّل) . ويقول في موضع آخر :

يقول أناس إنني ثُرت خالعا   وتلك هَناتٌ لــم تكن مــن خلائقي
ولكنني ناديت بالعدل طالبا   رضا اللهِ واستنهضتُ أهلَ الحقائقِ [3]

فالحالان في البيتين هما : خالعا ، طالبا . وقد جاء بهما الشاعر من الوزن نفسه للفعل الثلاثي " خلع ، طلب " ، بالإضافة إلى أنه تعمّد ذكرهما آخر الشطر الأول من البيتين السابقين .

أما مواضع وقوع الحال المفرد على وزن اسم المفعول في شعر البارودي فهي أقل من مواضع وقوع الحال على وزن اسم الفاعل ، ومنها قوله :

فسرّني منكَ ما قدّمــتَ مُبتدَأ   وساءني منك ما أخّرتَ في الثاني [4]

فاسم المفعول " مبتدَأ " حال منصوبة . وجاء الاسم على صيغة اسم المفعول ليدل على معنى الابتداء ، كأنه قال : سرّني ما قدمت ابتداء . وكذلك قوله :

ثمّ اشرأبّت فألفت طائرا حذِرا   على قضيب يدير السمع والبصرا
مستوفِــزا يتنزّى فــوقَ أيكتهِ   تنزّيَ القلب طال العهدُ فــادّكــرا [5]

---

[1] = الديوان – ص714
[2] = الديوان – ص514 . بلهيب : أبو الهول .
[3] = الديوان – ص387
[4] = الديوان – ص678
[5] = الديوان – ص254 . مستوفزا : غير مطمئن .

والشاهد في البيتين السابقين هو قول الشاعر : مستوفزا . وقد وردت صيغة الحال على وزن اسم الفاعل "مستفعِل " . وهذا لا يعني أن الحال لم ترد بغير صيغة اسم الفاعل ، فقد ظهرت الحال مشتقة على وزن الصفة المشبهة ، إذ يقول أيضا :

وسعى إليّ الحلمُ في أثوابهِ   طرِبا وآنَ لجهليَ الإقصارُ [1]

فقد ظهرت الحال في البيت السابق على صورة الصفة المشبهة في قوله : طربا . على وزن (فعِل) وهو الوزن الأكثر استعمالا في الصفة المشبهة [2] ، وصاحب الحال في البيت السابق هو الفاعل " الحلم " . ومن صور الحال المشتقة أن تكون جمع تكسير على وزن (فِعال) كقول البارودي :

ماتوا كراما وأبقوا للعلا أثرا   نالت به شرفَ الحريّة الأمَمُ [3]

فقوله : كراما . حال على صيغة جمع التكسير ومفرده " كريم " . وقد بنى البارودي البيت السابق بناء يعتمد على الجملة الفعلية . وقد يقع الحال مصدرا في شعر البارودي ومن أمثلة المصادر الواقعة حالا في شعره قوله :

بألا تفيئَ العينُ عن سُنّةِ البكا   وألا تَرِيعَ النفسُ إن لم تمتْ وجْدا [4]

ويقول كذلك مستعملا التركيب نفسه :

ما لقلبي مِن لوعة ليس يهدا   أو لم يكفِ أنـــه ذاب وجـــدا [5]

فقد وقع الحال في البيتين على لفظة : " وجدا " . من الفعل " وجد " ، ويمكن تأويل المصدر إلى مشتق فيكون بمثابة قوله : واجدا . لأن الحديث عن صاحب الحال يعود على الضمير المستتر " أنت " في الأول، و" هو " في الثاني . إن وقوع الحال مصدرا له ما يسوعه ؛ (لأن المقصود من الحال بيان الهيئة، وهو حاصل به ، وهذا رد على جمهور النحاة ، حيث اشترطوا اشتقاق الحال وتكلفوا في تأويل الجامد بالمشتق ، ومع هذا فلا شك أن الأغلب في الحال الاشتقاق)[6] . وقد يجعل الحال مصدرا متكررا ، ولا يخلو من أن يرد الحال مصدرا ، وذلك لأن الغالب على الحال (أن تكون وصفا مشتقا ، إما من المصدر

---

[1] = الديوان – ص235

[2] = انظر : أحمد الحملاوي – شذا العرف في فن الصرف – ط16 – 1965م – مطبعة مصطفى الحلبي – القاهرة – ص80.

[3] = الديوان – ص602

[4] = الديوان – ص173

[5] = الديوان – ص 178

[6] = نور الدين الجامي – شرح كافية ابن الحاجب – مصدر سابق – ج1/ص390.

كاسم الفاعل أو المفعول ، أو من الاسم غير المصدر)[1] . غير أن الحال لا يجوز أن يقع على كل مصدر، إذ يرى سيبويه أن ورود الحال المصدر في مثل قولك : قتلته صبرا ، ولقيته فجاءة ومفاجأة وكفاحا ومكافحة ، ولقيته عيانا ، وكلّمته مشافهة ، وأتيته ركضا وعدوا ومشيا ، وأخذت ذلك عنه سمعا وسماعا . لا يمكن أن يقاس على كل مصدر . إذ يقول : (وليس كل مصدر وإن كان في القياس ... يوضع هذا الموضع ، لأن المصدر ههنا في موضع فاعل إذا كان حالا . ألا ترى أنه لا يحسن : أتانا سرعة ، ولا أتانا رُجلة . كما أنه ليس كل مصدر يستعمل في باب " سقيا ، وحمدا ")[2] ، ويقصد من قوله: (سقيا وحمدا) أن يقول : كما أنه لا يجوز أن يقع كل مصدر نائبا عن فعله ، فإنه لا يقع كل مصدر حالا. ولقد اشترط النحويون في الحال المفردة أن تكون نكرة ؛ (لأنها خبر في المعنى ، ولئلا يتوهم كونها نعتا عند نصب صاحبها ، أو خفاء إعرابها ، هذا مذهب الجمهور)[3] ، وفي شعره شواهد على ذلك، كقوله :

يمشون حولي كما يمشي القطا بددا فإن مضى بَقَطٌ أتى بقطُ [4]

فكل من الأبيات السابقة ورد فيها الحال نكرة ، في قوله في البيت الأول : بددا . وقد جعل الحال مشتقا على صورة المصدر .

ورد في شعر البارودي ذكر لفظة " وحد " مضافة إلى الضمير المتصل ، وهذه اللفظة لا تعرب إلا حالا منصوبة ، وقد اختلف النحويون في عاملها ، فمنهم من لا يجعله حالا إلا من الفاعل ، وبعضهم يجيز أن يكون حالا من المفعول [5] ، ولا تكون إلا بمعنى الحال لدلالتها على هيئة صاحبها . (وإنما صار كذلك لأنه مصروف عن جهته ... ، فلما أسقطت اللام والألف نصبته)[6] ، ويُعرف أيضا بأنه اسم وُضع موضع المصدر [7] ، كقول البارودي :

سرى البرق مصريا فأرّقني وحدي وأذكرني ما لستُ أنساه من عهْدِ [8]

---

[1] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص224.

[2] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج1/ص370، ص371.

[3] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص230

[4] = الديوان – ص310. بدد : التفرق . البقطة : الفرقة ، والقطعة من الشيء .

[5] = انظر : اعتراضات ابن الضائع النحوية في شرح الجمل على ابن عصفور – إعداد جمعان السيالي – رسالة علمية نوقشت عام 1995م – ص257.

[6] = الخليل الفراهيدي – الجمل في النحو – مصدر سابق – ص 114.

[7] = انظر : ابن أبي الربيع – البسيط – مصدر سابق – ج1/ص470

[8] = الديوان – ص134

فالحال في البيت السابق هو قوله : وحدي . منصوب بالفتحة المقدرة لاتصاله بياء المتكلم ، والضمير المتصل في محل جر بالإضافة . ومثل ذلك قوله :

أنا أمة وحدي على سرفٍ   في حبه والناس أشبـــاه [1]

فنصب الحال " وحدي " وإن لم تظهر عليها الحركة الإعرابية ؛ لأنه مضاف إلى ياء المتكلم .

الحال الجملة :

تقع الحال جملة خبرية خالية من دليل استقبال أو تعجب ، فلا تقع جملة طلبيّة ، ولا تعجبية ، ولا ذات السين ، أو " سوف " أو " لن " أو " لا " [2] ، غير أن طبيعة الجملة تحتم أن يكون لها قيود ، وهذا ما يعرف بروابط الجملة ، ويجب (أن تكون الجملة الحالية " خبرية " محتملة للصدق والكذب ، لأن الحال بمنزلة الخبر عن ذي الحال وإجراؤها عليه في قوة الحكم بها عليه ، والجمل الإنشائية لا تصلح أن يحكم بها على شيء)[3] ، فقد تكون فـــي صيغة أسلوب الاستفهام ، والــمدح ، والــذم ، والنهـــي ، والدعاء ، والتعجب ، والتمني ، والرجاء . والجملة الخبرية (إما اسمية أو فعلية ، والفعلية : إما أن يكون فعلها مضارعا مثبتا أو مضارعا منفيا ، أو ماضيا مثبتا ، أو ماضيا منفيا)[4].

وقد وردت الحال الجملة في مواضع متفرقة من شعر البارودي ، فهي مما لا سبيل إلى الاستغناء عنه ، وخاصة عندما تحمل الجملة الحالية معنى يتضمن وقوعها اسمية أو فعلية ، وصورة ورود الحال الجملة أنها تجيء تارة مع الواو وأخرى بغير الواو ، والقول في ذلك أن الجملة إذا كانت من مبتدأ وخبر فالغالب عليها أن تجيء مع الواو ، فإن كان المبتدأ ضمير ذي الحال لم يصلح بغير الواو البتة [5] .

الحال الجملة الاسمية :

تحتاج الجملة الاسمية إلى رابط يربطها ، وهو الواو الحالية والضمير . وخاصة إذا كان في الجملة ضمير يعود على صاحب الحال فلا يجوز حذف الواو مطلقا من الجملة الاسمية . وربما وقعت الجملة الاسمية حالا بالواو وتارة بالضمير ، وإن كان الأكثر الجمع بينهما [6] . ومن أمثلة ذلك :

---

[1] = الديوان – ص 706، ص 707

[2] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص247.

[3] = نور الدين الجامي – شرح كافية ابن الحاجب – مصدر سابق – ج1/ص391 .

[4] = المصدر السابق نفسه – ج1/ص392.

[5] = انظر : عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مصدر سابق – ص156، ص157.

[6] = صلاح الدين العلائي – الفصول المفيدة في الواو المزيدة – تحقيق حسن الشاعر – دار البشير – ط1– 1990م – عمان – ص 166.

خرجتُ أجــرُّ الذيل تِيها وإنما يتيه الفتى إن عفَّ وهو قدير
ولي شيمة تأبى الدنايا وعزمةٌ ترد لُهــامَ الجيشِ وهو يمور [1]

فقوله في عجز البيتين السابقين : (وهو قدير ، وهو يمور) . جملتان اسميتان ابتدأتا بالواو الحالية ، ووقعتا في محل نصب حال ، فرابط الجملة الاسمية هو الواو الحالية والضمير المنفصل " هو " ، ودخول الواو على الجملة الاسمية في مثل هذه الحالات واجب . ولا شك أن صاحب الحال في البيت الأول يعود فيه الضمير على قوله : الفتى . وفي البيت الثاني يعود فيه الضمير المنفصل على قوله : الجيش . والمواضع التي ورد فيها الحال جملة اسمية في عجز البيت كثيرة في شعر البارودي كقوله :

وكيف تُرانــا صانعــين وكلنا بقارورة صمّاءَ والبــاب مُــقــفلُ
فلا تبتئس إن فات حظ فربما أضاءت مصابيح الدجى وهْي أفّلُ [2]

فقد بنى الجملتين الاسميتين " والباب مقفل ، وهي أفّل " بناء متناسقا من حيث التركيب والتكرار ، وإن كانت صورة المبتدأ في الموضع الأول اسما ظاهرا ، وفي الثاني ضميرا منفصلا . ومثل ذلك قوله أيضا في القصيدة نفسها :

أفلّ شَباةَ الليثِ وهو مُنــاجــزٌ وألحظ لحظَ الرِّئم وهو غريرُ [3]

فجاء بقوله : وهو غرير . على النمط السابق نفسه . وعموما فإن هذا التركيب مستعمل بكثرة في الشعر ، ولم يكن تكرار البارودي له عبثا ، بل لعله تعمّد ذكره ليحيل ذهن المتلقي إلى صورة الشعر القديم التي تكون مبنية على التركيب نفسه . ومثل ذلك في قصيدة أخرى :

وأصبحت في أرضٍ يحارُ بها القَطا وتــرهبها الجِنّانُ وهْــي سوارحُ
بعيدة أقطار الديامــيــمِ لــو عــدا سُلَيكٌ بها شأوا قضى وهْو رازحُ [4]

---

[1] = الديوان – ص211
[2] = الديوان – ص483
[3] = الديوان – ص204
[4] = الديوان – ص105

فالغالب في صورة الحال الجملة الاسمية أن يُأتى بعد الواو الحالية بضمير يعود على صاحب الحال ، وكثيرا ما يكون تركيب الجملة الاسمية في عجز البيت على هذا النحو . وكذلك فقد يرد الحال الجملة الاسمية وسط البيت ، كقوله :

صحّ النسيمُ بها وهْو العليل وقــدْ   مالت بخمرِ الندى أغصانُها وصحَتْ

ثم قال مكملا القصيدة :

طارتْ بألبابنا سكرا ولا عجبٌ   وهْي الكُمَيتُ إذا في حلبة جمحتْ [1]

فقد ورد الحال جملة اسمية وسط الشطر الأول من البيت الأول في قوله : وهو العليل ، وصدر الشطر الثاني من البيت الثاني في قوله : وهي الكميت . فالجملتان الاسميتان من مبتدأ وخبر في محل نصب حال.

الحال الجملة الفعلية :

يكون الحال جملة فعلية أو اسمية إذا وقعت بعد معرفة ، لأن الجمل بعد النكرات صفات ، وبعد المعارف أحوالا . وترتبط الواو الحالية الجملة الفعلية بشروط منها : أن يكون الفعل الماضي – سواء أكان منفيا أم مثبتا – غير مشتمل على ضمير يعود على صاحب الحال ، لأن الفعل الماضي (لا يجوز أن يقع حالا ، وذلك لوجهين : أحدهما : أن الفعل الماضي لا يدل على الحال ؛ فينبغي أن لا يقوم مقامه . والوجه الثاني : أنه إنما يصح أن يوضع موضع الحال ما يصلح أن يقال فيه " الآن " أو " الساعة " ... وهذا لا يصلح في الماضي فينبغي أن لا يكون حالا ... ولا يلزم كلامنا إذا كان مع الماضي " قد " حيث يجوز أن يكون حالا ... ، وذلك لأن " قد " تقرّب الماضي من الحال ، فجاز أن يقع معها حالا)[2] ، من ذلك قول البارودي :

ومرتبعٍ لذنا به غِبَّ سُــحْــرة   وللصبح أنفاس تزيد وتنــقــص [3]

وقد مال للغرب الهلالُ كأنّه   بمنقــاره عن حَبّة النجم يفحص [4]

فقد جاء بالبيت الأول ليمهد بوقوع الحال الجملة الفعلية في البيت الثاني في قوله : وقد مال للغرب الهلال. فلو لم يذكر حرف التحقيق " قد " لما جاز له أن يجعل الجملة الفعلية واقعة في محل نصب حال للفعل الماضي (لذنا) . وكقوله أيضا في موضع آخر :

---

[1] = الديوان – ص110، ص111

[2] = أبو البركات الأنباري – الإنصاف – مصدر سابق – ص 235

[3] = المرتبع المكان الذي يقام فيه زمن الربيع .

[4] = الديوان – ص294

فكيف تلوميني على ما أصابني   من الحب يا ليلى وأنتِ غريمُ
وقد عِشت دهرا لا أدين لظالم   ولم يحتكم يوما علـــيّ زعيمُ [1]

ففي البيتين السابقين جملتان حاليتان ، الأولى اسمية في قوله : (وأنت غريم) . والثانية في قوله : (وقد عشت دهرا لا أدين لظالم) . وهي جملة فعلية ابتدأت بالواو الحالية تلاها " قد " لتدل على أن الجملة الفعلية في محل نصب حال للفعل : تلوميني . فتكون الجملة على نحو : (كيف تلومينني وقد عشت دهرا لا أدين لظالم ...) . ومثله أيضا قوله :

فعدتُ وقد ذَوَى من بعد لِين   أداري صبوتي وأُسِرّ يأسي [2]

فالجملة الفعلية الحالية هي : (وقد ذوى من بعد لين) . والفاعل الضمير المستتر يعود إلى الشيب . وربما وقعت الجملة الفعلية من الفعل المضارع ، دون أن تحتاج إلى رابط يربطها ، من ذلك قول البارودي :

أتقرّى الشيء أبغيهِ فــلا   أجدُ الشيءَ ولا نفسي تــقَــرْ [3]

فالحال الجملة الفعلية هو قوله : أبغيه . لأن معنى قوله : " أتقرى الشيء " أي أتتبعه . فقد جعل الحال فعلا مضارعا ، وفاعله ضميرا مستترا يعود على الضمير " أنا " والضمير المتصل في محل نصب مفعول به . والجملة الفعلية من فعل وفاعل ومفعول به في محل نصب حال . ومثله قوله :

فلما رآنا صاحبُ الدارِ أشرقتْ   أساريرُهُ زهوا وجاء يرحِّبُ [4]

فقوله : يرحب . جملة فعلية مكونة من الفعل المضارع والفاعل الضمير المستتر في محل نصب حال للفعل " جاء " .

<u>الحال شبه الجملة :</u>

إن هذا النوع من الحال متوافر في شعر البارودي في المواضع التي لا يمكن أن يفِي فيها الحال المفرد أو الجملة بالغرض ؛ وذلك لأن في حروف الجر والظروف معانيَ لا تتوافر في الأسماء أو الأفعال ، من ذلك قوله :

[1] = الديوان – ص594
[2] = الديوان – ص289
[3] = الديوان – ص253
[4] = الديوان – ص59

في شِعارٍ من الضَّنى نسجتْهُ بخيــوطِ الدمــوعِ أيــدي الغــرامِ [1]

فشبه الجملة الجار والمجرور " بخيوط الدموع " في محل نصب حال . لأنها جاءت بيانا لصورة النسيج ، والدليل على ذلك السؤال عنها بقولك : كيف نسجته أيدي الغرام ؟ . فتقول : نسجتها بخيوط الدموع . ومثله قوله :

تأملْ إلى الدنيا بعيــنٍ بصيرةٍ لعلك ترضى بالقليل من القَسْمِ [2]

ففي قوله : بعين بصيرة . حال شبه جملة جار ومجرور ، لأنها دلت على كيفية التأمل إلى الدنيا . ومن المواضع التي تتكرر فيها صورة الحال في شعر البارودي أن يجعل البيت الواحد يضم حالين مختلفين ، كقوله :

وقدّر الشمس تجري في منازلها والنجم والقمرَ الساري بحسبانِ [3]

فقد ضمّ البيت السابق صورتين من صور الحال ، فالحال الأولى جملة فعلية في قوله : تجري . والثانية شبه جملة من الجار والمجرور في قوله : بحسبان . وكذلك قوله :

يصلح للصفع لكيلا يُرى في عدد الناس بلا فائدهْ [4]

فتركيب الجملة الفعلية (يرى بلا فائدة) ، دلّ وقوع الجار والجرور فيها على كيفية الرؤية . وقد يجمع الشاعر بين أكثر من صورة للحال في موضع واحد ، كقوله في الوصف :

بكرَ الندى وترفّــعَ السَّــدَفُ وأتت وفود اللهو تختلــفُ
ودعتْ إلى شرب الصبوح وقد رقّ الظــلام حمائــمٌ هتفُ
فانهضْ على قدَم الربيع فمــا في نيل أيام الصبا سَرَفُ [5]

فقد وردت صورة الحال في كل بيت مرة ، ففي البيت الأول الحال جملة فعلية من الفعل المضارع في قوله : (تختلف) . وفي البيت الثاني ظهرت الحال جملة فعلية لكنها مسبوقة بالواو الحالية و" قد " في

---

[1] = الديوان – ص547
[2] = الديوان – ص571
[3] = الديوان – ص692
[4] = الديوان – ص188
[5] = الديوان – ص350، ص351.

قوله : (وقد رقّ الظلام) . أما البيت الثالث فالحال فيه شبه جملة من الجار والمجرور في قوله : (على قدم الربيع) .

يحتمل الحال أن يأتي على صورة اسم الاستفهام " كيف " ؛ لأنها سؤال عن الكيفية ، ولا بد أن تدخل " كيف " على الجملة الفعلية حتى تعربَ حالا . وفي شعر البارودي نماذج كثيرة عنها ، كقوله :

وكيف يعيش المرء في الدهر آمنا وللموت فينا وَثبة الليث والنمرِ [1]

ويقول أيضا :

وكيف أسومُ القلبَ صبرا على الهوى ولم يبقَ لي في الحب قلب ولا صبرُ [2]

فقد دخل اسم الاستفهام في تركيب البيتين المتشابهين ، في كل من قوله : (كيف يعيش المرء ؟) ، وقوله: (كيف أسوم القلب ؟) ، فـــ " كيف " في كحل نصب حال ، لدخولها على الجملة الفعلية ودلالتها بالسؤال عن الحال .

المبحث الثالث : التمييز :

التمييز هو اسم نكرة فضلة يرفع إبهام اسم أو إجمال نسبة [3]. أو كما عرّفه صاحب كتاب "التعريفات " بإيجاز : (التمييز ما يرفع الإبهام المستقرّ عن ذات مذكورة نحو : مَنَوان سمنا ، أو مقدرة نحو : لله درّه فارسا)[4] ، ويقال له التبيين والتفسير ، وهو رفع الإبهام في جملة أو مفرد بالنص على أحد محتملاته [5] ، ويجوز أن يسبق التمييز في المعنى حرفُ الجر " مِن " ، ولا يكون جملة ولا ظرفا . وقد ذكر سيبويه أن التمييز قد يكون (من المقادير ، وذلك قولك : ما في السماء موضع كفّ سحابا ، ولي مثله عبدا ... فحذف ذلك تحقيقا كما حذفه من " عشرين " حين قال : عشرون درهما . وصارت الأسماء المضاف إليها المجرورة بمنزلة التنوين ، ولم يكن ما بعدها من صفتها ولا محمولا على ما حُملت عليه)[6]. ويعمل في التمييز (الفعل وما يشبهه في تقديره ، ومعناه في الانتصاب واحد ، وإن اختلفت عوامله)[7]. ومن أمثلة التمييز في شعر البارودي :

---

[1] = الديوان – ص262

[2] = الديوان – ص273

[3] = ابن هشام الأنصاري – شذور الذهب – مصدر سابق – ص 275

[4] = علي الجرجاني – التعريفات – مصدر سابق – ص66.

[5] = انظر : الزمخشري – المفصل – مصدر سابق – ص80 .

[6] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص172.

[7] = انظر : المبرد – المقتضب – مصدر سابق – ج3/ص32.

إن الغناء سريرةٌ في النفس قدْ ضاقت بها فتفجّرتْ ألحانا [1]

فقد وقع التمييز في قوله : ألحانا . لأنها بيّنت نوع التفجر وماهيته ، وهذا التمييز هو في الأصل محوّل عن الفاعل ؛ لأن الأصل فيه أن يقال : تفجّرت الألحانُ . ومثل ذلك قوله في موضع آخر :

إذا تبسّم فاضت راحتاه لنا جودا وما كل برق خلفَه مطرُ [2]

والشاهد في البيت هو قوله : جودا . لأن المصدر يبيّن نوع الفيض الذي جادت به راحتاه . ومثل ذلك قوله :

ينهلّ صارمُه حتفا ومنطقهُ سِحرا حلالا إذا ما صال أو خطبا [3]

فالتمييز في البيت السابق يظهر في قوله : (حتفا ، وسحرا) ، فقد فسّر الشاعر بهما انهلال السيف والمنطق ، وقوله : (حلالا) نعت للتمييز النكرة (سحرا) . وقد يقع التمييز كثيرا في شعر البارودي بعد اسم التفضيل " أفعل " ، كقوله :

هو أبهى وجها وأقتلُ ألحا ظا وأندى خدا وألينُ قــدّا [4]

فقد كرّر الشاعر التمييز في البيت السابق أربع مرات ، في قوله : (وجها ، ألحاظا ، خدّا ، قدّا) . وقد جاء التمييز بعد اسم التفضيل " أفعل " ، لتدل بذلك على التحول من المضاف إلى التمييز ، لأن الأصل فيها أن يقال : وجهه أبهى وجهٍ ، ولحظه أقتل لحظٍ ، وخده أندى خدٍّ ، وقده ألين قدٍّ . ومثله كذلك في مطلع قصيدة :

أرى نفحة دلّت على كبدي الوجدا فما كان بالمقياس أقربَــكـــمْ عهْدا [5]

فقوله : عهدا . تمييز منصوب . لأن الاسم وقع منصوبا بعد اسم التفضيل ، ودلّ التمييز على تفسير قوله: (أقربكم) .يرد التمييز عند البارودي ذا طابع مميز في الهجاء ، فهو أشد إيلاما ، وأكثر إيجازا في بنائه للجملة ، كقوله :

أشدُّ خلق الله كبرا فإنْ فاجأته كرٌّ على عَقْبِهِ [6]

---

[1] = الديوان – ص682

[2] = الديوان – ص220

[3] = الديوان – ص76.

[4] = الديوان – ص180

[5] = الديوان – ص171

[6] = الديوان – ص85

فقد جعل مهجوّه أشنعَ الناس وأبغضَهم ؛ لأنه جعل كبره أشد أنواع الكبر . وكقوله في الهجاء أيضا :

لك عِرضٌ أرقّ نسْجا من الريـــ ـــح وأوهى من طيْلسانِ ابنِ حرْبِ [1]

فهذا البيت من مقطوعة صغيرة من بيتين ، وقد بنى فيها البيت السابق على صيغة اسم التفضيل ، وجعل للأول تمييزا ، وهو قوله : " نسجا " ، كأنه أراد أن يقول : نسج عرضك أرقّ نسجٍ من الريح . ثم تحول عنه من المضاف إلى التمييز حملا على معنى التبيين وزيادة في القذع وإمعانا في الهجاء . ومثل ذلك قوله في العتاب :

فمن العار غضٌّ طرْفك عني إن خيرالصحاب أنفعُ ودّا [2]

فقوله : أنفع ودا . نصب كلمة " ودا " على التمييز ، لأنها محولة في الأصل من المبتدأ المضاف . في قولك : ودّ الأصحاب أنفع ودٍّ. ويرى المبرد أن ما ينصب التمييز الواقع بعد اسم التفضيل هو (أنك كنت تقول في المصادر : أعجبني ضربُ زيد عمرا . فتضيف إلى " زيد " المصدر ؛ لأنه فعله ، فتشغل الإضافة بالفعل ، فتنصب " عمرا " ؛ لأنه مفعول . ولولا أنك أضفت إلى زيد لكان " عمرو " مخفوضا بوقوع المضاف عليه ، كما أنك لو لم تنوّن في قولك : ضاربون زيدا ، لحلّ " زيد " محل التنوين ، وانخفض بالإضافة)[3] .

يرتبط التمييز في شعر البارودي بأسلوب النداء ، وذلك بأن يجعله من باب الاستغاثة ، وهو أنه (إذا استغيث المنادى ، أو تعجب منه ، جُرّ باللام مفتوحة نحو : يا لَله ، يا لَلماء ، يا للعجب ، وما كان منادى صحّ أن يكون مستغاثا ، ومتعجبا منه ، وما لا فلا ، إلى المعرف بـــ أل)[4] ، كقوله :

فيا لها ليلةً ما كان أحسنَها لو أنها لبِثتْ حولا وما برِحتْ [5]

---

[1] = الديوان – ص86
[2] = الديوان – ص179
[3] = المبرد – المقتضب – ج3/ص33
[4] = السيوطي – همع الهوامع – مصدر سابق – ج2/ص53.
[5] = الديوان – ص111

فقد جاء بالتمييز في البيت السابق بعد أسلوب النداء الذي يقصد منه الاستغاثة . وقد جعل الاسم المنصوب " ليلة " تمييزا ، لأنه جاء في معرض حديثه متعجبا ، فيكون كقولهم : لله دره فارسا ، أو يا له رجلا . ومثل ذلك قوله :

حلَفتُ بما استولى عليه نِقابُها   ويا لك حلفا ما أرقَّ وما أندى [1]

فقوله : يا لك حلفا . فتركيب الجملة هو : (حرف النداء " يا " + حرف الجر اللام المفتوحة + اسم مجرور + تمييز منصوب) . والغالب في التمييز في هذا الموضع من التركيب أن يسبقه حرف الجر "من" الزائدة ، لأنه قصد من قوله : حلفا أن يكون بمعنى التمييز والتوضيح والتفسير . ومثله في التركيب نفسه قول البارودي :

فيا لها ضِلّةً ما إنْ أبهتُ لها   حتى تردّتْ بها للشرّ أقدامُ [2]

فقد كرّر التركيب نفسه في البيت السابق بقوله : يا لها ضلة ، والتمييز هو الاسم المنصوب في قوله : ضلة . ومن المواضع الي يتكرر فيها تركيب التمييز بعد قوله : (ويلُمّ) . وذلك في قوله :

ويلمِّه سكنا لولا الدفين به   من المآثر ما كنا نجاورهُ [3]

وفي ذلك يقول أيضا :

ويلمِّها خِزية طارت بشُنعتها   صحائفٌ وجرتْ بالذمّ أقلامُ [4]

فتركيب البيتين السابقين وقع التمييز (سكنا ، وخزية) فيهما بعد قوله : (ويلمه ، ويلمها) . وقد تأثر البارودي في ذلك بالمتنبي ؛ لأن هذا الاستعمال نادر حتى في شعر الأقدمين ، بدليل قول المتنبي في قصيدته الدالية المشهورة :

ويلمّها خطة ويلمّ قابلها   لمثلها خُلِق المَهْرِية القُوْدُ [5]

---

[1] = الديوان – ص173

[2] = الديوان – ص579

[3] = الديوان – ص270

[4] = الديوان – ص579

[5] = العكبري – شرح ديوان المتنبي – مصدر سابق – ج2/ص45.

وقد شرح العكبري قول المتني : ويلمه . فقال : يريد : ويلٌ لأمها ، فحُذف لكثرته في الكلام ، ويقال عند التعجب من الشيء [1]. ومن صور التمييز المتكرر في شعر البارودي أن يأتي في الجملة الفعلية للفعل الماضي (كفى) ، ومن الأمثلة في شعر البارودي قوله :

وكفى بسبطَيْهِ إماما رحمة نالا من الرضوان ما قصداهُ [2]

فقد أتى الشاعر في البيت السابق باسمين منصوبين : الأول : إماما . وهو تمييز ، والثاني : رحمة . وهو مفعول لأجله . ومثل ذلك قوله :

وكفاك بي رجلا إذا اعتُقل النُّهى بالصمت أو رعف السِّنان بعَندَم [3]

ولعله تأثر في البيت السابق بقول المتنبي :

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني [4]

ويرى العكبري أن قوله : نحولا ، نصب على التفسير لانتفاء الرؤية ، والإفادة في الكلام لا تتحصل إلا به، كقوله تعالى : { كفى بالله وكيلا }[5] ، وفاعل " كفى " هو " أنّ " وما بعدها [6] ، والفرق في بناء الجملتين أن البارودي جعل الضمير المتصل في الفعل في محل نصب مفعول به في قوله : كفاك . ومن معاني الفعل " كفى " أن يرد الاسم " حسب " على نحو التركيب نفسه ، كقوله :

وحسبي عذرا أنك الشمس رفعة وكيف ينال الكوكبَ المتناولُ [7]

فقد قد ربط الشاعر بين شقّي الجملة بالتمييز في قوله : (عذرا ، رفعة) .

---

[1] = انظر : المصدر السابق .

[2] = الديوان – ص704

[3] = الديوان – ص584

[4] = العكبري – شرح ديوان المتنبي – مصدر سابق – ج4/ص186

[5] = سورة الأحزاب – 3

[6] = انظر : العكبري – شرح ديوان المتنبي – مصدر سابق – ج4/ص187.

[7] = الديوان – ص462

المبحث الرابع : المنادى :

وهو كل اسم جاء بعد حرف من حروف النداء ، وحروف النداء هي : " يا ، وأيا ، وهيَا ، وأيْ، والهمزة ، ووا " . (وهذه الحروف سوى الألف تكون لمدّ الصوت . وتقع " وا " في الندبة ، وفيما مددت به صوتك ، كما تمده بالندبة ، وإنما أصلها للندبة . وقد تبتدئ الاسم منادى بغير حرف من هذه الحروف)[1] ، والحروف الثلاثة الأولى (لنداء البعيد ، أو من هو بمنزلته من نائم أو ساه ، وإذا نودي من عداهم فلحرص المنادي على إقبال المدعوّ عليه ، ومفاطنته لما يدعوه له . و" أي والهمزة " للقريب ، و "وا " للندبة خاصة)[2] ، ولا شك أن لكل حرف من حروف النداء دلالته النفسية والمكانية . وأشهر هذه الأدوات وأكثرها استعمالا هو " يا " لكونها تستعمل للقريب والبعيد ، (وقد تنادي العرب بغير حرف النداء)[3]. ويرى النحويون أن أصل المنادى هو المفعول به لأنه دلّ على وقوع معنى الفعل (أنادي) عليه ، وقد جعله الزمخشري في فصل المفعول به المنصوب باللازم إضماره ، فقال فيه : (ومنه المنادى لأنك إذا قلت : أيا عبد الله . فكأنك قلت : يا أريد ، أو أعني عبد الله ، ولكنه حُذف لكثرة الاستعمال ، وصار " يا " بدلا منه ، ولا يخلو من أن ينتصب لفظا أو محلا ...)[4] . وقال سيبويه : (اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره . والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب)[5].

إن للمنادى صورا مختلفة في شعر البارودي ، إذ يمكن أن ينادى كل اسم ، والأصل في حركة المنادى الإعرابية أن يكون منصوبا ، لحمله على تقدير قولك : أنادي . لذا فقد يكون المنادى مختلفا في درجات التعريف والتنكير على النحو الآتي :

المنادى العلم : يقع المنادى العلم بعد أداة النداء ، ويكون مبنيا على الضم في محل نصب . ومن أمثلة المنادى العلم في شعر البارودي قوله :

أليلى ما لقلبك ليس يَرثي لما ألقاهُ من ألَــمِ الفِراقِ [6]

فقد جاء بالعلم وهو " ليلى " بعد الهمزة وذلك لنداء القريب ، ليدل على قربها من قلبه ووجدانه ، وحركته الإعرابية الضمة المقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر . ومن صور العلم قوله في رثاء حاضنته :

---

[1] = انظر : المبرد – المقتضب – مصدر سابق – ج4/ص233.

[2] = علم الدين السخاوي – المفضل في شرح المفصل – تحقيق يوسف الحشكي – ط2 – 2002م – وزارة الثقافة – ص 257.

[3] = الخليل الفراهيدي – الجمل في النحو – مصدر سابق – ص 77 .

[4] = الزمخشري – المفصل – مصدر سابق – ص 46 .

[5] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج182/2.

[6] = الديوان – ص368

أمريمُ لا والله أنساك بعدما صحبتكِ في خفضٍ من العيش أنضرِ [1]

و" مريم " المذكورة في البيت السابق هي حاضنة البارودي ، وقد استعمل في ندائها الهمزة ليدل على قربها المعنوي من نفسه وتأثره بوفاتها . وقد فصل بين " لا " النافية والفعل المضارع " أنساك " بقوله : "والله " . ويقول في موضع آخر :

فيا مصرُ مدّ اللهُ ظلَّك وارتوى ثراك بسَــلْســالٍ من النيل دافق [2]

فالعلم المبني على الضم في البيت السابق هو قوله : مصر . وهو مبني على الضمة الظاهرة غير أنه في محل نصب منادى . ومثله أيضا قوله :

فصبرا جميلا يـــا سليمُ فإنما يُسيغُ الفتى بالصبر ما يتجرَّعُ [3]

فقوله : يا سليم . المنادى مبني على الضم في محل نصب ، وهو سليم بن أحمد فارس الشهير بالشدياق . ومثل ذلك قوله :

فاسلم " شكيب " ولا برِحتَ بنعمة تحنو عليك بأيكها المتفرّعِ [4]

فالمنادى في قوله : شكيب . وقد حذف أداة النداء في البيت السابق ، ولا تحذف حروف النداء إلا مع المعرفة [5]. ونوعه من المنادى المنادى العلم ؛ لأن " شكيب " المذكور في البيت السابق هو الأمير شكيب أرسلان . وكقوله يمدح الخديوي عباس حلمي باشا الثاني :

عباسُ يا خير الملوك عدالة وأجلّ من نطقَ امرؤ بثنائهِ [6]

فقد جعل المنادى العلم " عباس " في صدر البيت مضموما ؛ وذلك لأنه مبني في محل نصب .

---

[1] = الديوان – ص248

[2] = الديوان – ص389

[3] = الديوان – ص 330.

[4] = الديوان – ص335

[5] = انظر : ابن الدهان – الفصول في النحو – مصدر سابق – ص44

[6] = الديوان – ص41

المنادى المعرف بـــ " أل " : ويكون المنادى في هذا النوع مبنيا على الضم في محل نصب ، ولا ينادى المعرف بـــ أل التعريف دون أن يُفصل بينه وبين حرف النداء بـــ" أيها " للمذكر ، و" أيتها " للمؤنث ، أو اسم الإشارة ، أو " أيهذا " ؛ لأنك إذا ناديته فقد صار معرفة بالإشارة بمنزلة " هذا وذاك " ، ولا يدخل تعريف على تعريف [1]. كقول البارودي :

فيا أيها النُّــوام والشوقُ عازِرٌ ألا أحدٌ يشـــري بغفوتـــه السُّـــهْـدا [2]

فقد عرف المنادى " النُّوام " بأل التعريف ، وسبقه بقوله : أيها . ولفظة " أي " منادى مبني على الضم في محل نصب . و" ها " حرف لإفادة معنى التنبيه بمنزلة " يا " [3] ، (لأن الأسماء التي فيها الألف واللام صفات للمبهمة ، مبينة عنها ... ، فإذا قلت : يا أيها الرجل . لم يصلح في الرجل إلا الرفع ؛ لأنه المنادى في الحقيقة ، و" أيّ " مبهم متوصل إليه)[4] . وكقوله :

فاعتبر أيها المجاهر بالقو ل ولا تبعثنَ عليكَ نُـــواحا [5]

فقوله : أيها المجاهر . منادى مبهم ، و" أيّ " حرف مبني على الضم في محل نصب منادى ، و" ها " حرف تنبيه ، والاسم الظاهر " المجاهر " بدلٌ من " أي " مرفوع بالضمة . (لأن المنادى المبهم شيئان : أي ، واسم الإشارة . فـــ " أي " يوصف بشيئين بما فيه الألف واللام مقحمة بينهما كلمة التنبيه ، وباسم الإشارة كقولك : أيا أيها الرجل . ويا أيهذا)[6]. ومثل ذلك قوله أيضا :

يا أيها السادر المُزوَرّ من صلفٍ مهلا فإنك بالأيام مُنخدعُ [7]

ويقول أيضا :

أيها الساهرون حولَ وسادي لست منكم أو تذكروا لي نجدا [8]

---

[1] = المبرد – المقتضب – مصدر سابق – ج4/ص239

[2] = الديوان – ص174

[3] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص212

[4] = المبرد – المقتضب – مصدر سابق – ج4/ص216

[5] = الديوان – 116.

[6] = الزمخشري – المفصل في صنعة االإعراب – مصدر سابق – ص 49.

[7] = الديوان – ص 338.

[8] = الديوان – ص178

فقد استعمل الشاعر المنادى في قوله : (السادر ، الساهرون) ، في غرضين مختلفين ، وهما الحكمة والغزل ؛ لأنه أراد أن يوسّع من استعماله النداء ، ويفيد منه في أغراض مختلفة .

المنادى المضاف : وهو كل اسم أضيف إلى معرفة أو نكرة . وقد توسع المبرد في باب النداء فجعل المنادى المضاف دليلا على كون المنادى منصوبا ، فقال : (اعلم أنك إذا دعوت مضافا نصبته ، وانتصابه على الفعل المتروك إظهاره ، وذلك قولك : يا عبد الله ؛ لأن " يا " بدل من قولك : أدعو عبدالله، وأريد ، لا أنك تخبر أنك تفعل ، ولكن بها وقع أنك قد أوقعت فعلا . فإذا قلت : يا عبد الله ، فقد وقع دعاؤك بـــ " عبد الله " فانتصب على أنه مفعول تعدى إليه فعلك)[1]. والمنادى في مثل هذا النوع كقوله في قصيدة واحدة :

فيا نسماتِ الفجر ما لـــكِ كلّـــمـــا   تنسّمتِ أضرمتِ الهوى في فؤاديا

ويا سجعاتِ الأيك رِفْقا بمهجةٍ   .... [2]

ويا لمحاتِ البرق بالله خبِّري   أخِلّايَ بالمــقياس عني سلاميا

ويا عَذباتِ البان إن كنت إنما   تميل معي شوقا فلقّيـــتَ داويـــا

إلى أن قال :

فيا روضة المقياسِ جادَكِ سلسلٌ   من النيلِ يدعو للحنينِ السواقيا [3]

ففي الأبيات السابقة كلها يظهر تعمد الشاعر في استعمال أسلوب النداء ، وأراد من ذلك أن يبني الأبيات السابقة على التركيب نفسه من المنادى المضاف إلى الاسم المعرف بـــ " أل " ، وخاصة في قوله : (يا نسمات الفجر ، يا سجعات الأيك ، يا لمحات البرق ، يا عذبات البان) . لأن المنادى في تلك الأسماء جاء على صيغة جمع المؤنث السالم ، الذي ينصب بالكسرة عوضا عن الفتحة . ولو نظرنا إلى الغرض الذي قيلت فيه القصيدة لوجدناه الشوق والحنين إلى الديار ، وأسلوب النداء يخدم هذا الغرض لأن في تكراره نوعا من زيادة معنى الشوق والحنين . وقد يستعمل حرف النداء الهمزة في هذا النوع ، كقوله :

أيدَ المنونِ قدحتِ أيَّ زنادِ   وأطرْتِ أيَّة شعلةٍ بفؤادي [4]

فالهمزة تستعمل لنداء القريب من حيث القرب المكاني أو النفسي ، وفي هذا الموضع دلت على القرب النفسي ، لأن الموت قريب من الإنسان ، وقد ظهر المنادى (يد المنون) منصوبا بالفتحة الظاهرة على آخره .

---

[1] = المبرد – المقتضب – مصدر سابق – ج4/ص202

[2] = هذا الشطر غير موجود في الأصل .

[3] = الديوان – ص726، ص727

[4] = الديوان – ص153

إن بناء البارودي لأسلوب النداء عادة ما يكون في شعره متكررا ومتشابها إلى حد كبير ، من حيث تجده يكرر أسلوب النداء نفسه أكثر من مرة ، فيجعل أداة النداء ونوع المنادى نفسه متكررا في القصيدة ، كقوله :

فيا دموعَ القطرِ سيلــي دمـــا　　ويـــا بناتِ الأيك نوحي معـــي
وأنـــت يا نسمةَ وادي الغضى　　مرّي بريـــاكِ علـــى مـــدمعي
وأنـــت يا عصفورةَ المُنحنـــى　　بالله غنّي طـــربا واســـجـــعي [1]

فقد جعل أسلوب النداء يتكرر في المواضع السابقة كلها من حيث أداة النداء " يا " والمنادى المنصوب المضاف إلى معرفة في قوله : (يا دموع القطر ، يا نسمة وادي الغضى ، يا عصفورة المنحنى) .

ويكثر في الكلام شعرا ونثرا أن يضاف المنادى إلى ياء المتكلم ، وفيها لغتان : الأولى : أنها لا تثبت مع النداء كما لم يثبت التنوين في المفرد لأن ياء الإضافة في الاسم بمنزلة التنوين ، لأنها بدل من التنوين ، ولأنه لا يكون كلاما حتى يكون في الاسم ، كما أن التنوين إذا لم يكن فيه لا يكون كلاما ، فحُذف وتُرك آخر الاسم جرا ليُفصل بين الإضافة وغيرها ، وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم ، حيث استغنوا بالكسرة عن الياء ، واللغة الثانية هي إثبات في النداء في الوقف والوصل [2]. والبارودي يثبت الياء في المنادى كقوله :

يا هاجري من غير ذنب في الهوى　　مهـــلا فهجـــرُك والمنـــونُ سواءُ [3]

فالمنادى : هاجري . منصوب ، وهو مضاف إلى ياء المتكلم الضمير المتصل ، ولم يحذفها البارودي في البيت السابق ؛ لأن حذفها يخل بالوزن الذي عليه القصيدة . كقوله أيضا :

ياصاحبي إن جئت ذيّاك الحِمى　　فاحذر عيون العِين من آرامهِ [4]

فقد أضاف المنادى " صاحب " إلى ضمير المتكلم ، ولا سبيل إلى حذف الياء ما دام الوزن متفقا والمعنى. ومن صور إضافة المنادى المثنى قول البارودي :

يا ساقييَّ اعْتورِا كأسَها　　فلي بها عن غيرها عاذر [5]

---

[1] = الديوان – ص322

[2] = بتصرف : سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج209/2.

[3] = الديوان – ص38

[4] = الديوان – ص614

[5] = الديوان – ص263

فقد أضاف المنادى المثنى (ساقييْ) إلى ضمير المتكلم ، ومثل هذا التركيب قد يأتي على صورة الاسم المضاف (خليليّ) ، كقوله :

خليليّ هل بعد الصبابة سلوة وهل لشباب فات بالأمس مرجعُ [1]

واستعمال كلمة " خليليّ " للمنادى له وقعه على أذن المتلقي ؛ لأنها تحيله إلى النموذج الشعريّ القديم . فقد ورد استعمالها كثيرا في الشعر القديم ، كقول امرئ القيس :

خليليّ مرّا بي على أمّ جندبِ نُقضِّ لُباناتِ الفؤاد المعذّبِ [2]

وقد يحذف حرف النداء في المنادى المضاف إلى المعرفة ، كقوله :

إليك ابنَ بطحاءِ الكلام تشذّرتْ بركب المعاني لا يُكفكِفها الزجرُ
قلائصُ لا يرعين عازبة الكلا ولا يستبقن الماء إن فاتها العِشرُ [3]

فقوله : ابن بطحاء الكلام ، المنادى المنصوب " ابن " مضاف إلى الاسم المضاف " بطحاء الكلام " ، وقد ظهر أنه منادى بدليل قوله : (إليك) فقد أعاد الضمير المتصل إلى المنادى . ومثل ذلك قوله في المنادى المضاف إلى المعرف بـــ " أل " التعريف :

مهلا أخا الجهل لا يغويك ما نظرتْ عيناكَ في هذه الدنيا من الفتنِ [4]

فقوله : (أخا الجهل) منادى منصوب وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الخمسة ، وهو مضاق و"الكاف " ضمير متصل في محل جر بالإضافة .

المنادى الشبيه بالمضاف : إن استعمال هذا النوع في شعر البارودي غير موجود ، لعدم حاجة الشاعر إلى مثل هذا التركيب ، إذ لم أعثر في شعره على منادى شبيهٍ بالمضاف .

المنادى النكرة المقصودة : وهي كل اسم نكرة اكتسب التعريف من تعلقه بأداة النداء ، فلا يمكن أن ينادى على النكرة المقصودة دون أن يسبقها أداة النداء ، (لأن الحرف الذي ينبّه به لزم المبهم كأنه صار بدلا من " أي " حين حذفته)[5] . وهو كثير في شعر البارودي كقوله :

---

[1] = الديوان – ص323

[2] = ديوان امرئ القيس – مصدر سابق – ص41.

[3] = الديوان – ص229

[4] = الديوان – ص658

[5] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص230

يا نفسُ لا تجزعي فالخيرُ منتظَــرٌ   وصاحبُ الصبرِ لا تَبلى مرائرُهُ [1]

فقد اكتسب المنادى في قوله " نفس " شيئا من التعريف لتعلقه بحرف النداء " يا " ، بالإضافة إلى دلالة القصد عليه وهي الضمة ، فقوله " يا نفس " المنادى مبني على الضم في محل نصب ، فلو قال : يا نفسا. لم يقصد بها مخاطبة نفسه ولدلّ على عموم النداء . ومثله أيضا قوله :

فيا برقُ حــدّثني وأنــت مُصدّقٌ   عن الآلِ والأصحابِ ما فعلــوا بعدي[2]

فقوله : " يا برق " المنادى فيه اسم نكرة مبني على الضم ، لذلك كان على صورة النكرة المقصودة ، لأنه قصد أن يخاطب البرق نفسه . ومثله أيضا :

فتلك حالي لا رمتكَ النَّوى   فكيفَ أنتمْ بعدنا يا هُــمــامْ [3]

فقد جعل المنادى " همام " مبنيا على الضم لعلة كونه نكرة مقصودة إذ ليس اسم المخاطب في البيت السابق " همام " ، بل هو الشيخ حسين المرصفي ، وإنما أراد أن يشبهه بالهمام . ومثل ذلك أيضا قوله :

يا قلبُ صبرا جميلا إنه قدَرٌ   يجري على المرء من أسْرٍ وإطلاقِ [4]

<u>المنادى النكرة غير المقصودة :</u> وهو المنادى النكرة الذي يقصد به الدلالة على العموم ، ومن حيث اللفظ يكون منصوبا بتنوين الفتح . كقوله :

فيا ضاربا في الأرض يرتادُ غايةً   رويــدَكَ إنّ الــفــوزَ مــنكَ بــعيــدُ [5]

فالمنادى النكرة في البيت السابق هو " ضاربا " ، نكرة منصوبة بتنوين الفتح غير مقصودة ؛ لأنها أطلقت لتدل على عموم النداء على كل مسافر ومترحل . وكقوله :

يا غاضبينَ علــيْــنا هــلْ إلى عدةٍ   بالوصلِ يومَ أُناغي فيهِ إقبالي [6]

---

[1] = الديوان – ص270

[2] = الديوان – ص134

[3] = الديوان – ص546

[4] = الديوان – ص 373

[5] = الديوان – ص192

[6] = الديوان – ص446

فالاسم المجموع جمعا مذكرا سالما هو المنادى في قوله : (غاضبين) ، وقد جاء منصوبا بالياء لأنها علامة نصب جمع المذكر السالم ؛ لأنه نكرة غير مقصودة لم يخصص بها الشاعر أحدا . وقد يجعل المنادى النكرة منصوبا بتنوين الفتح اضطرارا للوزن لتتفق وسهولة المخرج ، وهذه عادة متبعة عند الشعراء كقوله :

وأنتَ يا طائرا يبكي على فَـنَــنٍ نفسي فداؤك من ساقٍ على ساق [1]

إذ إن الأصل أن يبني المنادى " طائرا " على الضم لأنه نكرة مقصودة ، فلا يتفق أن تخاطب شخصا ثم تنادي سواه أو لا تخصه بالنداء .

المنادى المندوب :

وهو المنادى المتفجع والموجوع ، ولا يكون هذا النوع إلا في اللذع والبكاء والحزن . (ولا يندب غير المعروف)[2] ؛ لأن كل واحد من النكرة والمبهم لا يجوز أن يُندب ، لأن الغرض بالندبة الإعلام بعظمة المصاب وذلك غير موجود فيهما ، وحكم المندوب كحكم المنادى ، يُضمّ إن كان مفردا ، وينصب إن كان مضافا أو شبيها به [3] ، لذا فإن معناه متوافر في غرض الرثاء ؛ لأنه بكاء على الميت وذكر محاسنه ، وقد يرد في الغزل كأن يدل على حزن الشاعر من هجر محبوبه وبكائه عليه ولوعته إليه أكثر من الهجاء والمدح . والندبة نداء خاص لأنها نداء الهالك . لذلك فهي موضع يقتضي رفع الصوت ومده . ويرى جمهور النحاة أن أداة الندبة " وا " لا تختص إلا بالندبة ، ولا تستعمل في النداء لغيرها [4] ، ويرى سيبويه (أن المندوب مدعوّ ولكنه متفجع عليه ، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألفَ ، لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها ، وإن شئت لم تلحق كما لم تلحق في النداء . واعلم أن المندوب لا بد له من أن يكون قبل اسمه " يا " أو " وا " ، كما لزم " يا " المستغاث به والمتعجب منه)[5] ، وقد استعمل البارودي هذا النوع في أغراض مختلفة منها الرثاء كقوله يرثي ولده عليا :

واكبدي يا علي بعدك لوْ كانت تبلّ الغليلَ " واكبدي " [6]

---

[1] = الديوان – ص372

[2] = السكاكي – مفتاح العلوم – مصدر سابق – ص101

[3] = شرح المكودي – مصدر سابق – ج2/ص616.

[4] = انظر : قيس الأوسي – أساليب الطلب – مرجع سابق – ص 229

[5] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص220 .

[6] = الديوان – ص160

فقد كرّر المنادى المتفجع به في قوله : واكبدي . ففي المرة الأولى استعمل نداء الندبة المتمثل في الحرف " وا " ليدل على معنى الحزن والتفجع ، وقد أشار في المنادى إلى كبده ويقصد به ولده عليا ، لأن الأولاد هم فلذة أكباد آبائهم ، وقد جعل المنادى في آخر البيت في محل رفع فاعل ، وتقديره : لو كانت تبلّ كلمة " واكبدي " الغليل . واستعمل نداء المندوب في الغزل ليدل على هيام الشاعر وولعه بمحبوبته ، كقوله في قصيدة غزلية :

وا خجلةَ البدرِ إن لاحت أســرّتها　　　وحيرةَ الرشأ الوَسْنانِ إن لمحتْ [1]

فقد جعل المنادى المندوب في قوله : خجلة البدر . كأنه شبه البدر بالإنسان الذي يخجل إن رأى محاسن محبوبته ، وقد أضيف المنادى المنصوب بالفتحة إلى الاسم المعرف بـــ " أل " ، لأن نداء الندبة في هذه الحال لا يكون نكرة على أي حال من الأحوال . ومثله في التركيب نفسه قوله :

وا طولَ شوقي إليك يا وطــنُ　　　وإن عَرَتْني بحبّك المِحَنُ [2]

فقد استعمل الشاعر حرف النداء " وا " ، وهي أداة تستعمل في الندبة في التركيب نفسه ، فأضاف المنادى المنصوب إلى الاسم المعرف بياء المتكلم . وقد يستعمل في نداء الندبة المنادى المختومُ بـــ " الألف والهاء" كقول البارودي :

ويلاهُ مـــن لحظِها الفتّــاكِ إن نظرتْ　　　وآهِ من قدّها العسّال إن سنحتْ [3]

فنداء الندبة في قوله : ويلاه . وقد زاد على المنادى المندوب " ويل " الألف والهاء ، غير أن إعراب المنادى لم يتغير ، فهو مبني على الضم المقدر في محل نصب ، منع من ظهورها الفتحة العارضة لمناسبة الألف الزائدة لتأكيد نداء الندبة ، والهاء حرف زائد . والألف في قوله : "ويلاه " هي كما يقول سيبويه : (وقد يبدلون مكان الياء الألف ؛ لأنها أخفّ ... وذلك قولك : يا ربا ، تجاوز عنا . ويا غلاما ، لا تفعل . فإذا وقفت قلت : يا غلاماه . وإنما ألحقت الهاء ليكون أوضح للألف ؛ لأنها خفيّة . وعلى هذا النحو يجوز : يا أباه ، ويا أماه)[4] ، ومن ذلك قوله :

فيا أمتا زال العزاء وأقبلت　　　مصائبُ تنهى القلب أن يتلوّما [5]

---

[1] = الديوان – ص109

[2] = الديوان – ص653

[3] = الديوان – ص109

[4] = سيبويه – الكتاب – مصدر سابق – ج2/ص210.

[5] = الديوان – ص558

فقوله : أمتا . منادى منصوب ، وهو مضاف ، غير أن الألف حلت مكان الياء ، كما يرى سيبويه ، فيكون الاسم بذلك منادى منصوبا . أما قول البارودي :

ويلاهُ من نارِ الهوى إنها   لولا دموعي أحرقتْ أضلُعي [1]

فالاسم المنادى " ويلاه " – كما ذكرنا – هو في الأصل منادى مضاف إلى ضمير المتكلم : " ويلي " ، وإنما ألحقت الهاء ليكون أوضح للألف .

وقد يُـورد البارودي نداءَ الندبة دون أن تكون الهاء الزائدة آخر المنادى ، ويكون المنادى مختوما بتنوين الفتح كقول البارودي :

فوا أسفا إذْ ليس يُجْدي تأسُّـفٌ   على ما طواهُ الدهرُ من عيشِنا الرَّغْدِ [2]

فقد جعل آخر المنادى تنوين الفتح غير أنه مبني على الضم ، وليست حركة التنوين نصبا ، بل هي مخصوصة بنداء الندبة .

---

[1] = الديوان – ص322

[2] = الديوان – ص135

الخاتمة

من عرضنا لما تقدم من فصول لبناء الجملة النحوية في ديوان البارودي نخلص إلى أن البارودي أظهر ديوانه – من وجهة النظر النحوية – مليئا بأغلب الأبواب والفروع النحوية التي لا يمكن إغفالها ، إذ لم يخلُ ديوانه من أن تجد الجملة الاسمية والفعلية فيه قد استوفت أشكالها النحوية جميعها ، بحيث لم يدع ما يلفت انتباه القارئ إلى شيء بعينه ، كأن يعتمد على نوع من الأنماط والتراكيب فيكثف فيه تركيزه بما يخل في المعنى الذي يريده ، وهو بذلك يضع أمامنا أنموذجا شعريا يماثل أشعار الأقدمين من حيث البناء النحوي لتراكيب الجملة . ولعل هذا مراده وهدفه من اقتفاء آثارهم حين قال :

فإن يكُ عصر القول ولّى فإنني   بفضلي وإنْ كنتُ الأخيرَ مُقدَّمُ [1]

إن البارودي فضّل أن يحافظ على البناء التقليدي للجملة مع نوع من التجديد والتنويع في ، لأنه تعمّد ذلك ، وليست النماذج التي ذكرناها سابقا إلا دليلا على ذلك ؛ لأن السير على منهاج الأقدمين لا يتأتى لأحد من الشعراء ، فهو المثل الأعلى في الشعر العربي ، فما زالت أشعار المتقدمين تُتلى على مسامع الناس حتى عصرنا هذا ، وكلما كان بناء الجملة أكثر رصانة وتماسكا كان أدوم على البقاء ، فتراكيب الأشعار القديمة لو لم تكن كذلك لما وصلت إلينا على الصورة التي وصلت عليها ، وخذ المعلقات مثلا على ذلك ، فبالرغم من قِدَمها وتعاقب السنين عليها إلا أنك (لا تكاد تجد كتابا يعرض للشعر الجاهلي من قريب ليس فيه منها ذكر ، ولا عالما يعتدّ به من علماء العربية إلا كان له بها عناية ودراية ، ويكفي أن تقف على أسماء من رووها وشرحوها من أكابر العلماء لتدرك ما لها من مكانة رفيعة في الشعر العربي كله)[2]. ويمكن أن نوجزَ ما أفدناه من دراسة البناء النحوي لديوان البارودي على شكل نقاط رئيسة ، وهي :

<u>أولا : الجملة الاسمية :</u> بنى البارودي الجملة بناء اسميا ، بحيث كانت الغلبة لنموذج الجملة الاسمية . بدليل ما يلي :

- تنوعت مواضع ورود الجملة الاسمية في كافة أجزاء البيت والقصيدة .
- ظهرت الجملة الاسمية الصغرى على صورة (المبتدأ " اسم ظاهر " + الخبر " اسم ظاهر ") في مواضع كثيرة كان أكثرها أول البيت والقصيدة وآخرها .
- بنى الشاعر الجمل الاسمية بناء مكثفا ، بحيث ظهرت نماذج اسمية تتابع في الأبيات تتابعا متكررا.

---

[1] = الديوان : ص607

[2] = محمود أحمد نحلة – نظام الجملة في شعر المعلقات – 1991م – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ص3.

- ظهر عنصرا التقديم والتأخير في الجملة الاسمية متفقا والقاعدة النحوية ، فلم يمِل إلى استعمال الضرورات الشعرية في الجمل الاسمية .
- توسعت الجمل الاسمية بنوعيها الصغرى والكبرى ، وقد أفاد البارودي من جميع أشكال الجمل الاسمية .
- أفاد الشاعر من بنية التراكيب القديمة لشعراء معروفين من أمثال امرئ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني ، والمتنبي ، وبشار بن برد ، وغيرهم من كبار الشعراء.
- في الديوان مواضع ترد فيها " ما " النافية في شعر البارودي وليست عاملة في موضعين ، وهما:

ــ الأول : أن يكون المبتدأ محصورا بــ " ما " و " إلا " .

ــ الثاني : أن يرد الخبر شبه جملة أو جملة فعلية .

- بناء الجملة الاسمية داخل القصيدة الواحدة تارة يكون معقد التركيب ، يَقصد منه الشاعر إضفاء نوع من الغموض والإيهام ، وتارة يكون التركيب بسيطا سهلا تتكون الجملة الاسمية فيه من المبتدأ والخبر ، ويكون غرضه من ذلك التوضيح والتبسيط .
- الضمائر المنفصلة التي تكون في محل رفع مبتدأ أو خبر ، في كافة أجزاء القصيدة ، تنحو منحى المفرد وتميل إليه ، كالضمائر المنفصلة المفردة : (أنا ، أنتَ ، أنتِ ، هو ، هي) .
- يستعمل البارودي حروف الجر الزائدة والتي تدخل على المبتدأ ، فيكون مجرورا ومحله الرفع .
- يأتي الخبر النكرة في شعر البارودي ، بالرغم من تعدّد أشكال المبتدأ النكرة ، وذلك لسهولة ورود الخبر لمبتدأ محذوف مقدر .
- الحذف في طرفي الجملة الاسمية كالذكر ، وكذلك التقديم والتأخير ، سواء كان ذلك جوازا أم وجوبا ، من حيث كونهما يخدمان مراد الشاعر منهما .

<u>ثانيا : الجملة الفعلية</u> : إن الجملة الفعلية هي العنصر الحي الذي غذّى شعر البارودي بعامل الحركة والتجديد ، لارتباطه بعنصر الزمن ، ويبدو ذلك في ما يأتي :

- جاء الفعل في شعر البارودي متعديا إلى مفعول واحد ، وإلى مفعولين ، وإلى ثلاثة مفعولات .
- استعمل البارودي الفعل المتعدي إلى مفعول واحد ، والذي يكون أصله لازما ، ولكن زاد على بنائه حرفا من حروف الزيادة .
- يأتي الفاعل في الجملة الفعلية على كافة صوره وأشكاله .
- استعمال الاستفهام في الأسماء ، خاصة في مطالع القصائد ، ولعل ذلك مرده أن الأسماء أثبت من الأفعال ، وحالة الفعل الانتقال والحركة .
- ظهرت نماذج شعرية عند البارودي اضطر فيها إلى استعمال الضرورة الشعرية ، وذلك يتمثل في الفعل المضارع بالدرجة الأولى ؛ لأنه كان يرفعه بالرغم من كونه مجزوما ، أو يجزمه بحذف حرف العلة وهو مرفوع بثبوتها .

ثالثا : مكملات الجملة : جعل البارودي استعمال مكملات الجملة استعمالا متفقا مع دلالة المعنى والتركيب ، دون أن يتكلف المبالغة في استعمالها إلى الحد الذي يخل في المعنى ، لأن الشاعر لم يُرد من ذلك تكثيف صورة الفضلة على حساب العمدة ، حتى تكون القصيدة الواحدة مبنية على المسند والمسند إليه، مما يجعل شعره أكثر جدية من حيث الحفاظ على الطابع التقليدي للقصيدة . لذلك فإن شعر البارودي أكثر التزاما بتركيب الجملة ، لالتفافه حول العمدة بشكل كبير . إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يشبع ديوانه باستعمال مكملات الجملة على النحو الآتي :

- المفعولات كلها متوافرة ومتناثرة في شعر البارودي ، لكون المفعولات تختلف بين نوع وآخر في استعمالها .
- ورد المفعول به اسما ظاهرا ، وضميرا متصلا ومنفصلا ، ومصدرا مؤولا ، في مواضع كثيرة ، غير أنه غلب عليه أن يكون ضميرا متصلا .
- تقدم المفعول به على الفعل في مواضع متفرقة من ديوان البارودي ، وكان على صورة اسم الاستفهام والضمير المنفصل .
- استعمل المفعول فيه مما كان على صورة ظرف الزمان ، لشموله واتساعه ، رغبة من الشاعر في أن يظهر عامل الزمن في شعره .
- استعمل التمييز ، وخاصة ما كان بعد اسم التفضيل (أفعل) .
- تنوع استعمال البارودي للمنادى بأنواعه ، إلا أنه أغفل استعمال المنادى الشبيه بالمضاف.

وخلاصة القول أن مكملات الجملة في شعر البارودي تتفق والنحو في حالين ، وهما أن تكون مما لا غنى عنه في تمام معنى الجملة بحيث يكون حذفها مخلا بالمعنى إخلالا بيّنا ، أو أن تكون هذه المكملات مما لا يخل في المعنى ، كأن تكون زيادة معترضة على أصل المعنى التام المكتمل ، والبارودي في الحالين قد أحسن استعمال مكلات الجملة بصورة دقيقة ، إذ لم يُغفل استعمال المفعولات أو حتى الأسماء المنصوبة الواقعة في الجملة الفعلية على وجه العموم ، وهو بذلك يدل على أن شعره يعد أنموذجا مثاليا مثله مثل شعر الأقدمين في استفائه للأبواب النحوية .

وختاما فإن شعر البارودي ما زال بحاجة إلى اهتمام الباحثين والدارسين وتركيز أنظارهم إلى شعره من النواحي البلاغية واللغوية والصرفية ، لأنني أرى في شعره أنموذجا لا يقل إبداعا عن سائر الشعراء المتقدمين ، ولِما له من فضل على العربية وأهلها في العصر الحديث .

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : قائمة المصادر :

- القرآن الكريم .

1- أبو البركات الأنباري – عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت 577هـ) ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** – تقديم حسن حمد – دار الكتب العلمية – ، بدون تاريخ – بيروت – ط1– 1998م .

- **أسرار العربية** – تحقيق بركات هبود – دار الأرقم – ط1 – 1420هـ / 1999م .

2- أحمد بن عبد النور المالقي (ت 702هـ) ، **رصف المباني في حروف المعاني** – تحقيق أحمد محمد الخراط – دار القلم – دمشق – ط3 – 1423هـ/2002م .

3- أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ) **معجم مقاييس اللغة** – تحقيق عبد السلام هارون – مطبعة مصطفى الباجي الحلبي – مصر – ط2 – 1389هـ /1969م .

4- الأعشى ، ميمون بن قيس ، **ديوانه** – تحقيق محمد محمد حسين – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط7 – 1983م .

5- ابن الأعلم الشنتمري ، أبو الحجاج يوسف (ت 476 هـ) ، **النكت في تفسير كتاب سيبويه** – تحقيق رشيد بلحبيب – المغرب – 1999م/1420هـ .

6- ابن أبي الربيع ، أبو الحسين ابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد القرشي الإشبيلي (ت 688هـ) **البسيط في شرح جمل الزجاجي** – تحقيق عيّاد بن عيد الثبيتي – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط1– 1986م .

7- امرؤ القيس ، **ديوانه** – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – القاهرة – ط5.

8- أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود ، المعروف بصاحب حماة (ت 742هـ) **الكناش في النحو والصرف** – تحقيق رياض حسن الخوّام – المكتبة العصرية – بيروت – ط1 – 2000م.

9- بشار بن برد ، **ديوانه** – جمعه محمد الطاهر بن عاشور – وزارة الثقافة الجزائرية – الجزائر – 2007م .

10- ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) **الخصائص** – تحقيق محمد النجار – بدون طبعة .

11- الخطيب التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد (ت 502 هـ) **شرح ديوان أبي تمام** – تحقيق راجي الأسمر – دار الكتاب العربي – بيروت – ط1– 1992م .

- **شرح المعلقات العشر المذهبات** – ضبط نصوصه عمر فاروق الطباع – دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت .

12- الخطيب القزويني ، عبد الكريم بن محمد ، **الإيضاح في علوم البلاغة** – تحقيق عبد الحميد هنداوي – مؤسسة المختار – القاهرة – ط2 – 2003م .
13- ابن دريد الأزدي – **جمهرة اللغة** – تعليق إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 2005م .
14- ابن الدهان ، أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي (ت 569هـ) **الفصول في العربية** – تحقيق فائز فارس – دار الأمل – إربد – ط1 – 1988م .
15- الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت 340هـ) **الإيضاح في علل النحو** – تحقيق مازن المبارك – دار النفائس – بيروت – ط4 – 1982م .
– **الجمل في النحو** – تحقيق علي الحمد – دار الأمل – إربد – ط1.

16- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر (ت 538 هـ) ، **أساس البلاغة** – تعليق محمد أحمد قاسم – المكتبة العصرية – بيروت – ط1 – 1423هـ/2003م .
– **المفصّل في صنعة الإعراب** – تحقيق محمد عبد المقصود – دار الكتاب المصري – مصر – ط 1 –2001م .

17- السخاوي ، علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت 643 هـ) **المفضّل في شرح المفصل** – تحقيق يوسف الحشكي – طبعته وزارة الثقافة – عمان – ط2 – 2002م .
18- ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل بن الرساج النحوي البغدادي (ت 316هـ) ، **الأصول** – تحقيق عبد الحسين الفتلي – مطبعة النعمان – النجف – 1973م .
19- السكاكي ، سراج الدين يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت 626هـ) **مفتاح العلوم** – تعليق نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – ط2 – 1987م .
20- سيبويه ، أبو بشر عثمان بن قنبر (180 هـ) **الكتاب** – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط2 – 1402هـ/1982م .
21- السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت 368هـ) **شرح كتاب سيبويه** – تحقيق رمضان عبد التواب ، وفهمي حجازي ، ومحمد هاشم عبد الدايم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1986م .
22- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عثمان ، **الألغاز النحوية في كتاب الأشباه والنظائر** – تحقيق طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – 1399هـ/1979م .
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** – تحقيق أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية ، منشورات محمد بيضون – بيروت – ط1 –1418هـ/ 1998م .

23- الصبان ، محمد بن علي (ت 1206هـ) ، **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** – تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد – المكتبة التوفيقية – القاهرة .
24- صفي الدين الحلبي ، عبد العزيز بن سرايا بن علي (ت 750هـ) **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع** – تحقيق نسيب نشاوي – دار صادر – بيروت – ط2 – 1412هـ/1992م .
25- صلاح الدين العلائي ، خليل بن كيكلدي بن عبد الله (ت 761هـ) **الفصول المفيدة في الواو المزيدة** – تحقيق حسن الشاعر – دار البشير – عمان – ط1 – 1990م .
26- عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد ، (ت 471هـ) **دلائل الإعجاز** – تعليق محمد رشيد رضا – دار المعرفة – بيروت – 1981م .
- **المقتصد في شرح الإيضاح** ، تحقيق كاظم بحلا المرجان – 1982م – منشورات وزارة الثقافة العراقية – دار الرشيد – العراق .

27- ابن عصفور ، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي (ت 669 هـ) ، **المقرّب** – تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوّض – دار الكتب العلمية – ط1 – 1998م .
28- ابن عقيل ، عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (ت 769هـ) ، **شرحه على ألفية ابن مالك** – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – بيروت – المكتبة العصرية – 2001م .
29- العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت 616هـ) ، **التبيان في إعراب القرآن** – تحقيق علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت – ط2 – 1407هـ/1987م .
- **شرح ديوان المتنبي** – تصحيح مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي – دار المعرفة – بيروت .
- **اللباب في علل البناء والإعراب** – تحقيق غازي طليمات – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط1 – 1995م .

30- علي الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت 816هـ) ، **التعريفات** – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1403هـ/1983م .
31- عمر بن أبي ربيعة ، **ديوانه** – دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت – 1407هـ/1987م .
32- الفارسي ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت 377هـ) – **المسائل العسكريات في النحو العربي** – تحقيق علي جابر المنصوري – دار الثقافة – الدار العلمية الدولية – عمان – 2002م .
- **المسائل المشكلة** ، تعليق يحيى مراد – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1– 2003م .

33- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت 173هـ) **الجمل في النحو** – تحقيق فخر الدين قباوة – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط1 – 1405هـ/1985م .

34- الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة الدارمي ، **ديوانه** – ضبطه إيليا الحاوي – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ط1 – 1983م .

35- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ) ، **أدب الكاتب** – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – مصر – ط4 – 1382هـ/1963م .

36- ابن مالك ، محمد بن عبد الله الأندلسي (ت 672هـ) **ألفية ابن مالك مع احمرار ابن بونا** – تصحيح أبّاه بن محمد عالي بن نعم العبد – **جمعه** ونشره محمد محفوظ بن أحمد – موريتانيا – ط1 – 1424هـ/2003م .

37- المبرّد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ) ، **المقتضب** – تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة – 1415هـ/1994م .

38- ابن المعتز ، أبو العباس عبد الله (ت 296هـ) **البديع** – تحقيق إغناطيوس كراتشقوفسكي – دار المسيرة – بيروت – ط3 – 1402هـ/1982م .

39- المكودي ، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي (ت 807 هـ) ، **شرحه على ألفية ابن مالك** – تحقيق فاطمة الراجحي – منشورات جامعة الكويت – 1993م .

40- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد (ت 711هـ) **لسان العرب** – دار صادر – بيروت – ط2 – 1412هـ – 1992م .

41- النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضباب ، **ديوانه** – شرح دار مكتبة الحياة – بدون طبعة – بيروت .

42- ابن الناظم ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت 686هـ)، **شرحه على ألفية ابن مالك** – تحقيق محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1430هـ/2000م .

43- ابن النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 338 هـ) ، **شرح أبيات سيبويه** – تحقيق زهير غازي زاهد – عالم الكتب – بيروت – ط1 .

44- نور الدين عبد الرحمن الجامي ، **شرح كافية ابن الحاجب** – تحقيق أسامة طه الرفاعي – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط1 – 1423هـ/2003م .

45- ابن نور الدين ، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم (ت 820هـ) **مصابيح المغاني في حروف المعاني** – تحقيق جمال طلبة – دار زاهد القدسي – القاهرة – ط1 – 1415هـ/1995م.

46- ابن هشام الأنصاري ، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (ت 761هـ) **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل – ط3.

- **شرح جمل الزجاجي** – تحقيق علي عيسى – عالم الكتب – بيروت – ط2 – 1986م .
- **شرح شذور الذهب** – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت – ط1 – 1995م .
- **شرح قطر الندى وبلّ الصدى** – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – مصر – ط11 – 1383هـ/ 1963م .
- **مغني اللبيب** – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت – 1996م .

ثانيا : قائمة المراجع :

1- إبراهيم أنيس ، **موسيقى الشعر** – مكتبة الأنجلو – القاهرة – ط4 – 1972م .

2- إبراهيم الطاهر الشريف ، **خصائص التركيب في ديوان أحمد الشارف** – دار الكتب الوطنية – بنغازي – ط1 – 2000م .

3- أحمد حسن الزيات ، **تاريخ الأدب العربي** – دار نهضة مصر – القاهرة – الفجالة – ط2.

4- أحمد الحملاوي ، **شذا العرف في فن الصرف** ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ط16 ، 1384هـ/1965م .

5- أحمد قبش ، **تاريخ الشعر العربي الحديث** – دار الجيل – بيروت – بدون طبعة .

6- البارودي ، محمود سامي باشا بن حسن ، **ديوانه** – تحقيق علي الجارم ومحمد معروف – دار العودة – بيروت – 1998م .

- **ديوانه** – تحقيق علي عبد المقصود عبد الرحيم – دار الجيل – بيروت – ط1 – 1415هـ/1995م .
- **مختاراته من شعر بني أمية وبني العباس** – تنفيذ إبراهيم فوده – المكتبة الجامعة 2 – مكة المكرمة – ط1 – 1984م .

7- حنا الفاخوري ، **الموجز في الأدب العربي وتاريخه** – دار الجيل – بيروت – ط2 – 1411هـ/1991م .

8- خليل بنيان ، **النحويون والقرآن** – مكتبة الرسالة الحديثة – عمان – ط1– 2002م.

9- شوقي ضيف ، **المدارس النحوية** – دار المعارف – القاهرة – ط7 .

10- زين كامل الخويسكي ، **الجملة الفعلية منفية واستفهامية ومؤكدة** دراسة تطبيقية على شعر البارودي – مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية – 1984م .

11- فضل حسن عباس ، **البلاغة فنونها وأفنانها** – دار الفرقان – ط1 – 1985م .

12- عبد الرحمن محمود مختار الشنقيطي ، **الصدارة في النحو العربي** ، دار النهار ، القاهرة ، ط1، 1419هـ/1998م.

13- عبد العزيز عتيق ، **علم المعاني** – دار النهضة العربية – بيروت– 1985م .

14- عبد الهادي الفضلي ، **اللامات** – دار القلم – بيروت – ط1 – 1980م .

15- عمر الدسوقي ، **في الأدب الحديث** – دار الفكر – ط8 – 1973م .

16- عمر رضا كحالة ، **معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية** – دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون طبعة .

17- عودة خليل أبو عودة ، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين** – دار البشير – ط1 – 1985م .

18- عيد بلبع ، **أسلوبية السؤال** – دار الوفاء – ط1 – 1999م .

19- فاضل السامرائي ، **الجملة العربية تأليفها وأقسامها** – دار الفكر– ط1 .

20- قيس إسماعيل الأزدي ، **أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين** – المكتبة الوطنية – بغداد – 1988م .

21- كريم حسين الخالدي ، **نظرات في الجملة العربية** – دار صفاء – عمان – ط1 – 2005م.

22- كريم مرزة الأسدي ، **نشأة النحو العربي ومسيرته الكوفية مقارنة بين النحو الكوفي والنحو البصري** – دار المصادر – دمشق – ط1 – 2003م .

23- محمد حماسة عبد اللطيف ، **بناء الجملة العربية** – دار الشروق – القاهرة – ط1 – 1996م .

24- محمد ربيع ، **علوم البلاغة العربية** – دار الفكر – عمان – ط1– 1991م .

25- محمد عبد الله جبر ، **الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية** – دار الدعوة – الإسكندرية – ط1 – 1988م.

26- محمد المبارك ، **فقه اللغة وخصائص العربية** ، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية في التجديد والتوليد – دار الفكر ط7 –1401هـ/1981م .

27- محمد محيي الدين عبد الحميد ، **التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية** – المكتبة الثقافية – بيروت – بدون طبعة .

28- محمود أحمد نحلة ، **نظام الجملة في شعر المعلقات** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – طبعة 1991م .

29- مصطفى الغلاييني ، **جامع الدروس العربية** – ضبط وتخريج عبد المنعم خليل إبراهيم – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1421هـ/2000م .

ثالثا : المراجع المترجمة :

- ريجيس بلاشير ، **أبو الطيب المتنبي ، دراسة في التاريخ الأدبي** – ترجمة إبراهيم الكيلانـــي – ديوان المطبوعات الجامعية – دار الفكر – بدون طبعة .
- غراتشيا غابوتشان ، **نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي** – ترجمة جعفــر دكّ الباب – مطابع مؤسسة الوحدة – دمشق – بدون طبعة .

رابعا : الرسائل العلمية :

- قاسم محمد صالح ، **الظاهرة النحوية بين الزمخشري وأبي حيّان مسائل من البحــر المحــيط** – رسالة علمية لنيل درجة الماجستير – نوقشت عام 1990م – ط1 – 1991م .
- علي جمعة عثمان ، **نظام الجملة في شعر الحماسة ، حماسة أبي تمام** – إشــراف علــي أبــو المكارم – جامعة أم القرى – نوقشت 1986م .
- جمعان السيالي ، **اعتراضات ابن الضائع النحوية في شرح الجمل على ابن عــصفور** – رســالة علمية لنيل درجة الماجستير – نوقشت عام 1415هـ/1995م – جامعة أم القرى.

خامسا : الدوريات :

- نزار بريك ، **شعرية القصيدة القصيرة** ، ص56 ، مجلة ثقافات ، جامعة البحرين العدد 5، شتاء 2003م .
- وهب رومية – **الشعر والناقد** – سلسلة عالم المعرفة – كتب شهرية صــدرت فــي الكويــت – 2006م .

تم بحمد الله

Abstract

Sentence Structure in Al-Baroudi's poetry

This study is based on two pillars, namely: A Study of Contemporary “Baroudi’s Diwan”, and the adoption of “Alnahw” Grammatical science as a means to understand the structures of poetry in his “Diwan”, to be as an effective and an important pillar for the progress of modern poetry, and the purpose of this is to read his poetry written in his book , which has been investigated and inspected by Ali AlJarem and Mohammed Shafiq Ma’rouf, published in Dar Al’Awdeh, and printed the year one thousand nine hundred and ninety-eight. Trying to understand the structure of the grammatical sentence in his Diwan in general, and see what can be seen from the structures and grammatical patterns. The reason for this is that the discussion about the grammatical syntax is generally itself, discussion about all the other aspects of Arabic Grammar “Alnahaw”, in addition to the fact that Baroudi himself is considered as a one the reference literature, and one of the leaders of the renaissance movement of the Arabic heritage, so is not only limited study on just his poetry, but rather intended to study the construction and composition of syntactical grammar, which was adopted to be a basis and a model of the new poetry renaissance of many poets after Baroudi .

This study has emerged as a result of following the descriptive approach which deals with analysis of texts in a descriptive analysis in which the description text is analyzed and explained, and follow the steps in a deliberate and systematic treatment to address the phenomena and the grammatical issues; because the descriptive approach is based on the compilation of samples through the selection of specific models, for the purpose of testing and experimenting them, and through the division of research to three main points to recognize the structure of the grammar of the sentence, namely :

- The nominal sentence and how is it build in Baroudi’s poetry.

- The verbal sentence and how is it built in his poetry.

- Sentence complements and supplements and their impact on his poetry.

On the basis of this division the study will be conducted, so that we can understand the sentence structure and the grammatical syntax in the poetry of Mahmoud Sami Baroudi in particular, and of contemporary renaissance Arabic poetry in general, due to the fact that Baroudi is considered the emitter of modern Arabic poetry. May Allah bless and guide me to the straight path.